

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية بنات - القاهرة
قسم التفسير وعلوم القرآن

العلامة الخطيب الشربيني ومنهجه في تفسير السراج المنير

رسالة علمية لنيل درجة التخصص - الماجستير -
في التفسير وعلوم القرآن

إشراف

أ.د/ هندية أحمد محمد عامر حواس

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنات - القاهرة

إعداد

وفاء محمود سعداوى

الطالبة بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية بنات - القاهرة

1428هـ - 2007 م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ { ٤٣ } بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النحل: الآيتان ٤٣، ٤٤

إهداء

إلى والديّ الكريمين وفضلهما الذي لا يحد
تقديرًا عميقًا وحبًّا أعمق، وأسأل الله ﷻ أن
يجعل هذا العمل في ميزان حسناتهما يوم لا
ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم،
كما أهديه إلى زوجي وأولادي وإخوتي وأهلي
وكل من مد لي يد العون في هذا البحث بتذليل
عقبة ، أو توجيه طيب ، أو نصيحة مسداة ،
أو دعوة صالحه – جزاهم الله خير الجزاء.

شكر وتقدير

الحمد لله - تعالى - دائماً وأبداً، فهو الهادى إلى الصراط المستقيم،
وبنعمته تتم الصالحات، وبحمده تعم البركة، وبشكره تزيد النعم، فاللهم اجعلنا
من العابدين الحامدين الشاكرين المهتدين إلى الصراط المستقيم.

وبعد...

فأسجل الشكر الجزيل والتقدير الرفيع والثناء الصادق لأستاذتى الفاضلة
الدكتورة هندية - حفظها الله ﷺ وأدام عليها نعمه-.

فقد منحتنى خلال رحلة البحث الكثير من وقتها وجهدها ، وزودتنى
بتوجيهاتها العلمية وملاحظاتها القيمة، وكانت لى الأم الحنون التى شملتنى
برعايتها وتشجيعها ودعائها بالسداد والتوفيق، وذلت لى بعون الله كل صعب
وعسير فى طريق البحث ، ودلتنى على أيسر الطرق إلى العلم الدقيق.

والحق يقال إن لسانى وقلمى ليعجزان عن تقدير الدكتورة الفاضلة علماً
وخلقاً، وتواضعاً، وعطفاً على تلميذاتها، وبناتها فلا أملك إلا الدعاء لها ،
والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

كما أقدم خالص الشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة سعاد صالح ،
والأستاذة الدكتورة عفاف النجار ، والأستاذة الفضلاء أعضاء قسم التفسير
وعلوم القرآن لموقفهم النبيل ، ومساندتهم لى عند تسجيل موضوع البحث ،
وإنه لموقف يليق بأستاذة ينتمون إلى جامعة الأزهر الشريف منارة العلوم
الشرعية للأمة الإسلامية بأسرها، جزاهم الله عنى خير الجزاء ، وبارك لهم
فى أعمارهم ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن الباحث في علم التفسير يجد العلماء قد وجدوا في فهم القرآن الكريم وشرح معانيه مجالاً واسعاً، فمن كمال إعجاز القرآن الكريم أنه حملاً لوجوه عديدة من المعاني، وألوان شتى من العلوم؛ لذا فقد بذل العلماء جهودهم في فهم وكشف أسراره وتجليه خفاياه على مر العصور، وقد كان طبعياً أن تختلف اتجاهاتهم التفسيرية وتتعدد حسب ثقافتهم ونجدتها في كل يوم على مر العصور.

وقد حرص المسلمون على مر العصور وفي جميع الأقطار على حفظ القرآن وفهم آياته والعمل بها، واصطفى الله - عز وجل - من الأمة رجالاً صرفوا همهم إلى العناية بتفسيره واستخراج ما حواه من كنوز.

فعكفت طائفة على استنباط أحكامه الشرعية، واهتمت طائفة أخرى ببيان معاني مفرداته، وإعراب كلماته، وإبراز جمال نظمه وبلاغته ووجوه إعجازه وغير ذلك مما عكف عليه أفاضل العلماء من البحوث والدراسات القرآنية التي لا حصر لها.

واهتمت طائفة من العلماء بمتابعة هذه الدراسات ومناقشتها، وأضافوا إليها ما وهبهم الله من فهم لآياته القرآنية.

ومن هؤلاء العلماء الإمام العلامة الشيخ الخطيب الشربيني الذي انتفع بعلمه خلق كثير؛ فهو مفسر ماهر واسع العلم بمختلف العلوم ، والذي اخترت منهجه في التفسير موضوعاً لبحثي.

• أسباب اختيار الموضوع:

أولاً- سبب عام: وهو مواصلة الجهود المبذولة في معرفة مناهج العلماء في التفسير التي تتبناها جامعة الأزهر الشريف من خلال رسائل التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) وبحوث الترقية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

ثانياً- سبب خاص: وهو السمات التي امتاز بها الإمام العلامة الخطيب الشربيني؛ فهو مفسر ماهر جمع بين المأثور والرأي، واسع العلم بكتب السنة، نحوي، محققٌ ناقدٌ بارعٌ في تأويل المشكل وكشف الغوامض، ملمٌ بالقراءات وعلوم اللغة، وقد أوتي حظاً وفيراً من إيجاز العبارة، يجمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، بعبارة سهلة واضحة، يسهل على المبتدئين فهمها، ويجد طلبة العلم حاجتهم فيما احتوته من الفوائد؛ إذ جمع في تفسيره هذا جل التفاسير لمن سبقه من العلماء. هذه أهم السمات التي امتاز بها الإمام العلامة الخطيب الشربيني التي دفعتني إلى اختيار تفسير هذا العالم الجليل موضوعاً لرسالتي التي تقدمت بها إلى قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، والتي جعلت عنوانها "الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير".

خطة البحث

وقد اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وتنتهى بالفهارس

المقدمة وتشتمل على ما يلي :

أولاً : التعريف بالموضوع وبيان أهميته .

ثانياً : أسباب اختياره .

ثالثاً : خطة البحث ومنهجي في إعداده .

التمهيد ويشتمل على النقاط التالية :

١- التعريف بمفردات العنوان : التفسير ، المنهج .

٢- التعريف بالمفسر ، ومنهجه وبيان مدى التزامه المنهج الذى شرطه على نفسه فى تفسيره " السراج المنير فى معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير" .

٣ - تأثره بمن سبقه من المفسرين .

الفصل الأول : منهجه فى التفسير ويتكون من عشرة مباحث :

المبحث الأول : ذكره للمأثور ويتكون من أربعة مطالب :

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

المطلب الثانى : تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة ويشتمل على فرعين:-

الفرع الأول : اتجاهاته فى الاستشهاد بالسنة .

الفرع الثانى : درجة الحديث الذى يستشهد به .

المطلب الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين .

- المطلب الرابع : الدخيل في تفسيره .
- المبحث الثاني : الأسلوب الموضوعي في تفسيره .
- المبحث الثالث : منهجه في تفسير البسمة .
- المبحث الرابع : منهجه في أسماء السور وفضائلها .
- المبحث الخامس : تفسيره للحروف المقطعة .
- المبحث السادس: عنايته بالمناسبات بين السور والآيات .
- المبحث السابع: عنايته بالقراءات .
- المبحث الثامن : اتجاهاته في أسباب النزول .
- المبحث التاسع: منهجه الفقهي وموقفه من النسخ .
- المبحث العاشر: موقفه من التفسير العلمي .
- الفصل الثاني: الجانب العقائدي في تفسيره .
- الفصل الثالث: توظيفه علوم اللغة في التفسير ويشتمل على ستة مباحث:—
- المبحث الأول : توظيفه الدلالة المعجمية في استنباط المعنى .
- المبحث الثاني : توظيفه الدلالة الصرفية في استنباط المعنى.
- المبحث الثالث : توظيفه الدلالة النحوية في استنباط المعنى .
- المبحث الرابع : توظيفه دلالة السياق في استنباط المعنى .
- المبحث الخامس : توظيفه الدلالة الصوتية في استنباط المعنى .
- المبحث السادس : كثرة استشاده بالشعر .
- الخاتمة : وتشتمل على : عرض السمات العامة في تفسير الشيخ الخطيب الشربيني ، و خلاصة موجزة لمضمون الرسالة ، وذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس : وتشتمل على الفهارس الآتية :

- ١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار .
- ٣- فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الأشعار .
- ٥ - فهرس المراجع والمصادر .
- ٦ - فهرس الموضوعات .

منهجى فى الدراسة:

يمكن إجمال جوانب منهجى فى إعداد هذا البحث على النحو التالى:

- ١- قراءة التفسير محل البحث لتحديد جوانب وسمات منهج المفسر الذى اتبعه فى التفسير.
- ٢- تحديد مباحث الدراسة بناء على هذه الجوانب والسمات، ووسم كل مبحث بعنوان مستقل عن الآخر.
- ٣- جمع الآيات الكريمة المتعلقة بكل مبحث متتبعه تفسير الخطيب الشربيني لهذه الآيات لتحديد اتجاهه فى تناول مادة هذا المبحث، وتقسيم الآيات إلى مجموعات تدرج تحت عناوين خاصة بها حسب هذه الاتجاهات.
- ٤- ضبط وتشكيل النصوص القرآنية، ووضعها بين قوسين ﴿ ﴾ وتخرجها من سورها، وإذا كان النص جزء آية أشرت إليه فى الهامش بكلمة "جزء من آية".
- ٥- تمييز الأحاديث النبوية الشريفة بوضعها بين قوسين () وتخرجها من مظانها الأصلية، مبينة درجتها إذا اقتضى المقام، وكذا الآثار عن الصحابة والتابعين.
- ٦- نسبت الآيات الشعرية التى قابلتني فى البحث إلى قائلها، إلا القليل الذى لم أهدأ إلى قائله، بعد جهد فى كتب اللغة عزوته إلى كتب التفسير التى ذكرته.
- ٧- ترجمة مختصرة فى الهامش للأعلام بما يمكن قارئ الرسالة من معرفة شيء عنهم.

٨- الرجوع إلى الكتب التي استشهد بها المؤلف للتأكد من صحة ما جاء بها ، وأثبت ما وقفت عليه في الحاشية ، وما لم أعثر عليه أشرت إليه في محله.

٩- إبراز النصوص التي نقلتها من مصادر البحث ومراجعته ؛ تأييداً لرأبي أو لمناقشتها، فوضعها بين علامتي التنصيص " " وإذا كان المرجع يتكون من غير جزء أشرت إليه في الهامش بـ "رقم الجزء/ رقم الصفحة جـ ص" وأشرت إلى كلمة الطبعة بـ ط.

١٠- قمت بضبط بعض الألفاظ التي تحتاج إلى ذلك ، وتعريف بعض الكلمات الغريبة.

١١- حافظت قدر الإمكان على موضوعية البحث غير متأثرة بهوى ؛ حتى أصل إلى الحق الذي هو ضالة المؤمن.

ولا أقول إنني قد أحطت بكل جوانب البحث إحاطة لا يشوبها نقص ، ولا أستطيع أن أدعى لبحثي كمالاً ، إنما الكمال لله – عز وجل – وحده ، ولكني قد بذلت في إعداد هذه الرسالة قصارى جهدي ، ولم أدخر وسعاً في سبيل إخراجها في أحسن صورة ، وحاولت العناية بكل مسألة تهم البحث ، فإن كنت قد أصبت فالحمد لله الذي وفقني إليه ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وأسأل الله – عز وجل – أن يغفر لي تقصيري ، ويتقبل عملي خالصاً لوجهه الكريم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمهيد

هذا التمهيد أتناول فيه التعريف بمفردات عنوان البحث:

أولاً: تعريف التفسير:

التفسير لغة: " الفَسْرُ: البيان: فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ بالكسر وَيَفْسُرُهُ بالضم، فَسْرًا أو فَسْرَةً: أبانهُ، والتفسير مثله؛ قال - تعالى - ﴿لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١) والفَسْرُ: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا؛ أي: سألته أن يفسره لي"^(٢)

التفسير اصطلاحاً:

عرفه أبو حيان في البحر المحيط بأنه "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، و تتمات لذلك"^(٣) ثم خرج التعريف فقال^(٤): "قولنا: علم؛ هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن؛ هذا هو علم القراءات.

1- سورة: الفرقان، الآية ٣٣.

2- تراجع: لسان العرب للعلامة ابن منظور، ط. دار صادر بيروت - لبنان، الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م مادة (ف.س.ر.) ج٥ ص٥٥، ص٥٦، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ط. دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٩٩١م-١٤١٢هـ، ج٢ ص١٥٦، ومختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، عنى بترتيبه محمود خاطر، ط. دار الحديث القاهرة، ص٥٢٨.

3- ينظر: تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ج١ ص١٢١.

4- ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص١٢١.

وقولنا: ومدلولاتها ؛ أى : مدلولات تلك الألفاظ ، وهذا هو علم اللغة الذى يحتاج إليه فى هذا العلم . وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية ؛ هذا يشمل علم التصريف ، وعلم الإعراب ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التى تحمل عليها مالا دلالة عليه بالحقيقة، ومدلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاذاً فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز. وقولنا: وتتمت لذلك ؛ هو معرفة النسخ ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم فى القرآن ، ونحو ذلك“.

وعرفه الزركشى بأنه :”علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات. ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ“^(١)

وعرفه الزرقانى فقال^(٢) : ” علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية “.

وعرفه بعض العلماء بأنه : ” علم نزول الآيات ، وشئونها، وأفاصيلها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكياها ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها،

¹ - ينظر: البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار الجيل بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ ج١ ص١٣ .

² - ينظر: مناهل العرفان فى علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقانى - ط . دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابى الحلبي ، ج٢ ص٣ .

ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها ،
وعبرها وأمثالها^(١).

” وهذه التعاريف الأربعة تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن
مراد الله – تعالى – بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه
فهم المعنى وبيان المراد “^(٢)

ثانياً : تعريف المنهج لغة :

” المنهج بفتح فسكون: الطريق الواضح البين. ونهَجَ الطريقُ يَنْهَجُ
منهجاً: وضح واستبان. ونهَجَ الطريق : أبانه وأوضحه. ونهجه أيضاً سلكه ،
وبابهما قطع.

وطريق نَهَجٌ : بَيِّنٌ واضحٌ .

وأنهج الطريق : وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً.

والمناهج: الطريق الواضح .

وَالنَّهْجُ : الطريق الواضح كالمنهج والمناهج “^(٣)

¹ - ينظر: الإتيان في علوم القرآن للعلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان جـ ٢ ص ٣٨٣ .

² - ينظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ، ط. مكتبة وهبة ، القاهرة، السادسة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م جـ ١ ص ١٧، ص ١٨ .

³ - يراجع: لسان العرب لابن منظور جـ ٢ ص ٣٨٣، ص ٣٨٤ ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي جـ ١ ص ٤٣٢، ومختار الصحاح للرازي ص ٦٨١ .

ثالثاً : المقصود بمناهج المفسرين :

المنهج التفسيري : " هو المسلك الذي يتبعه المفسر في بيان المعانى، واستنباطها من الألفاظ وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيها من آثار: وإبراز ما تحتمله من دلالات وأحكام، تبعاً لاتجاه المفسر الفكرى والمنهجى، ووفق ثقافته وشخصيته، فتتنوع المناهج بحسب اختلاف المفسرين أنفسهم، وإن اتفق بعضهم فى الاتجاه .

والمقصود باتجاه المفسر فكره ونظره ومذهبه العقدى والفقهى، ووجهته التى يوليها وجهه عند التفسير، من تقليد أو تجديد، ومن اعتماد على المنقول أو المعقول أو الجمع بينهما، ويدخل فيه ميله الثقافى والعلمى، من اهتمام بالأدب، أو بالعلوم الكونية، أو الفلسفية، ... إلخ من الاتجاهات"^(١)

¹ - ابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير للدكتور محمد بكر اسماعيل ، ط . دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ص ٣١ بتصرف .

التعريف بالمفسر

اسمه :

" هو الإمام العلامة شمس الدين، محمد بن أحمد الشربيني، القاهري،
الشافعي، الفقيه المفسر، المتكلم، النحوي، الصرفي
وهذا ما وقفت عليه في المراجع التي توفرت لي ، ما عدا شذرات الذهب فقد
ذكره باسم "محمد بن محمد"^(١).

كنيته :

كُنِيَ العلامة بـ " الخطيب الشربيني " وهذه الكنية التي عرف بها
واشتهر بين أهل العلم قديماً وحديثاً.^(٢)

مولده ونشأته :

"لم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده، وقد نشأ في شربين وهي مدينة
بمحافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية ، وحفظ القرآن الكريم في صغره،
وتلقى العلم على يد أكابر الشيوخ في الفقه والنحو واللغة والتفسير
والبلاغة"^(٣)

¹ - يراجع : شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد
الحى ابن العماد الحنبلى المتوفى ١٠٨٩ هـ - ط . المكتب التجارى للطباعة والنشر
والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٧٩م ج١ ص٣٨٤، وإيضاح المكنون عن أسامى الكتب
والفنون لإسماعيل باشا البغدادى - ط . دار الفكر ١٩٨٢م، مصورة عن طبعة اسنابول
١٩٤٧ م ج١ ص ١٦١، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس
سركيس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ج١ ص١١٠٨ وتاريخ الأدب العربى لكارل
بروكلمان ، العصر العثمانى ، ترجمة عمر صابر عبد الجليل ، المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ - القسم الثامن (١٢-١١٣)
ص ١٩٠ .

² - المراجع السابقة بتصرف .

³ - ينظر: كتاب الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع للخطيب الشربيني - ط . هيئة
الكتاب . ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، ج١ ص٣ .

شيوخه :

” تتلمذ الشيخ الشريبي على يد علماء أجلاء ؛ فقد أخذ عن الشيخ أحمد البرلسي والشيخ نور الدين المحلى ، والشيخ نور الدين الطهوانى ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن خليل النشكى الكردى ، والبدر المشهدى ، والشيخ شهاب الدين الرملى ، والشيخ ناصر الدين الطبلأوى ، والشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ جمال الدين السنانى ، وغيرهم. وحينما وصل إلى مرتبة الإفتاء والتدريس أجازوه لذلك ؛ فأفتى ودرّس فى حياة أسياخه ، وقد تخرّج من الأزهر وقام بالتدريس فى الأزهر نفسه ، وانتفع به خلائق لا يحصون“^(١).

زهده وورعه :

لقد وصف الخطيب الشريبي بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة العبادة، ومع إقباله على الطاعة والزهد فى الدنيا والتفرغ لدراسة العلم وتدريسه – كان كثير التواضع، شديد الحياء ، على علم جم وفضل كبير؛ فكان يؤثر على نفسه ولو كانت به خصاصة ، فقد كان من عادته أن يعتكف من أول شهر رمضان فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد ، وكان إذا حج لا يركب إلا بعد تعب شديد، وكان من بداية الطريق يعلم الناس المناسك وآداب السفر ويحثهم على الصلاة وكيفية القصر والجمع ، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف ، وكان كثير الثناء على شيوخه، ولم يذكر أحداً بسوء ولا يعيب أحداً ولا يسفه رأياً، وكان لا يكثر بأشغال الدنيا ؛ فلا يسعى إلى شئ

¹ - يراجع: شذرات الذهب جـ ٨ ص ٣٨٤، والخطب التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لعلى باشا مبارك – ط.دار الكتب والوثائق القومية ، الثانية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م جـ ١٢ ص ٣٣٥، وكتاب الإقناع جـ ١ ص ٣ .

فيه رئاسة، ولا يزاحم أحداً على صحبة أحد من الولاة والقضاة ، بل ربما لا يعرف أحداً منهم.

وكان كثير الزيارة لقبر رسول الله ﷺ ، يستخير ربه فى الروضة الشريفة إذا هم بأمر من الأمور، فلم يكتب حرفاً فى كتابه "مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج" إلا بعد أن ذهب إلى زيارة رسول الله ﷺ ، وصلى ركعتين بنية الاستخارة فى الروضة الشريفة.(١)

مذهبه الإعتقادى :

يتضح من تفسير " السراج المنير " أن الخطيب الشربيني ينهج منهج أهل السنة والجماعة فى العقيدة ، وقد تصدى عند تفسيره لبعض الآيات لتفنيد آراء المعتزلة وغيرهم ، مظهرًا مذهب أهل السنة والجماعة فى ذلك كله(٢).

مذهبه الفقهى :

الشيخ الخطيب الشربيني كما جاء فى مقدمة تفسيره شافعيّ المذهب ، يعتمد فى الفقه والأحكام على المذهب الشافعيّ بصورة رئيسية ، فإذا أتى على الآيات التى فيها أحكام ذكر أقوال أهل العلم فى معناها ، وما يتعلق بها من قضايا فقهية، وهو فى كل ذلك قد يحقق الأقوال ، ويرجح ولكن نلاحظ أنه يميل غالباً للمذهب الشافعيّ.

مصنفاته :

أجمع أهل مصر على نبوغ الخطيب الشربيني ووصفوه بالعلم والعمل، فقد ظفرت المكتبة العربية بالكثير من مصنفاته ومؤلفاته التى امتاز فيها

¹ - يراجع: شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٨٤ ، والخطط التوفيقية الجديدة ج ١٢ ص ٣٣٥، وكتاب الاقناع جـ ٤ ص ٣ .

² - ينظر : مبحث الإلهيات ص ٢٤٦ من الرسالة.

بالبحث الدقيق والعلم الغزير، فقد لاقى قبولاً عظيماً فشرقت وغربت ،
وما زالت تدرس وتقرأ ؛ من هذه المؤلفات :

- ١- الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع فى الفقه الشافعىّ ، وهو الذى
يُدْرَس على طلاب المرحلة الثانوية الأزهرية ، انتهى من تأليفه
سنة ٩٧٢هـ، وبهامشه حاشية المدابغى فى جزئين، بولاق
١٢٩١ هـ، وبهامشه تقريب الشيخ عوض وبعض تقاريرات
الباجورى - بولاق ١٢٩٣هـ، جزئين مع حاشية عليه لسليمان
البجيرمى المهيمنية ١٣٠٧هـ جزئين ٢٩٦ / ٣٣٠ (١).
- ٢- شرح التنبيه لأبى إسحاق إبراهيم بن على الشيرازى الفقيه
المتوفى ٤٧٦ هـ ، وهو كتاب فى فروع الشافعية (٢) .
- ٣- شرح منهاج الطالبين للنووى (٣).

١ - يراجع : هداية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون
لاسماعيل باشا البغدادي ، ط . دار الفكر ج١ ص ٢٥٠، والأعلام لخيرالدين
الزركلى، ط. دار العلم للملايين ، الرابعة ١٩٧٩ م ، ج٦ ص٦، وتاريخ الأدب
العربى لبروكلمان القسم الثامن (١٢ ، ١٣ أ) ص١٩٠، ومعجم المطبوعات العربية
والمعربة ليوسف سركىس ج١ ص١١٠٨، وكتاب الإقناع للخطيب الشربيني ج١
ص٤.

٢ - يراجع : الأعلام للزركلى ج٦ ص٦، وهداية العارفين ج٦ ص٢٥٠، وتاريخ
الأدب لبروكلمان القسم الثامن (١٢ ، ١٣ أ) ص١٩٠، والخطط التوفيقية الجديدة
ج١ ، ص٣٣٥، وكتاب الإقناع للخطيب الشربيني ص٤.

٣ - يراجع : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن
عبدالله القسطنطينى الرومى الحنفى ، الشهير بالملا كاتب الحلبى ، والمعروف بحاجى =
= خليفة ١٠١٧هـ - ١٠٦٧ م - ط . دار الفكر ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ج٢
ص١١٣٩، وهداية العارفين ج٦ ص ٢٥٠، وتاريخ الأدب لبروكلمان - القسم الثامن
ص١٩٠، ومعجم المطبوعات ج١ ص ١١٠٩ ، والخطط التوفيقية ج١ ص٣٣٥.

٤- مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، وبالهامش متن المنهاج أو
منهاج الطالبين للنووي؛ فقه شافعي - الميمنية ٣٠٨ في أربعة
أجزاء (١).

٥- مناسك الحج (فقه شافعي) بهامشه حاشية حسب الله المكي

٦- مصر (٥) وهي رسالة معدة للنشر موقعة النسب إليه (٢).

٧- شرح منهاج الدين في شعب الإيمان؛ وهو للشيخ الإمام أبي
عبدالله حسين بن الحسن الحلبي الجرجاني الشافعي المتوفى ٤٠٣ هـ،
وهو كتاب جليل في نحو ثلاث مجلدات، فيه أحكام كثيرة
ومسائل فقهية، وغيرها مما يتعلق بأصول الدين (٣).

٨- نور السجية في حل ألفاظ الأجرومية (٤).

٩- فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك (٥).

١٠- تقريرات الشربيني على المطول في البلاغة للتفتازاني (٦).

١١- شرح شواهد قطر الندى وبل الصدى، ويليه متن القطر في

-
- ١ - يراجع: كشف الظنون ١١٣٩، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠، ومعجم
المطبوعات العربية والمعربة ج ١ ص ١١٠٩، وكتاب الإقناع ج ١ ص ٤.
- ٢ - يراجع الإعلام للزركلي ج ٦ ص ٦، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١
ص ١١٠، وتاريخ الأدب لبروكلمان القسم الثامن ص ١٩٠، وكتاب الإقناع ج ١ ص ٥.
- ٣ - يراجع كشف الظنون ص ١١٣٩، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠، وتاريخ
الأدب لبروكلمان القسم الثامن ص ١٩١.
- ٤ - راجع هداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان القسم
الثامن ص ١٩١.
- ٥ - يراجع إيضاح المكنون ج ٢ ص ١٦١، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥.
- ٦ - يراجع الإعلام للزركلي ج ٦ ص ٦، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠، وكتاب
الإقناع للخطيب الشربيني ج ١ ص ٥، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة
ج ١ ص ١١٠٨.

النحو . (١)

12 - كتاب شرح البهجة في الفقه لابن الوردى. (٢)

13- رسالة في البسمة والحمد لله. (٣)

14- رسالة في بر الوالدين وصلة الرحم. (٤)

15- المواعظ الصفية على المنابر العليّة. (٥)

16- سواطع الحكم ؛ وهو شرح على حكم ابن عطاء الاسكندري. (٦)

17- "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير" وهو التفسير موضوع البحث الذى بين أيدينا، ويعرف بتفسير الخطيب الشربيني ؛ وهو فى أربع مجلدات، بهامشها فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن للشيخ زكريا الأنصارى - بولاق ١٢٢٩هـ - ، أربعة أجزاء ، بهامشها أنوار التنزيل للبيضاوى - الخيرية ١٣/١ أربعة أجزاء،

1 - تراجع: الأعلام للزركلى ج٦ ص٦ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان - القسم الثامن ص ١٩١ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ج١ ص ١١٠٩ ، وكتاب الإقناع ج١ ص ٥ .

2 - كتاب الإقناع للخطيب الشربيني ج١ ص ٥ .

3 - تاريخ الأدب لبروكلمان - القسم الثامن ص ١٩٠ .

4 - المرجع السابق ذاته .

5 - المرجع السابق ص ١٩١ .

6 - المرجع السابق ذاته .

وله ذكر فى الخزنة التيمورية ٣٩/١ ، وفهرست الكتب العربية المحفوظة
بالكتبخانة الخديوية ٧٨/١^(١).

وفاته :

”اختلفت المصادر حول تاريخ وفاة الخطيب الشربيني – رحمه الله –
فقد ذكرت بعض هذه المصادر التى ترجمت له أنه توفى فى عصر يوم
الخميس ثانى شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة من الهجرة الموافق
١٥٧٠م. وذكرت مصادر أخرى أنه توفى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ؛
ولذلك حينما تشير المراجع التى كتبت عنه إلى وفاته تقول : ” توفى فى
حدود” تنبيهاً على أن تاريخ الوفاة ليس مؤكداً بالسنة “^(٢)

التعريف بتفسير السراج المنير، ومنهج الخطيب الشربيني فيه:

الحديث عن منهج الشيخ الخطيب الشربيني فى التفسير يتطلب أن أعرف
بالكتاب، ووصفه، وهل هو مطبوع أو مازال مخطوطاً؟ وعرض بعض
المسائل التى تعبر عن منهجه ؛ كحديثه فى مقدمة تفسيره:

أولاً – التعريف بتفسير السراج المنير:

وصف الكتاب:

النسخة التى بين يديّ هى طبعة دار إحياء التراث العربى – بيروت
لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م – تحقيق أحمد عزّ وعناية

^١ – يراجع : كشف الظنون ص ١١٣٩، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠، وتاريخ
الأدب العربى – القسم الثامن ص ١٩٠، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١
ص ١١٠٨ ، وكتاب الإقناع ج ١ ص ٤ .

^٢ – يراجع : شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٨٤، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠،
والأعلام للزركلى ج ٦ ص ٦ وكتاب الإقناع ج ١ ص ٥ .

الدمشقي، وتتكون من ثمانية أجزاء، يبدأ الجزء الأول منها بمقدمة للمحقق يشرح فيها عمله في الكتاب ، وترجمة للمؤلف ، ولمحة عن علم التفسير وتطوره منذ العهد النبوي الشريف ، وبعض المسائل المتعلقة به كالتأويل والإسرائيليات، ثم مقدمة المؤلف التي تبين سبب وضعه هذا التفسير ، ومنهجه الذي اشترطه على نفسه، ومقصده من هذا التفسير، ويبدأ الجزء الأول بتفسير أول القرآن (الفاتحة) وينتهي مع نهاية تفسير سورة (النساء)، ويقع في ٥٥١ صفحة، ويبدأ الجزء الثاني بتفسير سورة (المائدة) لينتهي مع نهاية تفسير سورة (التوبة)، ويقع في ٤٧٢ صفحة، ثم الجزء الثالث الذي يبدأ بتفسير سورة (يونس) وينتهي مع نهاية تفسير سورة (الإسراء) ويقع في ٤٩٦ صفحة، ثم الجزء الرابع ويبدأ بتفسير سورة (الكهف) لينتهي مع نهاية تفسير سورة (الفرقان)، ويقع في ٤٨٥ صفحة، ويليه الجزء الخامس الذي يبدأ بتفسير سورة (الشعراء) لينتهي مع نهاية تفسير سورة (الأحزاب) ويقع في ٣٩٩ صفحة، ويليه الجزء السادس ويبدأ بتفسير سورة (سبأ) لينتهي مع نهاية تفسير سورة (الجاثية) ويقع في ٤٨٨ صفحة، ويليه الجزء السابع ويبدأ بتفسير سورة (الأحقاف) وينتهي مع نهاية تفسير سورة (الطلاق) ويقع أيضاً في ٤٨٨ صفحة، ثم الجزء الثامن وهو الجزء الأخير من التفسير ويبدأ بتفسير سورة (التحریم) لينتهي بتفسير سورة (الناس) ثم خاتمة للمؤلف وأخرى لمصحح دار الطباعة، ويقع في ٤٨٥ صفحة ، وينتهي كل جزء من الأجزاء الثمانية بفهرس خاص به يعرض محتواه.

ثانياً – منهج الخطيب الشربيني في السراج المنير:

تأملات في مقدمة التفسير:

بدأ الإمام الشربيني تفسيره بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ ، وعلى جميع الأنبياء والملائكة وعلى آل النبي ﷺ وصحابته – رضوان الله عليهم – جميعاً.

ثم أوضح منزلة القرآن الكريم وفضله وإعجازه ككتاب سماوى ؛ فيقول رحمه الله^(١): ” إن الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيراً للمؤمنين ونذيراً للمخالفين ، أكمل به تبيان النبوة وختم به ديوان الرسالة، وأنزل عليه بفضله كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه ، ناطقاً ببيانات وحجج، قرأنا عربياً غير ذى عوج ، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية ، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية ، حسناته ظاهرة باهرة فى وجه كل زمان ، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان، أعجز الخليفة عن معارضته ، وعن الإتيان بسورة من مثله فى مقابلته ، ثم سهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسن قراءته ، أمر فيه وزجر ، وبشر وأنذر؛ فهو كلام معجز فى رقائق منطوقة وودقائق مفهومة ، لا نهاية لأسرار علومه“

ثم ذكر تخوفه من التفسير وتحرى الدقة فيه ؛ فقال: ” وقد ألف أئمة السلف كتباً فى معرفة أحكامه ونزوله ؛ كل على قدر فهمه ، ومبلغ علمه ، فشكر الله – تعالى – سعيهم ورحمهم كافتهم، ثم خطر لى أن أقتفى أثرهم وأسلك طريقهم ؛ لعل الله أن يرزقنى من مددهم ، ويعود على من بركتهم فترددت فى ذلك مدة من الزمان ؛ خوفاً من الدخول فى هذا الشأن ؛ لقوله

١- انظر : السراج المنير، ج١، ص ٢١.

ﷺ: (من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)^(١) وقول سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ: (من قال فى القرآن برأيه) وفى رواية بغير علم: (فليتبوا مقعده من النار)^(٢) “

سبب وضعه هذا التفسير:

ثم ذكر الإمام الشريبنى سبب وضعه لتفسيره (السراج المنير) فقال إنه استخار الله - تعالى - بعد أن صلى ركعتين فى روضة النبى ﷺ، وسأله أن يشرح صدره لذلك وييسره له ؛ فشرح الله له صدره، ولما رجع من سفره كتم ذلك فى سره ، حتى قال له شخص من أصحابه: إنه رأى فى المنام أن النبى ﷺ أو الشافعي يقول: قل لفلان يحمل تفسيراً على القرآن، ولم يمض

1 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء فى الذى يفسر القرآن برأيه جـ ٥ ص ٤٤ ح ٢٩٥٢ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل الحديث فى سهيل بن أبى حزم ؛ ينظر : سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : د. مصطفى محمد حسين الذهبى ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٠٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م . وأخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب العلم ، باب الكلام فى كتاب الله بغير علم جـ ٣ ص ١٥٨٠ ح ٣٦٥٢ ؛ ينظر : سنن أبى داود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داود سليمان بن الأشعث = السجستاني الأزدى ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ شرح ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

2 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء فى الذى يفسر القرآن برأيه جـ ٥ ص ٤٣ ح ٢٩٥٠ ، ٢٩٥١ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد فى مسنده جـ ٢ ص ٥٠٨ ح (٢٠٦٩) وقال محققه أحمد شاكر - : إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبي : وقال أحمد وغيره : ضعيف وردوا تصحيح الترمذى ؛ ينظر : المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ شرحه وصنع فهرسه حمزة أحمد الزين ط. دار الحديث - القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م الأولى .

عليه إلا القليل حتى قرر في وظيفة مشيخة تفسير في البيمارستان، ثم سأله بعد ذلك جماعة من أصحابه المخلصين ، وعلى اقتباس العلم مقبلين ، بعد أن رأوه فرغ من شرح " منهاج الطالبين " أن يجعل لهم تفسيراً وسطاً بين الطويل الممل، والقصير المخل، فأجابهم إلى ذلك مقتدياً بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاءً على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ، ما طال به العهد ، وقصر للطالبين فيه الجد والجهد ؛ تنبيهاً للمتوقفين، وتحريضاً للمتنبطين. (١)

ذكر الامام الشربيني في مقدمة تفسيره منهجه؛ فقال: " مقتصراً فيه على أرجح الأقوال ، و إعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، و ترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وأعاريب محلها كتب العربية، وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات ، فهو من السبع المشهورات ، وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوة مداركها أو لورودها ، ولكن بصيغة قيل ليعلم أن المرضى أولها. وسميته "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير" ثم قال : وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم وانتشرت آثارهم. (٢)

وقد سأل الله - عز وجل - من فضله وإحسانه أن يجعله عملاً مقروناً بالإخلاص والقبول ، وفعلاً متقبلاً مرضياً زكياً يعد من صالح الأعمال.

ثم يشرع في تفسير القرآن الكريم مبتدأً بفاتحة الكتاب الى آخر سورة الناس .

1 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٢ بتصرف.

2 - ينظر: المرجع السابق ذاته.

٣- مصادره فى التفسير:

اعتمد الخطيب الشربيني فى تفسيره على مصادر كثيرة من كتب التفسير والحديث واللغة والسيرة ، والذى أبغىه هنا الكشف عن بعض هذه المصادر التى رجع إليها فى كل فن من الفنون وأخذ منه.

وكتب التفسير بالرأى أهم مصادره فى تفسيره ؛ فقد نقل عن الزمخشري^(١) ، والرازي^(٢) ، والبيضاوى^(٣) ، والنسفى^(٤) ، وأبو حيان^(٥) ، والجلال المحلى^(٦) ، والبقاعى^(١) ، وغيرهم.

^١ - هو أبو القاسم : محمود بن عمر بن عمر الخوارزمي ، الإمام الحنفى المعتزلى ، الملقب بجار الله ، ولد عام ٤٦٧هـ ، توفى عام ٥٣٨ هـ ، له تصانيف بديعة فى شتى العلوم ، ومن أجلها تفسيره : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ؛ ينظر شذرات الذهب ج٤ ص ١٢١ .

^٢ - هو أبو عبد الله : محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن على ، التميمي ، البكرى ، الطبرستانى ، الرازى ، الملقب بفخر الدين المتوفى ٦٠٦ هـ ، له تصانيف كثيرة ؛ من أهمها تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ؛ ينظر : شذرات الذهب ج٥ ص ٢١ .

^٣ - هو ناصر الدين أبو الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد بن على ، البيضاوى ، توفى عام ٦٨٥ هـ ، تفسيره : أنوار التنزيل وأسرار التأويل فى التفسير ؛ ينظر : شذرات الذهب ج٥ ص ٣٩٢ .

^٤ - هو أبو البركات ، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى الحنفى ، له تصانيف معتبرة فى الفقه والأصول وغيرهما ، تفسيره يسمى : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، توفى عام ٧٠١ هـ ؛ ينظر : كشف الظنون ج٢ ص ٢٤٨ .

^٥ - هو أثير الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان ، الأندلسى ، ولد عام ٦٥٤ هـ ، وتوفى عام ٧٤٥ هـ ، تفسيره يسمى : البحر المحيط ؛ ينظر : كشف الظنون ، ج٢ ص ١٤٥ .

^٦ - هو جلال الدين ، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلى الشافعى ، ولد بمصر عام ٧٩١ هـ ، وتوفى عام ٨٦٤ هـ ؛ ينظر : شذرات الذهب ج٧ ص ٣٠٣ .

وقد اهتم أيضاً بالتفسير النقلى ؛ فنقل عن ابن جرير الطبرى^(٢)، والبعوى^(٣)، وابن كثير^(٤). كما نقل الكثير من أقوال الصحابة والتابعين ؛ مثل عائشة^(٥)، وعلى^(٦)،

١ - هو أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر البقاعى الشافعى، مؤرخ ، أديب ، أصله من البقاع فى سورية ، تفسيره : "نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور" ، ولد عام ٨٠٩هـ ، وتوفى عام ٨٨٥هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج١ ص ١٧٣ .

٢ - هو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى "أبو جعفر" ، المؤرخ ، المفسر ، الإمام ، ولد فى طبرستان عام ٢٢٤هـ ، وتوفى عام ٣١٠هـ ، تفسيره : جامع البيان فى تفسير القرآن ؛ ينظر : الأعلام للزركلى ج٦ ص ٦٩ .

٣ - هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوى ، الفقيه الشافعى المحدث المفسر الملقب بمحى السنة وركن الدين ، توفى عام ٥١٠هـ ، تفسيره هو: معالم التنزيل ؛ ينظر: كشف الظنون ج٢ ص ٢٨٥ .

٤ - هو الامام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن زرع البصرى ثم الدمشقى الفقيه الشافعى ، ولد عام ٧٠٠هـ ، وتوفى عام ٧٧٤هـ ، وتفسيره هو: تفسير القرآن العظيم؛ ينظر: شذرات الذهب ج٦ ص ٣٣١، ٣٣٢ .

٥ - هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنهما - زوج النبى صلى الله عليه وسلم - كانت - رضى الله عنها - أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً؛ كما قال عطاء بن أبى رباح ، توفيت عام ٥٧هـ ؛ ينظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق على البجاوى ، ط. دار الجيل بيروت ١٩٩٢ ، ج٤ ص ٤٣٥ .

٦ - هو الإمام على بن أبى طالب ، ابن عم النبى - صلى الله عليه وسلم - وزوج ابنته فاطمة الزهراء - رضى الله عنهما - وأول الصبيان إسلاماً ، آخر الخلفاء الراشدين الأربعة ، استشهد عام ٤٠هـ ؛ ينظر : الاستيعاب ج٣ ص ١٩٧ .

وابن مسعود^(١)، وأبو هريرة^(٢) - رضى الله عنهم - وابن عباس^(٣)، وابن عمر^(٤)، وجابر^(٥)، ومجاهد^(٦)، وقتادة^(١)، والسدي^(٢) - رحمهم الله - .

- 1 - هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبدالرحمن الهزلى ، أول من جهز بالقرآن بمكة ، هاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وشهد كل المشاهد مع الرسول ﷺ ، وروى عنه الحديث ، توفى ٣٢ هـ ؛ ينظر: الاستيعاب ج ٣ ص ١١٠ .
- 2 - هو عبدالرحمن بن صخر الدوسى، أسلم عام خيبر وشهدا مع النبي ﷺ ولزمه رغبة فى العلم ، كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ، توفى بالمدينة عام ٥٧ هـ ؛ ينظر: الاستيعاب ج ٤ ص ٣٣٢ .
- 3 - هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، صحابى جليل، من أكابر العلماء بالفقه والحديث والتفسير فى صدر الإسلام ، وهو ابن عم النبي ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، كان يسمى البحر لسعة علمه ، ويسمى حبر الأمة، توفى سنة ٦٨ هـ بالطائف ؛ ينظر: الاستيعاب ج ٣ ص ٦٦ .
- 4 - هو عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشى ، العدوى ، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وهاجر قبل أبيه ، روى عن النبي ﷺ فأكثر ، توفى عام ٧٣ هـ ؛ ينظر: أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ، ط. دار الشعب ١٩٧٠ م ، ج ٣ ص ٣٤٠ .
- 5 - هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصارى ، السلمى ، من بنى سلمة ، وأحد المكثرين عن النبي ﷺ ، توفى عام ٧٤ هـ ؛ ينظر: الاستيعاب ج ١ ص ٢٩٢ .
- 6 - هو مجاهد بن جبير "أبو الحجاج" المكى شيخ القراء والمفسرين ، وكان أعلمهم بالتفسير ، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس ، توفى ١٠٣ هـ ؛ ينظر: شذرات الذهب ج ١ ص ١٢٥ .

واعتمد الخطيب الشربيني في شرح الكلمات القرآنية على كثير من علماء اللغة كالفراء^(٣)، والأخفش^(٤)، والزجاج^(٥)، و سيبويه^(٦)، وأبى البقاء^(٧).

أما مصادره في كتب الحديث فكثيرة أيضا مثل صحيح البخارى^(٨)،

1 - هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسى البصرى، المفسر، حافظ ضرير؛ قال عنه الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة، توفي ١١٧هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج ٥ ص ١٨٩.

2 - هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى "أبو الحمد" القرشى ذكره ابن حبان فى التقات، توفي عام ١٢٧هـ؛ ينظر: معجم المؤلفين ج ١ ص ٣٦٨.

3 - هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمى، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم باللغة والنحو وفنون الأدب، من مؤلفاته معانى القرآن، مشكل اللغة، توفي ٢٠٧هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج ٨ ص ١٤٥.

4 - هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى، مولى مجاشع، أخذ النحو عن سيبويه وصحب الخليل، توفي سنة ٢٢٥هـ؛ ينظر: إنباه الرواه على أنباء النحاة للقطبى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦ م، ج ٢ ص ٣٦.

5 - هو إبراهيم بن السرى بن سهل "أبو إسحاق"، النحوى، اللغوى، المفسر، له من الكتب: معانى القرآن، والإشتقاق، والعروض ومختصر النحو، توفي سنة ٣١١هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج ١ ص ٤٠.

6 - هو عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى ابن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد ابن مالل، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفرهودى الأزدى، وأخذ اللغة عن الأخفش الكبير وغيره، وله كتابه المنسوب إليه فى النحو؛ ينظر: إنباه الرواه على أنباء النحاة ج ٢ ص ٣٤٦.

7 - هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبى، البغدادى، عالم اللغة والأدب والفرائض وإعراب القراءات الشاذة، توفي ٦١٦هـ؛ ينظر: الأعلام ج ٤ ص ٨٠.

8 - هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة بن بردزبه، الإمام أبو عبد الله البخارى الجعفى مولاهم، الحافظ، العلم، صاحب الصحيح وإمام هذا الشأن والمعول على

وصحيح مسلم^(١)، والمسند لأحمد^(٢)، وسنن ابن ماجه^(٣)، وسنن الترمذى^(٤)،
وسنن النسائى^(٥) ،

صحيحه فى أقطار البلدان ، ولد سنة ٢٩٤ هـ ومات سنة ٣٥٦ هـ ؛ ينظر : طبقات
المفسرين للداودى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠ م ج٢ ص ١٠١-١٠٤ .

¹ - هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أبو الحسين ، حافظ ، من
أئمة المحدثين ، أشهر كتبه: صحيح مسلم ، والمسند الكبير ، والجامع ، وأوهام
المحدثين ، وغيرها ، توفي عام ٢٦١ هـ ؛ ينظر : الأعلام للزركلى ج٧ ص ٢٢١ .

² - هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني "أبو عبد الله" أحد الأئمة ، صاحب
المسند ، والزهد ، وفضائل الصحابة ، توفي عام ٢٤١ هـ ؛ ينظر : طبقات القراء
للسيوطى ج١ ص ١٨٩ .

³ - هو محمد بن يزيد الربيعي القزويني ، أبو عبد الله، ابن ماجه ، أحد أئمة الحديث ، من
أهل قزوين ، من تصانيفه: سنن ابن ماجه ، وتفسير القرآن ، وتاريخ قزوين ، توفي
عام ٢٧٣ هـ ، ينظر الأعلام للزركلى ج٧ ص ١٤٤ .

⁴ - هو أحمد بن شعيب بن علي النسائي الحافظ ، صاحب السنن ، شيخ الاسلام ، ناقد
الحديث ، توفي عام ٣٠٢ هـ ؛ ينظر : تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ لابن حجر
العسقلاني ، ط. دار المعرفة - بيروت - الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م ، ج١ ص ٨٠ .

⁵ - هو أحمد بن عيسى بن سورة السلمى الترمذى أبو عيسى ، من أئمة الحديث وحفاظه ،
من أهل ترمذ على نهر جيحون ، تتلمذ على البخارى ، توفي عام ٢٧٩ هـ ؛ ينظر :
الأعلام للزركلى ج٦ ص ٣٢٢ .

وسنن البيهقي^(١)، والطبراني^(٢)، وشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني^(٣)، وغيرها .

والمتتبع لتفسير الخطيب الشربيني يقف على مصادر مختلفة أخرى استفاد منها الشيخ ؛ مما يدل على سعة ثقافته وغازاة علمه .

مدى تطبيقه لمنهجه

يسهل على الباحث أن يضع منهجاً لبحثه وأن يشترط على نفسه ما شاء في هذا المنهج ، وكلما كان الباحث ملماً بنقاط بحثه ومحيطاً بما اشتمل عليه، كان مراعيًا لمنهجه وملتزماً بتطبيقه ، فيأتي البحث أكمل وأكثر نفعاً ، وقد عرضت منهجه في التمهيد ، كما ذكره في مقدمة تفسيره ، وقد خصصت لكل نقطة من هذه النقاط بحثاً مستقلاً ، ويبقى أن أبين مدى التزام الخطيب الشربيني بهذا المنهج وتطبيقه له ، فبعد المطالعة الدقيقة لتفسيره وجدته إلى حد كبير حريصاً على تطبيقه ويعنى بإبراز جوانبه في الغالب

¹ - هو أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر، من أئمة الحديث ، من مؤلفاته : السنن الكبرى والسنن الصغرى ، والترغيب والترهيب ، وفضائل الصحابة ، توفي سنة ٣٥٨هـ؛ ينظر : الأعلام للزركلي ج١ ص ١١٦ .

² - هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللاخمي الشامي ، أبو القاسم ، من كبار محدثين ، أصله من طبرية الشام ، له ثلاثة معاجم في الحديث ، وله كتب في التفسير ، توفي عام ٣٦٠هـ ؛ ينظر : الأعلام للزركلي ج٣ ص ١٢١ .

³ - هو أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلانى ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، ولع بالأدب والشعر ، ثم أقبل على الحديث ، ومن تصانيفه : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، والكافي الشافى في تخريج أحاديث الكشاف ، وألقاب الرواة ولسان الميزان ، توفي عام ٨٥٢هـ؛ ينظر : الأعلام للزركلي ج١ ص ١٧٨ .

الأعم عند تفسيره للآيات القرآنية ، إلا أن منهجه الذى اشتراطه على نفسه يشتمل على الخطوط الرئيسية لطريقته فى البحث ، فعند قراءة تفسيره نجد منهجه أكثر تفصيلاً لمسائل البحث المختلفة ، وقد أرسى تفسيره على أسس علمية واضحة تجمع بين المأثور والرأى الجائز ، وتدل على سعة علمه ، وإلمامه بمختلف العلوم واستيعابه لما يكتبه غيره ممن سبقه من العلماء .

فتفسير الإمام الخطيب الشربيني رغم أنه ليس بالطويل الممل إلا أنه لا يكاد يترك مبحثاً من مباحث التفسير إلا وتطرق إليها ، فقد اهتم ببيان مسائل كثيرة تتعلق بالتفسير وأجاد فى عرضها؛ ومن أهمها تفسير البسمة تفسيراً يتناسب مع مقاصد كل سورة ، والمناسبات بين السور والآيات ، والقراءات، وتوظيف القواعد اللغوية فى التفسير وغيرها.

وقد وفى الإمام الخطيب الشربيني بما اشتراطه على نفسه فى مقدمة تفسيره؛ فتفسيره حقا ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، ولم يقحم نفسه فيما لا يعنى المفسر من ذكر الأعراب التى لا تمت إلى التفسير بصلة.

إلا أنه اشتراط على نفسه ألا يذكر من الأحاديث إلا الصحيح والحسن، وذكر العديد من الأحاديث الضعيفة التى نبه عليها فى بعض المواضع ، وفى مواضع أخرى لم ينبه ، وكذلك ذكر الكثير من الأحاديث الموضوعة ؛ حتى تتبع فى نهاية كل سورة ما ذكره البيضاوى تبعاً للزمخشري فى فضائل السور لينبه عليها ، وأيضاً تفسيره ملء بالإسرائيليات التى يمر عليها دون تعليق أو تضعيف.

كما اشتراط الخطيب الشربيني على نفسه ألا يذكر من القراءات إلا السبعة المنوثرة، وأورد بعض القراءات الشاذة ، ولكنه نبه عليها.

والمطالع لتفسير الإمام الخطيب الشربيني يجده يتناول السورة القرآنية
بالتفسير على النحو التالي:

- يصدر السورة بذكر اسمها ، وقد يذكر اسماً آخر لها،وسر تسميتها،
وبيين كونها مكية أو مدنية.
 - يذكر عدد آياتها وعدد حروفها.
 - يفسر البسمة حسب مقاصد كل سورة وأهدافها.
 - ثم يشرع في تفسير الآيات مبيناً أسباب النزول ومعاني المفردات.
 - ويعرض الناسخ والمنسوخ.
 - ويلتمس المناسبات بين السور والآيات.
 - ويبين القراءات السبع فيها.
 - ويعرض أقوال السلف في التفسير وأقوال الفقهاء في الأحكام.
 - ويذكر آراء الفرق المختلفة مظهراً رأى أهل السنة والجماعة ،
ويستفيض في ذكر القصص.
 - ويختتم كل سورة بتتبع ما يذكره البيضاوى تبعاً للزمخشري من
أحاديث موضوعة في فضل السورة ، ويبين ما يصح من فضائلها.
- هذا على الإجمال منهج الخطيب الشربيني في تفسيره كما استقيته من
مطالعتي له ، وفي مباحث الرسالة تفصيل له.

تأثره بمن سبقه من المفسرين

اعتمد الإمام الخطيب الشربيني في تفسيره بصورة كبيرة على من سبقه من المفسرين ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره فقال^(١): "وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة روايةً ودرايةً، عن أئمةٍ ظهرت وبهرت مفخرهم، واشتهرت وانتشرت مآثرهم، جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد ﷺ .

كما أوضح ذلك في خاتمة تفسيره، حيث يقول عند انتهائه من التفسير^(٢):

"فدونك تفسيراً كأنه سبيكةٌ عَسَجَد^(٣)، أو دُرٌّ منضد^(٤) جمع من التفاسير معظمها"

فالمطالع لتفسير الشيخ الخطيب الشربيني يجده قد نقل عن العديد ممن فسروا قبله بالمأثور والرأى ؛ فمن المفسرين بالمأثور الذين نقل عنهم الطبريُّ والْبَغَوِيُّ، ومن فسروا بالرأى ونقل عنهم الرازي والزمخشريُّ والبيضاويُّ والنسفيُّ و أبو حيان والجلال المحليُّ والبِقاعيُّ وغيرهم، إلا أنه كثيراً ما يعتمد على التفسير الكبير للفخر الرازي ؛ فالمطالع لتفسير الشيخ الشربيني يجده يكثر من النقل عن تفسير الفخر الرازي ، ويختار ترجيحاته، ويميل لأرائه.

1 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٤٨٠ .

3 - العسجد: هو الذهب، وقيل: هو اسم جامع للجواهر كله من الدر والياقوت، ينظر لسان العرب لابن منظور ، مادة " ع ، س ، ج ، د " ج ٣ ص ٢٩٠ .

4 - نضد الشيء : جعل بعضه على بعض متسقاً أو بعضه على بعض ؛ ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة " ن ، ض ، د " ج ٣ ص ٤٢٤ .

وعندما ينقل الشيخ الخطيب الشربيني عن غيره من المفسرين قد ينسب ما ينقله من أقوال، وقد لا ينسبها ، وقد يناقش ما ينقله ويرجح، وقد يتعقب هذه الآراء بالتضعيف ويردها . وسأعرض اتجاهاته فى النقل عن المفسرين بالأمثلة فيما يأتى:

١- عرض الأقوال ونسبها لقائلها:

كثيراً ما ينسب الشيخ الخطيب الشربيني الأقوال إلى المفسرين الذين نقل عنهم:

● ومثال ذلك استدلاله بقول البقاعى عند تفسيره لقوله - تعالى - :
﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾^(١) إذ يقول الخطيب الشربيني^(٢): "ففى ذلك تذكير بإنعام الله - تعالى - عليهم وإنقاذ آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح فى السفينة. قال قتادة^(٣): "الناس كلهم من ذرية نوح ؛ لأنه كان معه فى السفينة ثلاث بنين سام وحام ويافث، فالناس كلهم من ذرية أولئك"، قال البقاعى^(٤): "لأن الصحيح أن من كان معه من غير ذريته ماتوا ولم يعقبوا . ولم يقل ذرية نوح ليعلم أنهم عقب أولاده المؤمنين لتكون تلك منة أخرى".

1 - سورة الإسراء : جزء من آية ٣ .

2 - ينظر: السراج المنير : ج٣ ص٤٠٥ .

3 - ذكره الطبرى فى تفسيره للآية نفسها ج١٥ ص ١٥ ؛ ينظر: جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ط. دار الجيل - بيروت .

4 - ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسن ابراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥ هـ خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٢٥ هـ - ١٩٩٥م الأولى ج٤ ص٣٣٤ .

● وعند إنتهائه من تفسير قوله - تعالى - ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾^(١) يذكر مسألة نقلًا عن الزمخشري فيقول^(٢): " قال الزمخشري^(٣): "فإن قلت: ما للتقابل لم يراع في قوله - تعالى - " ليسكنوا" و"مبصرًا" حيث كان أحدهما علة والآخر حالا؟ قلت: هو مراعى من حيث المعنى ، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف ؛ لأن معنى "مبصرًا" ليصبروا فيه طرق التقلب في المكاسب".

● وأيضًا عن إنتهائه من تفسير قوله - تعالى - ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾^(٤) ينقل تعليقًا عن البيضاوى فيقول^(٥): " قال البيضاوى^(٦): و لعله عقب به وعيد المسيئين لئلا ييأس صاحبُ الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى".

● وينقل عن الزمخشري والبقاعي عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَكَفَدَ مَكَانَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَانَكُمْ فِيهِ ﴾^(٧)

1 - سورة النمل : جزء من آية ٨٦.

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص١١٤.

3 - ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبى الفاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخورزمي ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ، وبآخره "تنزيل = الآيات على الشواهد من الأبيات " للعالم المدقق محب الدين أفندي ، ط. دار الفكر ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م الأولى ج٣ ص١٦١.

4 - سورة النجم : جزء من آية ٣٢.

5 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص٢٠٢.

6 - ينظر: حاشية محيي الدين شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى الحنفى المتوفى سنة ٩٥١ على تفسير القاضى البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عيد القادر شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م الأولى ج٨ ص٢١.

7 - سورة الأحقاف : جزء من آية ٢٦.

فيقول^(١): " تنبيهه: قال البقاعي^(٢): " وجعل النافى "إن" ؛ لأنها أبلغ من "ما" لأن ما تنفى تمام الفوت، لتركيبتها من الميم والألف التى حقيقة إدراكها فوت تمام الإدراك. وإن تنفى أدنى مظاهر مدخولها، فكيف بما وراءه من تمامه ؟ لأن الهمزة أول مظهر لفوت الألف والنون لمطلق الإظهار— هذا إلى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار، إلى غير ذلك من بديع الأسرار " أ.هـ

وقال الزمخشري^(٣): " إن نافية ؛ أى: فيما ما مكناكم فيه ؛ إلا أن "إن" أحسن فى اللفظ ، لما فى مجامعة ما بمثلها من التكرار المستبشع ومثله مجتنب. ألا ترى أن الأصل فى مهما: ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب فى قوله:

لعمرك ماما بان منك لضارب^(٤)

وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال:

لعمرك ما إن بان منك لضارب.وقد جعلت "إن" صلة مثلها فيما أنشده الأخفش رحمه الله:

يُرْجَى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخُطوب^(٥)

1 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢٥.

2 - ينظر: نظم الدرر للبقاعي جـ ٧ ص ١٣٨.

3 - ينظر: الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٥٢٥.

4 - صدر بيت للمتنبى: " يَرَى أَنْ مَا مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ بِأَقْتَلَ مَمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبٍ " ، وهو من الطويل ؛ ينظر: ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى ،المسمى بالنتيان فى شرح الديوان - ط. مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦ م حرف الباء جـ ١ ص ١٥٨ .

5 - البيت من الوافر فى خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ. ط. مكتبة الخانجي ،القاهرة ،تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ،الثانية جـ ٨ ص ٤٤٠، وقال إن المشهور فيه"يرجى المرء ما إن لا

وتؤول بأننا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول“.

٢- عَرَضُ الْأَقْوَالِ غَيْرِ مَنْسُوبَةِ لِقَائِهَا:

● ومثال ذلك التنبيه الذى ذكره بعد انتهائه من تفسير قوله - تعالى - :
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾^(١) حيث يقول^(٢): ” تنبيه: أكثر المفسرين على أن المراد
بالكتاب القرآن، وقيل: إن المراد جنس الكتاب“.

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ
التَّنَادِ ﴾^(٣) يقول^(٤): ”وقوله ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ أجمع المفسرون أنه يوم البعث“.

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾^(٥) يقول^(٦): ”أى: بسبب إقامة الحق، وقيل: خلقهما بكلامه
الحق الذى هو قوله تعالى: ”كن““.

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أُمَّ الْقُرَى ﴾^(٧) يقول الخطيب
الشربيني: (١) ” وسميت أم القرى لأنها قبلة أهل القرى ومَحَجُّهُمْ ومَجْتَمِعُهُمْ
وأعظم القرى شأنًا . ولبعض المجاورين:

بلاقي“، وشرح شواهد الكشاف جـ ٤ ص ٣٤٣، ٣٤٤ وقال : أنشده الأخفش من شعر
إياس بن الأرت.

1 - سورة فاطر : جزء من آية ٣٢ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٧٨ .

3 - سورة غافر : جزء من آية ٣٢ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٣٠٨ .

5 - سورة الأنعام : جزء من آية ٧٣ .

6 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ١٢٥ .

7 - سورة الأنعام : جزء من آية ٩٢ .

فَمَنْ يُقِ فِي بَعْضِ الْقُرَيَّاتِ رَحْلَهُ فَأَمُّ الْقُرَى مُلْقَى رَحَالِي وَمُنْتَابِي^(٢)

وقيل: لأن الأرض دحيت من تحتها ، أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس“.

وتلك بعض أمثلة من مواضع كثيرة لا ينسب الشيخ الخطيب الشربيني فيها الأقوال لأصحابها ؛ فتارة ينسبها إلى المفسرين بالإجماع أو أكثرهم أو يصدرها بصيغة قيل ، خاصة إذا كان الرأي عنده هو الأضعف ؛ ليبيّن أن المذكور أولاً هو المختار عنده.

٣- يعرض الأقوال ولا يناقشها:

والشيخ الشربيني - مع حرصه على جمع ما يستطيع من آراء تفيد في تفسير الآية وبيان المعاني المختلفة - يعرض في الغالب الأعم هذه الآراء دون مناقشتها أو ترجيح أحدها.

● ومثال ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٣) حيث يقول^(٤): "قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقال الزهري^(٥): اللطيف الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف

1 - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ١٣٦.

2 - البيت من الطويل ، للزمخشري ، واستدل به عند تفسيره لسورة الأنعام (ولتتذر أم القرى)؛ ينظر: شرح شواهد الكشاف في نهاية تفسير الكشاف ج ٤ ص ٣١٧ .

3 - سورة الأنعام : جزء من آية ١٠٣ .

4 - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ١٣٦.

5 - هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري ، وكنيته أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من روعوس الطبقة الرابعة ، مات سنة خمس وعشرين ، وقيل قبل ذلك

الموصل الشيء بالرفق واللين، وقيل: اللطيف الذى ينسى العباد ذنوبهم لئلا يخلجوا“.

● وأيضًا يعرض الآراء دون مناقشتها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ ﴾^(١)

حيث يقول^(٢): ” قال ابن جريج^(٣): أى: من القرآن، وقيل: مما ألقى الشيطان على رسول الله ﷺ يقولون فما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها، وقيل: من الذين وهو الصراط المستقيم“.

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾^(٤) قال الخطيب الشربيني^(٥): ” ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من هم؟ فقيل: هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحارث ابنا هشام، وعقبة وشيبة ابنا ربيعة؛ وغيرهم ، وقيل: كفار قريش ، وقيل : أهل الكتاب ، وقيل : كل كافر؛ لأنهم ستروا أنوار الأدلة وضلوا على علم“.

بسنة أو سنتين ؛ ينظر: تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلانى - ط . دار المعرفة بيروت ، الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، ج٢ ص٢٠٧ .

1 - سورة الحج : جزء من آية ٥٥ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص٣١١ .

3 - هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مولاهم ، الأموى بالولاء ، أبو الوليد وأبو خالد ، فقيه الحرم المكى ، وإمام أهل الحجاز فى عصره ، أول مكى رتب الأحاديث ترتيبًا منهجيًا ، قال عنه أحمد بن حنبل : ” كان من أوعية العلم ” وقال الذهبي : ” كان ثباتًا ، لكنه بدلس ” له ” تفسير القرآن ” ولد سنة ٨٠ هـ ومات سنة ١٥٠ هـ ؛ ينظر معجم المفسرين لعادل نويهض ج١ ص٣٣٣ .

4 - سورة محمد : آية ١ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص٣٥ .

٤- يعرض الأقوال ويختار الأظهر منها ويرد الضعيف :

- ومثال ذلك ردّه (تضعيفه) رأى البيضاوى عند ذكره للقراءات فى قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾^(١) حيث يقول^(٢): ” وقرأ غير حمزة بالنصب عطفًا على "الله" — تعالى ؛ فالعامل فيه اتقوا كما قدرته أو معطوف على محل الجارّ والمجرور؛ كقولك: مررت بزيد وعمراً، وأما حمزة فقرأ بالجر عطفًا على الضمير المجرور، وقول البيضاوى^(٣): وهو ضعيف أى: كما هو مذهب البصريين ممنوع ، والحق أنه ليس بضعيف ؛ فقد جوّزه الكوفيون، وكيف يكون ضعيفًا والقراءة به متواترة؟ فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين، وتعليهم عدم الجواز بكونه كبعض كلمة لا يقتضى إلحاقه به فى عدم جواز العطف ؛ إذ حذف الشيء مع القرينة جائز ومنه :
رَسْمٌ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَّةِ^(٤)
أى: ورب رسم دار وقول الشاعر:
أذهب فما بك والأيام من عجب^(٥)“.

- وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾^(٦) يختار رأيًا يرى أنه الأظهر حيث يقول^(١): ” ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ هو الله —

1 - سورة النساء : جزء من آية ١ .
2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٤٣٦، ٤٣٥ .
3 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى ج٣ ص٢٤٧ .
4 - صدر بيت لجميل بثينة ، وعجزه: (كِدْتُ أَقْضِي الْعِدَاةَ مِنْ جَلَّةٍ) ، وهو من الخفيف؛ ينظر: ديوان جميل ، شعر الحب العذرى ، جمع وتحقيق وشرح د.حسين نصار — ط. مكتبة مصر ، حرف اللام ص ١٨٧ .
5 - عجز بيت من البسيط ، وصدّره " فالיום قد صرت تهجونا وتشتمنا" ، ذكره محى الدين شيخ زاده بلا نسبة فى حاشيته على البيضاوى ج٣ ص٢٤٨ .
6 - سورة الرعد : جزء من آية ٤٣ .

تعالى . قال الحسن: لا والله لا يعنى إلا الله ، والمعنى كفى بالله الذى يستحق العبادة، وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح إلا هو شهيداً بينى وبينكم، وهذا أظهر كما استظهره البقاعى^(٢)، وإن كان عطف الصفة على الموصوف خلاف الأصل إذ يقال: شهد بهذا زيد الفقيه، لا زيد والفقيه؛ لأنه جائز فى الجملة، وقيل: معناه: أن علم أن القرآن الذى جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر؛ لما فيه من الفصاحة والبلاغة والإخبار عن الغيوب وعن الأمم الماضية ؛ فمن علمه بهذه الصفة كان شهيداً بينى وبينكم والله أعلم بمراده“.

● وكذلك يعرض الآراء فى معنى الغرائيق ويختار ما يراه أحسنها فيقول^(٣): ”وعلى القول بها قد سلك العلماء فى ذلك مسالك أحسنها أن النبى ﷺ كان يرتل القرآن فارتصده الشيطان فى سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمتها بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها، وقال البيضاوى بعد أن ذكر بعض هذه القصة^(٤): وهو مردود عند المحققين، وإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المترزل فيه، انتهى. قال ابن الأثير^(٥) والغرائيق هنا الأصنام، وهى فى الأصل للذكور من طير الماء، واحدها غرنوق وغرنيق ، سمي به لبياضه ، قال: وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلق إلى السماء

1 - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٢٤٢.

2 - ينظر: نظم الدرر للبقاعى ج ٤ ص ١٦٤ .

3 - ينظر السراج المنير : ج ٤ ص ٣١٠.

4 - ينظر حاشية زادة على البيضاوى : ج ٦ ص ١٢٤.

5 - هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى أبو السعادات مجد الدين، المحدث، اللغوى، الأصولى ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ، من كتبه الإنصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف فى التفسير ، أحاديث الرسول جمع فيه الكتب الستة والمختار فى مناقب الأخيار، توفى عام ٦٠٦ هـ ، ينظر: الأعلام ج ٦ ص ٥٢ .

السماء وترتفع ، وقيل: تمنى أى: قرأ ، كقول حسان فى حق عثمان ابن عفان:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ تَمَنَّى دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ^(١)

أى على تأنّ وتمهّل“.

هذا وقد تتبع الشيخ الخطيب الشربيني كل ما ذكره البيضاوى تبعاً للزمخشري فى فضائل السور ونبّه على كونه ضعيفاً أو موضوعاً، كما ردّ ما ذكره غيره من الدخيل فى القصص مما يُخل بعصمة الأنبياء؛ وكذلك ناقش آراء الفرق المخالفة لأهل السنة فى العقيدة ففندّها وردّها عليها، وقد بيّنت ذلك بالأمثلة المختلفة كلا فى مبحث خاص.

¹ - البيت من الطويل ، نسبه ابن منظور فى لسانه لحسان بن ثابت - رضى الله عنه - مادة "م، ن، ي" جـ ١٥ ص ٢٩٤ ، ولم أجده فى ديوان حسان ، و بلا نسبة فى شرح = شواهد الكشاف جـ ٤ ص ٤٩٥ ، وفى السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المعروفة بسيرة ابن هشام - ط. المكتبة القيمة ، القاهرة جـ ٢ ص ٩٧ ، نسبه لأبى عبيدة النحوى ، وقال "تمنى كتاب الله فى الليل خالياً" .

الفصل الأول منهجه فى التفسير

-٤٥-

ذکره للمأثور

يشمل التفسير بالمأثور ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والإيضاح لبعض آياته، و ما نقل عن النبى ﷺ، وما نقل عن الصحابة - رضوان الله عليهم - وما نقل عن التابعين، مما هو بيان لمراد الله عز وجل من النصوص القرآنية، وتفسير الشيخ الخطيب الشربيني جمع فيه مؤلفه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية إلا أنه غلب عليه جانب الرأى؛ ولهذا عدّه الذهبى ضمن كتب التفسير بالرأى، وقد اعتمد الخطيب الشربيني فى تفسيره السراج المنير على المصادر السابقة ، وسأعرض ذلك بالأمثلة من تفسيره فيما يلى:

١- تفسير القرآن بالقرآن:

المصدر الأول للتفسير هو القرآن نفسه، فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، فما أجمل من مكان فسّر وبين فى مكان آخر، وما أوجز من مكان بسط فى مكان آخر، وما جاء مطلقاً فى ناحية قد يلحقه التقييد فى ناحية أخرى، وما كان عاماً فى آية قد يدخله التخصيص فى أخرى.

لذلك كان لابد لمن يفسر القرآن أن يرجع إلى القرآن نفسه أولاً، وأن يكون لديه القدرة على جمع الآيات ذات الموضوع الواحد، ومقابلة بعضها ببعض ليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، ويفهم ما جاء مجملاً بما جاء مبيناً، وبهذا يفهم مراد الله - عز وجل - لأن صاحب الكلام أعلم بمعانى كلامه^(١)

وقد اعتمد المفسرون فى تفسيرهم للقرآن على القرآن نفسه كمصدر من مصادر التفسير التى استندوا إليها، ومنهم من أفرد تصنيفاً اقتصر فيه على

^١ - مستقى من : التفسير والمفسرون للذهبى ج١ ص ٤٢، ٤٣، ٢٨١.

تفسير القرآن بالقرآن - وهو الشيخ "محمد الشنقيطي"^(١) الذي جمع تفسيراً في تسعة مجلدات أسماه "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن".

والإمام الخطيب الشربيني من المفسرين الذين اهتموا بتفسير القرآن بالقرآن؛ فالمطالع لتفسيره يجده قد أكثر من هذا اللون من التفسير، ومن أهم الموضوعات والأهداف التي تطرق إليها من خلال تناوله لتفسير الآيات، بآيات آخر- توضيح معاني المفردات القرآنية وتفسير مجمل آية بأخرى، وحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، والجمع بين ما يتوهم أنه مختلف، وسأتناول كلا منها بالأمثلة فيما يلي:

١- بيان معاني المفردات:

يهتم الشيخ الخطيب الشربيني بشرح مفردات الآية القرآنية، ويعتمد في شرح الكلمات القرآنية أولاً على القرآن نفسه، ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٢) يشرح معنى الهدى في الآية الكريمة ويقابله بالمواضع الأخرى التي وردت في القرآن الكريم؛ فيقول^(٣): " تنبيه: هدى : أصله يتعدى باللام أو بالي ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الاسراء: ٩] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] فومل معاملة "اختار" في قوله - تعالى - : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ [الاعراف: ١٥٥] وقد يتعدى بنفسه كما هنا "أى: في آية الفاتحة" وهو حينئذ

^١ - هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى الشنقيطي، مفسر، باحث، من علماء شنقيط بموريتانيا، ولد وتعلم بها، واستقر مدرساً في المدينة وتوفي بمكة ١٣٩٣هـ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض ج٢ ص ٤٩٦ .

^٢ - سورة الفاتحة: آية ٦ .

^٣ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٣٣ .

محتمل لإضمار الحرف ولعدم إضماره . وهداية الله - تعالى - تتنوع أنواعًا لا يحصيها عدد كما قال - تعالى - : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤] [النحل: ١٨] ولكنها تنحصر في أجناس مرتبة ؛ الأول : إفاضة القوى التي يتمكن بها المؤمن من الاهتداء إلى مصالحة ؛ كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد، وإليه أشار - تعالى - إذ قال: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] أي: طريق الخير والشر. وقال: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [قصص: ١٧] ، والثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله - تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الاسراء: ٩] والرابع: أن يكشف لقلوبهم السرائر ويربهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة ، وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى - تعالى - بقوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] “

● وأيضاً عند تفسيره لمعنى الكتاب فى قوله - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾^(١) يتتبع المعنى فى الآيات القرآنية الأخرى ؛ فيقول^(٢): ” ليعلم أن هذا الكتاب المنزل هو ذلك الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ، والكتاب مصدر سمي به المفعول للمبالغة ، أو فعال بنى للمفعول كاللباس ، ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب ؛ لأنه مما يكتب، وأصل الكتب الضم والجمع، سمي الكتاب كتابًا ؛ لأنه جمع حرف إلى حرف . والكتاب جاء فى القرآن على وجوه ؛ أحدها: الفرض ؛ قال - تعالى - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

1 - سورة البقرة: آية ٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٠ .

الْفَصَاصُ ﴿ [البقرة: ١٨٧] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴿ [البقرة: ١٨٣] ﴿ إِنَّ
 الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿ [النساء: ١٠٣] وثانيها: الحجة
 والبرهان ؛ قال - تعالى - : ﴿ فَاتُّوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿
 [الصافات: ١٥٧] أى: برهانكم، وثالثهما: الأجل ؛ قال - تعالى - : ﴿ وَمَا
 أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿ [الحجر: ٤] أى أجل، ورابعها: بمعنى
 مكاتبة السيد رفيقه، قال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴿ [النور: ٣٣] “

● وعند شرحه لمعنى المقام فى قوله - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ
 مَقَامِي ﴿ (١) يقول (٢): ” أى: موقفى وهو موقف الحساب؛ لأن ذلك الموقف
 موقف الله الذى يوقف فيه عباده يوم القيامة، ونظيره ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ
 رَبِّهِ ﴿ [النازعات: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ
 [الرحمن: ٤٦] وقيل: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴿ [إبراهيم: ١٤] أى : خافنى؛
 فالمقام مقحم مثلما يقال: سلام على المجلس العالى ، والمراد السلام على
 فلان“.

● وكذلك عند تفسيره للصدع فى قوله - تعالى - : ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
 الصَّدْعِ ﴿ (٣) يقول (٤): ” أى: التى تتصدع عن النباتات والشجر والثمار
 والأنهار والعيون، نظيره: قوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿
 [عبس: ٢٦] الآية “

1 - سورة إبراهيم: آية ١٤ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٢٥٤ .

3 - سورة الطارق: آية ١٢ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٣١١ .

٢ - تفسير مجمل الآية بأخرى:

كثيراً ما يشرح الإمام الخطيب الشربيني الآية القرآنية بآيات قرآنية أخرى مطابقة لها ومؤكدة لمضمونها ؛ فيسوق من الآيات الأخرى ما يبرزها ويوضحها فيما ترمى إليه في مجال الشرح والاستشهاد ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾^(١) يقول^(٢): ” أى: استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ، وهى ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ [الاعراف: ٢٣] الآية “

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾^(٣) يقول^(٤): ” أى: يسهل عليكم أحكام الشرع، وقد سهل كما قال تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ [الاعراف: ١٥٧] “

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٥) يقول الشيخ الخطيب الشربيني^(٦): ” أى: لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها ﴿ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ من الشراب ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ بأن تصحوا ؛ منه كقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى ﴾ [الاسراء: ٣٢]، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] “

1 - سورة البقرة: آية ٣٧.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٨٦.

3 - سورة النساء: آية ٢٨.

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٦٤.

5 - سورة النساء: آية ٤٣.

6 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٧٧.

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾^(١) يقول^(٢): " أى: أردتم القيام إليها ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [النحل: ٩٨] عبّر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها؛ للإيجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة "

٣- الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف:

من تفسير القرآن بالقرآن: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف ، وقد عنى الشيخ الخطيب الشربيني بالجمع بين ما يبدو أنه مختلف ، ونفى الاختلاف بين الآيات القرآنية، وإبراز الوحدة بينها ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا ﴾^(٣) يقول^(٤): " أى: مما عملوه؛ لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقال الحسن: إنها مواطن ؛ ففي مواطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همسا، وفي مواطن يتكلمون ويكذبون ويقولون: ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء، وفي مواطن يسألون الرجعة، وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم؛ وهو قوله - تعالى - " ولا يكتُمون الله حديثا" وقال سعيد بن جبير: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن شيئا يختلف على ؛ فقال: هات ما اختلف عليك قال: قال الله - تعالى - : ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الطور: ٢٥] وقال - تعالى - : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا ﴾ وقال: ﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الانعام: ٢٣] فقد كتموا، وقال - تعالى - : ﴿ أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾

1 - سورة المائدة: آية ٦ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٧٧ .

3 - سورة النساء: آية ٤٢ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٧٦ .

[النازعات: ٣٠] فذلك خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى ﴿طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ، وقال - تعالى - : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤] وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٩] فكأنه كان قد مضى - فقال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما: " فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون " فى النفخة الأولى . قال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿فَلَا أَنْسَابَ﴾ عند ذلك ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فى النفخة الآخرة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠] وأما قوله: "والله ربنا ما كنا مشركين"، "ولا يكتُمون الله حديثا" فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم؛ فقال المشركون: تعالوا نقل: لم نك مشركين، فيختم على أفواههم فتتطق أيديهم وأرجلهم ؛ فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتُم حديثا، وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض. وخلق الأرض فى يومين، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن فى يومين آخرين، ثم دحا الأرض فى يومين ، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والأكام وما بينهما فى يومين آخرين ؛ فقال: خلق الأرض فى يومين، فخلقت الأرض وما فيها من شىء فى أربعة أيام وخلقت السموات فى يومين. وكان الله غفورا رحيمًا ؛ أى: لم يزل كذلك ؛ فلا يختلف عليك القرآن ؛ فإن كلا من عند الله ".^(١)

¹ -أخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب : التفسير ،تفسير سورة النساء ،جـ ٢ ص ٣٣٦ ح ٣١٩٨ وتفسير سورة المؤمنون جـ ٢ ص ٤٢٨ ح ٣٤٨٩ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبى؛ ينظر : المستدرک على الصحيحين للإمام الحافظ أبى عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابورى مع تضمينات الإمام الذهبى فى التلخيص والميزان والعراقى فى أماليه والمناوى فى فيض القدير وغيرهم من العلماء =

● وبعد انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً آمَنَتْ
فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١) قال (٢): " فإن قيل: قد حكى الله -
تعالى - عن فرعون أنه تاب في آخر الأمر ولم يقبل توبته، وحكى عن قوم
يونس أنهم آمنوا وقبل توبتهم ؛ فما الفرق بين الحالين؟ أجيب: بأن فرعون
إنما تاب بعد أن شاهد العذاب وهو وقت اليأس من الحياة، أما قوم يونس
فإنهم تابوا قبل ذلك؛ فإنهم لما ظهرت أمارات دلت على قرب العذاب تابوا
قبل أن ينزل بهم ولم يباشروهم، فكانوا كالمريض يخاف ويرجو العافية، وإن
الله - تعالى - قد علم صدق نياتهم في التوبة ؛ فقبل توبتهم ، بخلاف
فرعون فإنه لم يصدق في إيمانه ولا أخلص ؛ فلم يقبل منه "

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ
مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (٣) يقول (٤): " من صلصال" أى: من الطين الشديد اليابس
الذى لم تصبه نار، إذا نقرته سمعت له صلصلة ؛ أى: صوتا. وقال ابن

=الأجلاء ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م الثانية .

1 - سورة يونس: آية ٩٨ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص 58 .

3 - سورة الحجر: آية ٢٦ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

عباس^(١): هو الطين إذا نضب عنه الماء تشقق ، فإذا حرّك تقعقع. وقال مجاهد: هو الطين المنتن ، واختاره الكسائي^(٢).

وقال الفراء^(٣): هو طين خلط برمل فصار له صوت عند نقره. وقال الرازي^(٤): قال المفسرون: خلق الله - تعالى - آدم من طين فسوّره وتركه في الشمس أربعين ، فصار صلصالاً ، لا يدري أحد ما يراد به ، ولم يروا شيئاً من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح. "من حمأ" أي: طين أسود منتن "مسنون" أي: مصور بصورة الأدمى. وقال ابن عباس: هو التراب المبتل المنتن. وقال مجاهد: هو المنتن المتغير^(٥). قال البغوي^(٦): وفي بعض الآثار أن الله - تعالى - خمّر طينة آدم وتركه حتى صار متغيراً أسود ثم خلق منه آدم - عليه السلام - قال الخازن^(٧): والجمع بين هذه الأقوال على ما ذكره بعضهم أن الله - تعالى - لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الأرض ؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ثم إن ذلك التراب بله بالماء وحمأ حتى اسود وأنتن ريحه وتغير؛ وإليه الإشارة بقوله - تعالى - "من حمأ مسنون" ثم إن ذلك الطين الأسود المتغير صورّه الله صورة إنسان

١ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن - سورة الحجر، قوله - تعالى - : " من حمأ مسنون " جـ ١٤ ص ٦١ وهذا الأثر ضعيف، رواه كلهم ضعفاء .

٢ - ينظر: معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ للدكتور عيسى شحاتة عيسى - ط. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٨ م ص ١٧٥ .

٣ - ينظر: معاني القرآن للفراء جـ ٢ ص ٨٨ .

٤ - يراجع: التفسير الكبير للرازي جـ ١٩ ص ١٤٢، ١٤٣ .

٥ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جـ ١٤ ص ٦١ .

٦ - ينظر: تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن جـ ٣ ص ٦٤ .

٧ - ينظر: تفسير الخازن جـ ٣ ص ٦٤، ٦٥ .

أجوف ، فلما جف وبيس كانت تدخل فيه الريح ؛ فيسمع له صلصلة ؛ وإليه الإشارة بقوله - تعالى - : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤] وهو الطين اليابس يفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح ؛ فكان بشراً سوياً .“

● وبعد إنتهائه من تفسير - قوله تعالى - : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١) يقول^(٢) : ” فإن قيل: - قوله - تعالى - : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ [الزمر: ٤٢] يدل على أن المتوفى هو الله - تعالى - ويؤيده قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك: ٢] وقوله - تعالى - عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقال - تعالى - في آية أخرى: ﴿ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام: ٦١] فكيف الجمع؟ أجيب: بأن المتوفى في الحقيقة هو الله - تعالى - إلا أنه تعالى فوض كل نوع إلى ملك من الملائكة ؛ ففوض قبض الأرواح إلى ملك الموت وهو الرئيس وتحتة أتباع وخدم ؛ فأضيف التوفى في آية إلى الله - تعالى - وهي الإضافة الحقيقية، وفي آية إلى ملك الموت؛ لأنه الرئيس في هذا العمل ، وفي آية إلى: أتباعه .“

٤- حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص:

من تفسير القرآن بالقرآن أيضا تقييد المطلق، وتخصيص العام، وقد عنى الخطيب الشربيني بهذا الوجه من وجوه تفسير القرآن بالقرآن ؛ ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

¹ - سورة الزمر: آية ٤٢ .

² - ينظر: السراج المنير: ج 6 ص 264 .

● تقييده إحباط العمل بالردة - بالموت على الكفر عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾^(١) إذ يقول^(٢): " أى: بطلت "أعمالهم" أى: الصالحة "فى الدنيا والآخرة" فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله كما هو مذهب الشافعى - رضى الله - تعالى - عنه - خلافاً لأبى حنيفة - رضى الله - تعالى - عنه - حيث قال: إن الردة تحبط الأعمال مطلقاً ؛ لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ [المائدة: ٥] وأجيب: بأنه محمول على المقيد عملاً بالدليل ؛ فلا يجب عليه أن يعيد الحج الذى أتى به قبل الردة ؛ كذا غيره، لكن يبطل ثوابه كما نص عليه الشافعى - رضى الله - تعالى - عنه - وإن خالف فيه بعض المتأخرين " .

● ومثال ذلك أيضاً تقييده تحريم الدم بالمسفوح فى سورة المائدة حملاً على تقييده فى سورة الأنعام ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ﴾^(٣) يقول^(٤): " أى: المسفوح ؛ قال - تعالى - : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾^(٥) وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها " .

● ومثال حملة المطلق المقيد أيضاً تقييده الرقية بالمؤمنة فى كفارة الظهار ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾^(٦) يقول^(٧) "رقية"

1 - سورة البقرة: آية ٢١٧ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٢٢، ٢٢٣ .

3 - سورة المائدة: آية ٣ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٨ .

5 - سورة الأنعام: آية ١٤٥ .

6 - سورة المجادلة: آية ٣ .

7 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٣٣٥ .

مؤمنة؛ فلا تجزىء كافرة؛ قال - تعالى - في كفارة القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] وألحق بها غيرها قياساً عليها بجامع حرمة سببيهما من القتل والظهار - أو حملاً للمطلق على المقيد؛ كما في حمل المطلق فى قوله - تعالى -: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] على المقيد فى قوله - تعالى -: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].

● ومثال حملة العام على الخاص تخصيصه عدة المطلقة غير المدخول بها عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(١) فيقول بعد انتهائه من تفسيرها^(٢): "قال البيضاوى^(٣): ولعل الحكم لما عمّ المطلقات ذوات الإفرء تضمن معنى الكثرة، فحسن بناء الكثرة ووجوب ذلك فى المدخول بهنّ، أمّا غيرهنّ فلا عدة لهنّ؛ لقوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] وفى غير الأيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر، والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن؛ كما فى سورة الطلاق^(٤)."

وأيضاً تخصيصه عدة الحامل المتوفى عنها زوجها عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٥) يقول^(٦): "وهذا فى غير الحوامل أما هن فعدتهن أن يضعن حملهن بأية الطلاق".

1 - سورة البقرة: آية ٢٢٨.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٣٣.

3 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى ج٢ ص ٥٤٨.

4 - يقصد قوله تعالى: "واللائى يئسن من المحيض من نساءكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن..." الآية ٤ من سورة الطلاق.

5 - سورة البقرة: آية ٢٣٤.

6 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٤٢.

٢- تفسير القرآن بالسنة

السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للتفسير بعد القرآن الكريم ؛ فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يلجأون إلى النبي ﷺ إذا أشكلت آية من كتاب الله فيبين لهم ما خفى عليهم ، وإذا رجعنا إلى كتب السنة النبوية المطهرة وجدناها قد أفردت أبواباً للتفسير بين الأبواب التي اشتملت عليها، ذكرت فيها كثيراً من التفسير المأثور عن النبي ﷺ .

فكما فسّر القرآن بعضه ببعض فكذلك جاءت السنة مفسرة لكثير من القرآن، وقد شهد القرآن الكريم بهذا ؛ إذ يقول - عز وجل :-

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١)
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٢)

وقد أكثر المفسرون من الاستدلال بما ورد في السنة من إيضاح ما أبهم وتفصيل ما أجمل وبسط ما أوجز في القرآن الكريم ، وحاولوا جمع ما تيسر مما نقل عن النبي ﷺ لبيان وتوضيح مراد الله - تعالى - من نصوص كتابه الكريم.

وقد أكثر الشيخ الخطيب الشربيني من الاستدلال بالسنة ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ اهتمامه الشديد بتفسير الآيات الكريمة بالمأثور عن النبي ﷺ ، ويتضح ذلك من اتجاهاته التي استخلصتها من كتابه "السراج المنير" والتي أعرضها فيما يلي بالأمثلة:

1 - سورة النحل: آية ٤٤ .

2 - سورة الحشر: آية ٧ .

١ - بيان معنى كلمة أو متعلقها:

أكثر الشيخ الخطيب الشربيني من استقصاء المعانى اللغوية لمفردات القرآن الكريم وبيان غريبها ، واستند إلى الحديث الشريف لبيان معانى الكلمات فى الآيات القرآنية وإيضاح ما ترمى إليه ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لمعنى "الفوقية" فى قوله - تعالى - : ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾^(١) يقول^(٢): "أى: ما زاد على البعوضة فى الجنة كالذباب والعنكبوت ، والمعنى أنه لا يستحى من ضرب المثل بالبعوضة فضلاً عما هو أكبر منه ، أو المعنى الذى جعلت فيه مثلاً وهو الصغر والحقارة كجناحها؛ فإنه - عليه الصلاة والسلام - ضرب جناحها مثلاً للدنيا بقوله فى خبر الترمذى : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء)^(٣) ، ونظيره فى احتمال الفوقية للجنة و للمعنى ما روى البخارى وغيره: أن رجلاً يميناً خر على طناب فسقط ؛ فقالت عائشة - رضى الله - تعالى - عنها - : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه خطيئة)^(٤)

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٦ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٧٢ .

3 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب: الزهد، باب: ما جاء فى هوان الدنيا على الله - عز وجل - ج٤ ص ٢٩٢ وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، وأخرجه الترمذى أيضاً فى سننه - كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا ج٢ ص١٣٧٦-١٣٧٧ ح٤١٠ وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ج٦ ص١٧٨ ح٥٩٢١؛ ينظر: المعجم الكبير للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ٢٦٠ - ٣٦٠ هـ ، حققه وخرّج أحاديثه: حمدى عبد المجيد السلفى، الثانية، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب: الرقاق ج٤ ص ٣٤١، ٣٤٢ ح٧٨٤٧ وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

4 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب: المرضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر =

فإنه يحتتمل ما يجاوز الشوكة فى الألم كالسقوط على الطنب وما زاد عليها فى القلة كقرصة النملة . والطنب : حبل الخباء ، والفسطاط : بيت من شعر“ .

● وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾^(١) يقول^(٢): ” وهو أعلى الجنة ؛ عن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : (فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة ، منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون عرش الرحمن ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) (٣) “ .

● وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ ﴾^(٤) يقول^(٥): ” وفى المراد بالقوة أقوال : الأول: الرمى ، وقد جاءت

=العسقلانى شيخ الإسلام قاضى القضاة أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد المولود ٧٧٣ – ٨٥٢ هـ وثق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهرسه: طه عبد الرؤوف سعد، ط. دار الغد العربى – القاهرة ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م الأولى جـ ٤ ص ٥٠٦، ٥٠٧، ح ٥٦٤٨، وأخرجه مسلم فى صحيحه – كتاب : البر والصلة والآداب ن باب : ثواب المؤمن من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها جـ ٤ ص ٢٩٧ ح ٢٥٧٢؛ ينظر: صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ – ٢٦١ هـ حققه ورقمه ووضع فهرسه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. دار الحديث – القاهرة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م الأولى.

1 – سورة المؤمنون: جزء من آية ١١ .

2 – ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٣٢٨ .

3 – أخرجه الترمذى فى سننه – كتاب : الجنة ، باب : ما جاء فى صفة درجات الجنة جـ ٤ ص ٣٨٧ ح ٢٥٢٩ وسكت عنه ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک – كتاب : الإيمان جـ ١ ص ١٥٣ ح ٢٦٧ من حديث أبى هريرة ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى .

4 – سورة الأنفال: آية ٦٠ .

5 – ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٣٤٧ .

مفسرة به عن النبي ﷺ فيما رواه عقبة بن عامر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم ألا إن القوة الرمي ثلاثاً) (١) أخرجه مسلم، وعن أبي أسيد - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا: (إذا كتبكم بالنبيل) (٢) وفى رواية: (ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه ، وملاعبة أهله، ورميه بقوسه ؛ أى: نبلة، فإنهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه ، فإنها نعمة تركها أو كفرها) (٣) أخرجه الترمذى .

● وكذلك تفسيره الحساب اليسير بالعرض ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٤) يقول (٥): " هو عرض عمله عليه ؛ كما فسر فى حديث الصحيحين ، وفيه: (من نوقش الحساب هلك) وفى رواية: (من حوسب عذب) وقالت عائشة: أليس يقول تعالى : "فسوف

1 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الإمارة ، باب فضل : الرمي و الحث عليه و ذم من علمه ثم نسي جـ ٣ ص ٣٨٣ ح ١٩١٧ .

2 - أخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب الجهاد ، جـ ٢ ص ١٠٥ ح ٢٤٧١ بلفظ: "إذا كتبكم فارموا بالنبيل واستبقوا نبيلكم " وصححه الحاكم على شرط الشيخين وقال : أخرجه البخارى ، ووافقه الذهبى .

3 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : فضائل الجهاد ، باب : ما جاء فى فضل الرمي فى سبيل الله جـ ٣ ص ٥٧٤٢ ح ١٦٣٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود فى سننه - كتاب : الجهاد ، باب: فى الرمي جـ ٣ ص ١٠٨٨، ١٠٨٩ ح ٢٥١٣؛ ينظر : سنن أبى داود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدي ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م ، وأخرجه النسائى فى سننه - كتاب: الخيل ، باب: تأديب الرجل فرسه جـ ٣ ص ٥٧٤ ح ٣٥٨٠ ؛ ينظر : سنن النسائى بشرح الإمامين السيوطى والسندى ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م الأولى .

4 - سورة الإنشقاق: آية ٨ .

5 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٩٤

يحاسب حساباً يسيراً" فقال: (إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب عذب)^(١) وإنما حوسب حساباً سهلاً ؛ لأنه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة إلا ذهولاً؛ فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها".

● ومن ذلك أيضاً تفسير الكوثر في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾^(٢) يقول^(٣): " الكوثر: أى؛ نهراً في الجنة هو حوضه ﷺ ترد عليه أمته؛ لما روى عن أنس أنه قال: (بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءً ، ثم رفع رأسه مبتسماً؛ فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزل على أنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ إلى آخرها، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: فإنه نهر وعدنيه ربي خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، أنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم؛ فأقول ربي إنه من أمتي؛ فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك)^(٤)".

ثم يذكر سبعة أحاديث أخرى عن الحوض ، ويبين أن أحاديث الحوض كلها صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ،

¹ -أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : العلم ، باب : من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه وكتاب :التفسير "سورة إذا السماء انشقت"باب فسوف يحاسب حساباً يسيراً،وكتاب :الرفاق ،باب :من نوقش الحساب عذب ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ١٠٣ ح ١٤٠٣ ، جـ ١ ص ١١٠ ، ١١١ ح ٤٩٣٩ ، جـ ١٧ ص ٣٩٤ ح ٦٥٣٧ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : صفة الجنة ،باب : إثبات الحساب جـ ٤ ص ٥١٠ ، ٥١١ ح ٢٨٧٦ بنحو رواية البخارى التى فى العلم .

² - سورة الكوثر: آية ١ .

³ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٤٢ .

⁴ - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الصلاة ، باب : حجة من قال بالبسملة آية من أول كل سورة براءة جـ ١١ ص ٣٠٠ ح ٤٠٠ .

وأنه على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه ، وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة .“

وهكذا يفعل الشيخ الخطيب الشربيني عند تفسيره لكل آية كريمة ، يكاد لا يترك من السنة شيئاً ورد في معنى كلمة من كلماتها إلا ذكره.

٢- تأكيد معنى الآية:

للسنة النبوية فوائد متعددة ؛ منها : التأكيد ؛ وذلك بأن تأتي السنة موافقة لما جاءت به الآية ؛ فتكون السنة مؤكدة لما جاءت به ومقوية له ؛ ومن ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾^(١) يقول^(٢): ” فقالوا: حبة في شعرة ، ودخلوا يزحفون على أستاهم مخالفة في الفعل ، كما بدلوا القول.

روى معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: (قيل لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا ؛ فدخلوا يزحفون على أستاهم ، وقالوا: حبة في شعرة)^(٣) وفي رواية : في شعيرة “.

● وبعد انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(٤) يذكر حديثين شريفيين يبينان كيفية الخلق في الرحم؛

1 - سورة البقرة: آية ٥٩.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٠٣.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب : التفسير "سورة البقرة" وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً... الآية ، وسورة الأعراف، باب: قوله حطة؛ ينظر: فتح الباري ج١٢ ص ٤٧٠ ح ٤٤٧٩ ، ج١٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ح ٤٦٤١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : التفسير ج٤ ص ٦١٩ ح ٣٠١٥.

4 - سورة آل عمران: آية ٦.

فيقول^(١): "قال عبد الله بن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك، أو قال: يبعث إليه الملك، بأربع كلمات؛ فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد، وقال: إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل الجنة؛ فيدخلها"^(٢).

وروى أنه ﷺ قال: (يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم أربعين أو خمسين وأربعين ليلة فيقول: يارب، شقى أم سعيد؛ فيكتبان؛ فيقول: أي رب، ذكر أو أنثى؛ فيكتبان؛ فيكتب عمله وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف؛ فلا يزداد فيها ولا ينقص)^(٣)."

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(٤) يقول^(٥): "أي: متكبراً على الناس من أقاربه وأصحابه وجيرانه وغيرهم ولا يلتفت إليهم "فخوراً" أي: يتفاخر عليهم بما آتاه الله.

¹ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٣٠٩.

² - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، وكتاب: القدر، باب: رقم ١؛ ينظر: فتح الباري جـ ٩ ص ٥٩٥ ح ٣٣٣٢، جـ ١٧ ص ٤٨٨ - ٥٠٣ ح ٦٥٩٤، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: القدر؛ باب: كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته جـ ٤ ص ٣٤٠ ح ٢٦٤٣.

³ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله جـ ٤ ص ٣٤١ ح ٣٦٤٤.

⁴ - سورة النساء: جزء آية ٣٦.

⁵ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٧٢، ٢٧٣.

روى أنه ﷺ قال: (بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه ؛ خسف به الأرض ؛ فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة) (١) وفي رواية: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء) (٢) .“

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣) يقول (٤) : ” أى: ليكون حالهم فى مجارى العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة ، وأما التوحيد فلا عذر لأحد فيه مع إقامة الله - تعالى - من حجة العقل ومع ما أتقنه الرسل - عليهم الصلاة والسلام - آدم فمن بعده من أوضح النقل بآثار دعواتهم وبقايا دلالاتهم ؛ ولذلك قال ﷺ لمن سأله عن أبيه: (أبى وأبوك فى النار) (٥) وغير ذلك من الأدلة الدالة على أن من مات قبل دعوته على الشرك فهو فى النار“ . ● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (٦) يقول (٧) : ” يمحق الله الربا“ أى: يذهب بركته ويهلك المال الذى

1 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : اللباس ، باب : تحريم التبخر فى المشى مع إعجابه بثيابه جـ ٣ ص ٥١٩ ح ٢٠٨٨ .

2 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : اللباس ، باب : قوله تعالى "قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، ينظر : فتح البارى جـ ١٦ ص ٨٣ ح ٥٧٨٣ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : اللباس ، باب : تحريم جر الثوب خيلاء جـ ٣ ص ٥١٦ ح ٢٠٨٥ .

3 - سورة السجدة: جزء من آية ٣ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

5 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب : بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين جـ ١ ص ٢٠٠ ح ٢٠٣ .

6 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٧٦ .

7 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٩١ .

الذى يدخل فيه، وعن ابن مسعود : "الربا وإن كثر قل" (١) "ويربى الصدقات"
أى: يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه.

روى الشيخان أنه ﷺ قال: (إن الله - تعالى - يقبل الصدقة ويربها كما
يربى أحدكم فلوه) (٢) .

٣- بيان أحكام زائدة سكت عنها القرآن:

استند الخطيب الشربيني فى تفسيره إلى السنة لبيان أحكام جديدة ليست
فى القرآن، ولذلك أمر الله - عز وجل - بطاعة رسوله مع الأمر بطاعته
فى كثير من الآيات، وقد أمر رسول الله ﷺ معاذًا أن يرجع إلى السنة إذا لم
يجد الحكم فى الكتاب، ولو لم يكن فيها زيادة على ما فى الكتاب ؛ لما كان
هناك فائدة من الرجوع إليها ؛ ومن أمثلة ذلك:

• عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ
أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (٣) يقول (٤):

١ - أخرجه الحاكم فى المستدرک ج ٢ ص ٤٣، ٤٤ ح ٢٢٦٢ وقال هذا حديث صحيح
الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه ابن ماجه بنحوه ج ٢ ص ٣١٠ ح ٢٢٧٩ ؛ ينظر: سنن
ابن ماجه للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ٢٠٧ - ٢٧٥ هـ تحقيق : محمد
مصطفى عبد الباقي ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة من كسب طبيب
لقوله "ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم" ؛ ينظر: فتح البارى ج ٤
ص ٥٧٦، ٥٧٧ ح ١٤١٠، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الزكاة ، باب: قبول
الصدقة من الكسب الطبيب وتربيتها ج ٢ ص ١٣٠ ح ١٠١٤.

٣ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٣٤.

٤ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٤٢.

” وفي غير الإمام فإنهن على النصف من ذلك بالسنة “(١).

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ (٢) يقول (٣): ” وبينت السنة جواز الرهن فى الحضر ومع وجود الكاتب، فقد رهن رسول الله ﷺ درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير أخذه لأهله (٤) فالتقييد بما ذكر؛ لأن التوثق به أشد. وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا فى السفر؛ أخذا بظاهر الآية“.

١ - روى الترمذى فى سننه - كتاب : الطلاق واللعان ، باب : ما جاء أن طلاق الأمة تطليقتان، جـ ٣ ص ٣١٧ ح ١١٨٢ ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال ” طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيزتان ” وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا عن حديث مظاهر بن أسلم ، والدارمى فى سننه - كتاب : الطلاق ، باب : فى طلاق الأمة جـ ٢ ص ١٧ ح ٢٢٩٤ وقال أبو عاصم : سمعته من مظاهر ؛ ينظر سنن الدارمى للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى ١٨١ - ٢٥٥هـ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م الأولى، وأخرجه أبو داوود فى سننه - كتاب الطلاق ، باب : فى سنة طلاق العبد ، جـ ٢ ص ٩٣٩ ح ٢١٨٩ وقال أبو داوود: هذا حديث مجهول ، وابن ماجه فى - كتاب : الصلاة ، باب : فى طلاق الأمة وعدتها جـ ٢ ص ٢٣٨ ح ٢٠٧٩ ، والحاكم فى المستدرک جـ ٢ ص ٢٢٣ ح ٢٨٢٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٣ .

٣ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٩٩ .

٤ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : الجهاد ، باب : ما قيل فى درع النبى ﷺ والقميص فى الحرب عن عائشة رضى الله عنها ، وفى كتاب المغازى باب رقم ٧٩؛ عن عائشة رضى الله عنها قالت : ” توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير. ” ؛ ينظر: فتح البارى جـ ٩ ص ٥٤، ٥٥ ح ٢٩١٦، جـ ١٢ ص ٤٤٥ ح ٤٤٦٧ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾^(١) يقول^(٢): " ويلحق بذلك بالسنة باقى السبع؛ لخبر الصحيحين:

(يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة)^(٣)، وفى رواية: (حرّموا من الرضاعة ما يحرم من الولادة) وفى رواية: (حرّموا من الرضاعة ما يحرم من النسب) ."

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾^(٤) يقول^(٥): " ويلحق بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من نسب أو رضاع ولو بواسطة، قال ﷺ: (لا تتكح المرأة على عمتها ، ولا العمّة على بنت أخيها، ولا المرأة على خالتها ، ولا الخالة على بنت أختها ؛ لا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى)^(٦) رواه الترمذى وغيره

1 - سورة النساء: جزء من آية ٢٣ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٤٥٦ .

3 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب: التفسير "سورة الأحزاب"باب قوله "إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان" إلى قوله تعالى " شهيدا "الآية بلفظ حرّموا من الرضاعة ما تحرمون من النسب وهو من قول عائشة رضى الله عنها ،وكتاب : الأدب باب قول النبى ﷺ تربت يمينك وعقرى حلقى بالرواية السابقة نفسها ؛ ينظر: فتح البارى ج١٣ ص٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ج ١٦ ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ح ٦١٥٦ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الرضاع ، باب : يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة ج٢ ص١٠٦٨ ح١٤٤٤ عن عائشة: مرفوعاً بلفظ أن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة، وفى رواية: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، وفى الباب بنفس رواية البخارى.

4 - سورة النساء: جزء من آية ٢٣ .

5 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٤٥٩ .

6 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : النكاح ، باب : ما جاء لا تتكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ج٣ ص٢٨٢ ، ٢٨٣ ح١١٢٦ وقال :هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود فى سننه - كتاب النكاح باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء =

وصحوه. ولما فيه من قطيعة الرحم، وإن رضيت بذلك ، فإن الطبع ، يتغير وإليه أشار ﷺ في خبر النهى عن ذلك بقوله: (إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامهن) (١) كما رواه ابن حبان وغيره . وضابط تحريم الجمع ابتداء ودواماً هو: كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع ولو فرضت إحداها ذكراً حرم الجمع بينهما بنكاح أو وطء بملك اليمين .“

● ومثال ذلك أيضا بيانه حكم الزانى المحصن عند تفسيره لقوله تعالى :- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (٢) فيقول (٣): ” ثم إنه - تعالى - ذكر في السورة أحكاماً كثيرة ؛ الحكم الأول: قوله - تعالى - :”الزانية والزانى“ أى: المحصنين لرجمهما بالسنة ، وأل فيما ذكر موصولة ، وهو مبتدأ ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ”فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة“ أى: ضربة ؛ يقال: جلده إذا ضرب جلده، ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام (٤)، والرقيق على النصف مما ذكر ،

=ج٢ ص ٨٨٣ ح ٢٠٦٥ ، وأخرجه أحمد فى مسنده - مسند على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بلفظ آخر ج١ ص ٤١٣ ح ٥٧٧ وقال محققه أحمد شاكر: إسناداه صحيح.

١ - أخرجه أبوداود فى المراسيل - كتاب : النكاح ، باب : ما جاء فى النكاح ص ٨٦ ح ٢١٧ لسنده عن عيسى بن طلحة قال : نهى رسول الله ﷺ أن تتكح المرأة على قرابتها مخافة القطيعة“ ، والطبرانى فى المعجم الكبير ج١١ ص ٣٣٧ ح ١١٩٣١ بسنده عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ أن تزوج المرأة على العمه، وعلى الخالة وقال : إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم .“

٢ - سورة النور: جزء من آية ٢ .

٣ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٦٥ .

٤ - روى مسلم فى صحيحه - كتاب: الحدود ،باب: حد الزنا ج٣ ص ١٨١ ، ١٨٢ ح ١٦٩٧ ، ١٦٩٨ عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى،أنهما قالا :إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أنشدك الله إلا قضيت لى بكتاب الله،فقال الخصم الآخر، وهو أفقه منه:نعم، فاقض بيننا بكتاب الله ، واذن لى فقال=

ولا رجم عليه ؛ لأنه لا ينتصف^(١) .

٤- بيان المجمل وتقييد المطلق وتخصيص العام:

المطالع لتفسير الخطيب الشربيني يجده يستند إلى السنة النبوية الشريفة عند تفسيره للمجمل في القرآن الكريم ، خاصة ما ورد في السنة لبيان ما أجمل من العبادات ؛ فقد قال ﷺ: (خذوا عنى مناسككم)^(٢) وقال ﷺ: (وصلوا كما رأيتموني أصلي)^(٣)، ومن المواضع التي بيّن فيها المجمل ما يلي:

رسول الله ﷺ: قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني، إنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام، واغدي يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها. قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت .

¹ - روى مسلم في صحيحه - كتاب: الحدود ، باب : رجم اليهود أهل الذمة في الزنا جـ ٣ ص ١٨٥ ح ١٧٠٢ ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " إذا زنت أمة أحكم فتبين زناها فليجلدها الحد ، ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت ، فليجلدها الحد ، ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها ، فليبيعها ، ولو بحبل من شعر " . وأجمع العلماء على أن الأمة إذا زنت فحدها خمسون جلدة لقوله - تعالى - : " فإذا أحصن فإن أتت بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب " ؛ ينظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبى، ط. دار المعرفة - بيروت لبنان ، الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ج٤ ص ٢٧٦ .

² - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الحج ، باب : استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً وبيان قوله ﷺ : (لتأخذوا مناسككم) ج٢ ص ٣٨٠ ح ١٢٩٧ .

³ - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب : أبواب الأذان ، باب : الأذان للمسافرين ح ٦٣١ ، ينظر : فتح البارى ج٢ ص ٥٧٣ .

• عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾^(١) يستدل بالسنة على أنه ركن ؛ فيقول^(٢) : ” والاجماع على أن السعى بين الصفا والمروة مشروع في الحج والعمرة ، وإنما الخلاف في وجوبه ؛ فعن أحمد أنه سنة ، وبه قال أنس وابن عباس ؛ لقوله - تعالى - ” فلا جناح عليه ” فإنه يفهم منه التخبير . قال البيضاوى^(٣) : وهو ضعيف ، لأن نفي الجناح يدل على الجواز الداخلة في معنى الوجوب فلا يدفعه ، وعن أبي حنيفة أنه واجب يجبر بدم ، وعن مالك والشافعي أنه ركن لقوله ﷺ : (اسْعَوْا فَإِنَّ اللَّهَ - تعالى - كتب عليكم السعى)^(٤)

رواه البيهقي وغيره، وقال ﷺ : (ابدؤوا بما بدأ الله به)^(٥) يعني الصفا، رواه مسلم .“

1 - سورة البقرة: جزء من آية ١٥٨ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٦٩ .

3 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى :ج٢ ص ٣٩٧ .

4 - أخرجه أحمد في مسنده ، مسند حبيبة بنت أبي تجرة - رضى الله عنها ج١٨ ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ح ٢٧٢٤٠ ، وقال محققاه أحمد شاكر وحزمة الزين : إسناده حسن ، وأخرجه الدارقطنى فى سننه - كتاب : الحج ، باب : المواقيت ج٢ ص ٢٢٤ ح ٢٥٦٠ ؛ ينظر : سنن الدارقطنى للإمام الحافظ على بن عمر الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ علق عليه وخرج أحاديثه مجدى بن منصور بن سيد الشورى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م الثانية ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک ، كتاب : معرفة باب ذكر حبيبة بنت أبي تجرة - رضى الله عنها - ج٤ ص ٧٩ ح ٦٩٤٣ وسكت عنه الحاكم وقال الذهبى لم يصح ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ج٢٤ ص ٢٢٦ ح ٥٧٣ ، ح ٥٧٤ .

5 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الحج ، باب : حجة النبى ﷺ فى حديث طويل عن محمد بن على بن حسين ج٢ ص ٣٢٢ - ٣٢٨ ح ١٢١٨ بلفظ) ابدأ بما بدأ الله به) ، وأخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة =

● كما يستند إلى السنة لبيان كيفية التيمم عند تفسيره لقوله - تعالى- : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١) فيقول^(٢): ” مع المرفقين منه بضربتين ؛ كما ثبت في الحديث . وقال الزجاج^(٣): الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرًا لا تراب عليه ، لو ضرب التيمم يده عليه ومسح ؛ لكان ذلك طهوره ، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة - رحمه الله - تعالى - وأجاب عن قوله - تعالى - في آية المائدة : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦] أى: بعضه وهو لا يتأتى في الصخر الذى لا تراب عليه بأن من لا ابتداء الغاية . قال الزمخشري^(٤): وقولهم إنها لا ابتداء الغاية فيه تعسف ، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل : مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبويض، قال : والإذعان للحق أحق من المراء، والتيمم من خصائص هذه الأمة.

روى حذيفة - رضى الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء)^(٥) .“

= عن جابر بن عبد الله بلفظ (نبدأ بما بدأ الله) ج-٥ ص ٥٣ ح ٢٩٦٧ وقال : أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

1 - سورة النساء: جزء من آية ٤٣ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٤٧٨ .

3 - ينظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج أبى اسحاق إبراهيم بن السرى المتوفى سنة ٣١١ هـ شرح وتحقيق : د. عبد الجليل شلبي خرّج أحاديثه : الأستاذ على جمال الدين محمد ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ج٢ ص ٤٥ .

4 - ينظر: الكشاف للزمخشري ج١ ص ٥٢٩ .

5 - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : المساجد ، باب : أول كتاب المساجد - ١ ص ٣٧١ ح ٥٢٢ .

● وأيضاً يبين أحكام التيمم بالسنة النبوية الشريفة عند تفسيره لقوله -
 تعالى -: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾^(١) فيقول^(٢): "فتيمموا" أى اقصدوا
 "صعيدا" أى: ترابا "طيبا" أى: طهورا خالصا "فامسحوا بوجوهكم وأيديكم" مع
 المرفقين "منه" بضربتين ، والباء للإلصاق ، وبينت السنة^(٣) أن المراد
 استيعاب العضوين بالمسح . وتقدم مثل هذه الآية في النساء فى البيضاوى^(٤).
 ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان أنواع الطهارة ."

● ومثال ذلك أيضا بيانه لمواقيت الصلاة بالسنة عند تفسيره لقوله -
 تعالى -: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ فِطْرَةَ النَّبِيِّ الَّتِي كَانَ عَلَىٰهَا النَّبِيُّ إِذَا صَلَّىٰ نَبِيًّا وَأَنَّ الدِّينَ كَانَ مِثْلَ مَا كَانَ عَلَىٰ النَّبِيِّ إِذَا صَلَّىٰ نَبِيًّا﴾^(٥) فيقول^(٦): "موقوتنا" أى: مقدرًا وقتها لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه،
 قال ﷺ: (أمنى جبريل عند البيت ؛ مرتين فصلى بى الظهر حين زالت
 الشمس ، والعصر حين كان ظله - أى : الشئء مثله - والمغرب حين
 أفطر الصائم - أى: دخل وقت إفطاره - والعشاء حين غاب الشفق الأحمر،
 والفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بى

1 - سورة المائدة: جزء من آية ٦ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص١٨ .

3 - روى مسلم فى صحيحه - كتاب : الحيض ، باب : التيمم ج١ ص٢٩١ ، عن
 سعيد بن عبد الرحمن بن أبى عن أبيه أن رجلا أتى عمر فقال :إني أجنبيت فلم أجد
 ماء، فقال : لا تصل ، فقال عمار : أما تذكر ، يا أمير المؤمنين ! إذ أنا وأنت فى
 سرية، فأجنبينا ، فلم نجد ماء ، فأما أنت فلم تصل ،وأما أنا فتمعكت فى التراب و
 صليت، فقال النبى ﷺ :إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ،ثم تنفخ ،ثم تمسح
 بهما وجهك و كفيك" فقال عمر : اتق الله ،يا عمار قال :إن شئت لم أحدث به .

4 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى ج٣ ص٣٢٦ : ٣٣٢ .

5 - سورة النساء: جزء من آية ١٠٣ .

6 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٥١٦ ، ٥١٧ .

الظهر حين كان ظله مثله، والعصر حين كان ظله مثليه، والمغرب حين أفرط الصائم ، والعشاء إلى ثلث الليل، والفجر فأسفر وقال: هذا وقت الأنبياء من قبلك^(١) رواه أبو داوود ، وغيره ، وصححه الحاكم وغيره . وقوله ﷺ: (فصلى الظهر حين صار ظله مثله) أى : فرغ منها حينئذ ، كما شرع فى العصر فى اليوم الأول حينئذ؛ قاله الشافعىّ - رضى الله - تعالى - عنه - نافيا به اشتراكهما فى وقت ويدل له خبر مسلم وقت الظهر إذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر^(٢) .“

● وكذلك يبين مقدار ما يمسح من الرأس فى الوضوء بالسنة العملية عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ ﴾^(٣)

فيقول^(٤): ” أى: بعضه؛ لما روى مسلم: (أنه ﷺ مسح بناصيته على عمامته)^(٥) “

● وأيضا بيانه لمناسك الحج بالسنة العملية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(٦)

1 - أخرجه أبو داوود فى سننه - كتاب: الصلاة ، باب: فى المواقيت جـ ١ ص ٢٠٤، ٢٠٣ ح ٣٩٣، وأخرجه الترمذى فى سننه - كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى مواقيت الصلاة عن النبى ﷺ جـ ١ ص ٢٧٨-٢٨١ ح ١٤٩ وقال هذا حديث حسن = صحيح ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب: الصلاة جـ ١ ص ٣٠٦، ٣٠٧، ح ٦٩٣.

2 - رواه مسلم فى صحيحه - كتاب : المساجد ، باب: أوقات الصلوات الخمس ح ١٧٣ جـ ١ ص ٤٤٢ ح ١٧٣ .

3 - سورة المائدة: جزء من آية ٦.

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ١٦.

5 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الطهارة ، باب: المسح على الناصية والعمامة جـ ١ ص ٢٤٠ ح ٢٧٤.

6 - سورة البقرة: جزء من آية ١٩٨.

فيقول^(١): "وفى الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة ؛ لأن إذا "تدل" على أن المذكور بعدها محقق لابد منه ؛ فكأنه قيل : بعد إفاضتكم من عرفات التي لابد منها اذكروا الله. والإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها؛ فوجب أن يكون الوقوف بها واجبا ، وعن النبي ﷺ: (الحج عرفة ؛ فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج)^(٢) فاذكروا الله : بالتلبية والتهايل والتكبير والثناء والدعوات، وقيل بصلاة المغرب والعشاء "عند المشعر الحرام" وهو جبل في آخر المزدلفة ، يقال له: قزح، وفي الحديث (أنه ﷺ وقف به يذكر الله - تعالى - ويدعو حتى أسفر جدا)^(٣) رواه مسلم، وقال جابر: دفع رسول الله ﷺ حتى أتى بالمزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام استقبل القبلة ، فدعا وكبر وهلل ووحده، ولم يزل واقفا حتى أصبح جدا".

● كما يستند إلى السنة في تقييد المطلق ومثال ذلك تقييد اليد باليمين في حد السرقة ، فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾^(٤)

¹ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٠٨، ٢٠٩.

² - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب : التفسير ، باب : من سورة البقرة ، قوله تعالى: " فمن يعجل في يومين ... الآية جـ ٥ ص ٥٧ ح ٣٩٧٥ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود في سننه - كتاب : المناسك ، باب : من لم يدرك عرفة جـ ٢ ص ٨٣٨ ح ١٩٤٩ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب : المناسك ، باب : من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع جـ ٣ ص ٥٨ ح ٣٠١٥ .

³ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الحج ، باب : حجة النبي ﷺ جـ ٢ ص ٣٢٧ ح ١٢١٨ .

⁴ - سورة المائدة: جزء من آية ٣٨.

يقول^(١): "أى: يمين كل واحد منهما من الكوع كما بينت السنة، كما بينت أنه لا بد أن يكون المسروق ربع دينار فصاعدا^(٢) من حرز مثله من غير شبهة له فيه وأنه إذا قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم بعد ذلك يعزر^(٣)".

● وكذلك يستند إلى السنة في تخصيص العام ؛ ومثال ذلك تخصيصه عدة الأمة التي يتوفى عنها زوجها عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾^(٤) فيقول^(٥): " وهذا في غير الحوامل ؛ أما هن فعدتهن أن يضعن حملهن بآية

1 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٥٠٧.

2 - أخرج البخارى فى صحيحه - كتاب : الحدود ، باب : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما، عن عائشة : " قال النبي ﷺ : تقطع اليد فى ربع دينار فصاعداً " ؛ ينظر : فتح البارى ج ١٨ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٧٨٩ ، وأخرج مسلم الحديث نفسه فى صحيحه ج ٣ ص ١٦٨ ح ١٦٨٤ .

3 - أخرج النسائى فى سننه - كتاب : قطع السارق ، باب : قطع الرجل من السارق بعد اليد ج ٤ ص ٤٢٤ ح ٤٩٩٣ ، عن الحارث بن حاطب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلص فقال : "اقتلوه" فقالوا يا رسول الله ، انما سرق ، فقال : "اقتلوه" قالوا يا رسول الله ، انما سرق ، قال:"اقتلوا يده" قال : ثم سرق ، فقطعت رجله ثم سرق على عهد أبى بكر رضى الله عنه حتى قطعت قوائمه كلها ، ثم سرق أيضا الخامسة ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : كان رسول الله أعلم بهذا حين قال : "اقتلوه" ثم دفعه الى فتية من قريش ليقتلوه منهم عبدالله بن الزبير وكان يحب الامارة، فقال : أمروني عليكم؛ فأمروه عليهم ، فكان اذا ضرب ، ضربوه ، حتى قتلوه" ، وأخرجه أبى داوود فى سننه - كتاب: الحدود ، باب : فى السارق يسرق مزاراً ج ٤ ص ١٨٨٦ ح ٤٤١٠ عن جابر بن عبدالله بزيادة فى النص .

4 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٣٤.

5 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٤٢.

الطلاق^(١)، وفي غير الإمام فإنهن على النصف من ذلك بالسنة“.

● كما خصص عدة الأمة المطلقة عند تفسيره لقوله - تعالى - :
﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٢) فيقول بعد انتهائه من تفسيرها^(٣): ” قال البيضاوي^(٤): ولعل الحكم لما عمّ المطلقات ذوات الإقراء تضمن معنى الكثرة؛ فحسن بناء الكثرة، ووجوب ذلك في المدخول بهنّ، أمّا غيرهنّ فلا عدّة لهن؛ لقوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر، والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق، والإمام فعدتهن قرآن بالسنة“.

وهكذا نلاحظ قوة الارتباط بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ونلاحظ حرص الخطيب الشربيني على إبراز وبيان هذا الارتباط من خلال الإستدلال بالسنة في تفسيره، وتلك بعض أمثلة لأهم الاتجاهات التي استشهد فيها بما ورد في السنة، وثمة أحاديث كثيرة أوردها في أمور عديدة أخرى تضمنتها الآيات القرآنية؛ ويتضح ذلك من خلال المباحث الأخرى التي تناولتها كتجاهاته في النسخ^(٥)، والأحكام الفقهية^(٦) وغيرها.

¹ - يقصد قوله تعالى : " واللاتى بيئن من المحيض من نساتكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ... الآية٤ من سورة الطلاق .

² - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٨ .

³ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٣٣ .

⁴ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي ج٢ ص ٥٤٨ .

⁵ - ينظر: ص ٢٠٨-٢٢٦ من الرسالة .

⁶ - ينظر: ص ١٩٣-٢٠٧ من الرسالة .

درجة ما يستشهد به من السنة

اشترط الخطيب الشربيني على نفسه ألا يذكر من الأحاديث إلا صحيحها^(١) وحسنها^(٢) دون ذكر الضعيف^(٣) أو الموضوع^(٤)، وحين تتبعت تخريج الأحاديث التي استشهد بها أثناء البحث وجدته قد استشهد ببعض الأحاديث والآثار الضعيفة التي ينبه عليها:

● كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾^(٥) فيقول^(٦): "تنبيه: بين سبحانه وتعالى بهذه الآية معاملة المنافقين مع المؤمنين والكفار، روى الواحدى وغيره ولكن بسند ضعيف (أن ابن أبى وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه : انظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه وقال: مرحباً بالصديق ، سيد بنى تميم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله ﷺ فى الغار، الباذل نفسه وماله لرسول

¹ - هو ما سلم لفظه من ركائة ومعناه من مخالفة آية أو خبر متواتر أو إجماع وكان راويه عدل وفى مقابله السقيم، ينظر التعريفات للجرجاني ص 113 .

² - هو ما كان راويه مشهوراً بالصدق والأمانة ، غير أنه لم يبلغ درجة الحديث الصحيح ، لكونه قاصراً فى الحفظ والوثوق ، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من دونه، ينظر التعريفات للجرجاني ص 118 .

³ - هو ما كان أدنى مرتبة من الحسن وضعفه يكون تارة لضعف بعض الروايقن عدم العدالة أو سوء الحفظ أو تهمة فى العقيدة وتارة بعطل أخرى مثل الإرسال والإنقطاع والتدليس ، ينظر التعريفات للجرجاني ص 180 .

⁴ - هو الحديث المخلوق المصنوع ، ينظر التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلانى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، ط دار الفكر بيروت، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م ، ص ١٣٠ .

⁵ - سورة البقرة : آية ١٤ .

⁶ - ينظر السراج المنير : ج ١ ص ٥٣ .

الله ﷺ ، ثم أخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه فقال: مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القويّ فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ، ثم أخذ بيد علىّ رضى الله تعالى عنه فقال: مرحبا بابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه ، أى زوج ابنته عند العامة وعند العرب كل من كان من قبل المرأة ، وكل منهما صحيح هنا، سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فنزلت) (١).

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) يختتم بتنبئه يقول فيه (٣): "اختلف فى سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية فذهب قوم أنه يسجد عندها، وهو قول عمر وعلىّ وابن عمر وابن مسعود وابن عباس، وبه قال ابن المبارك والشافعيّ وأحمد واسحق لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود وقول البيضاوى (٤) ولقوله ﷺ : (فضلت سورة الحج بسجدين من لم يسجدهما فلا يقرأهما) حديث ضعيف رواه الترمذى وضعفه (٥).

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (٦)

- ١ - ذكره السيوطى فى الدر المنثور عند تفسير آية ١٤ من سورة البقرة ج١ ص ٦٩ وقال : أخرجه الواحدى والثعلبى بسنده عن ابن عباس ، وذكره الواحدى فى سبب نزول الآية نفسها ولم يذكر سببا غيره ص ١٩ ، ٢٠ .
- ٢ - سورة الحج : آية ٧٧ .
- ٣ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٢٠ .
- ٤ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى ج٦ ص ١٣٩ .
- ٥ - أخرجه الترمذى فى - كتاب: الجمعة، باب: ما جاء فى السجدة فى الحج ج٢ ص ٣٦٣ ح ٥٧٨ وقال أبو عيسى : هذا حديث ليس إسناده بذاك القويّ وقال محققه أحمد شاكر بل هو حديث صحيح فإن ابن لهيعة ومشرح بن هاعان ثقتان .
- ٦ - سورة الحج : جزء من آية ٧٨ .

ينبه على ضعف رواية فيقول "وقول البيضاوي^(١):" وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"^(٢). حديث رواه البيهقي وضعف إسناده، وقال غيره: لأصل له".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) ينبه على ضعف أحد الروايات فيقول^(٤): "قال الزمخشري^(٥): سألت عثمان النبي ﷺ عن تفسير قوله - تعالى -: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقال: (يا عثمان ما سألتني أحد عنها قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر و الظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير)^(٦) وروى هذا الطبراني بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزي في الموضوعات".

1 - ينظر: حاشيته زاده على البيضاوي ج ٦ ص ١٤٠.

2 - أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه في ترجمة وأصل بن حمزة ج ١٣ ص ٤٩٣؛ ينظر: تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣ هـ، ط. دار العربي بيروت - لبنان .

3 - سورة الزمر : جزء من آية ٦٣.

4 - ينظر السراج المنير : ج ٦ ص ٢٧٥.

5 - ينظر الكشاف للزمخشري: ج ٣ ص ٤٠٧.

6 - أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير في ترجمة مخلد أبو الهزبل عن عبد الرحمن المدني ج ٤ ص ٢٣١-٢٣٢ وقال : لا يتابع عليه إلا من طريق بقاربه ؛ ينظر : الضعفاء للحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ، حققه ووثقه: د. عبد المعطي أمين قلجعي ، ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م الأولى.

وهكذا يتتبع الخطيب الشربيني الأحاديث الموضوعية فنجدته تجنب الأحاديث الموضوعية في فضائل السور وبعض الآيات بل أشار في نهاية كل سورة إليها خاصة ما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري وقد أوضحت هذا بالأمثلة التفصيلية في مبحث خاص عن فضائل السور القرآنية. ولكن تفسيره ملء بالدخيل الذى يمر عليه دون تعقيب أو تصحيح إلا ما يخل بعصمة الأنبياء فهو يردّه، كما ذكرت في مبحث الدخيل في تفسيره ، وهناك أحاديث وآثار ضعيفة وموضوعية لم ينبه عليها، ويتضح ذلك من تخريج الأمثلة التى استعنت بها فى البحث.

● كما استشهد بآثار لم أجدها فى كتب الحديث التى وقفت عليها وكذا كتب التفاسير ؛ ومثال ذلك ما أورده فى تفسير قوله - تعالى - : ﴿الم﴾^(١) سورة البقرة ؛ إذ يقول^(٢) : وقال علىّ رضى الله عنه: إن لكل كتاب صفة ، وصفة هذا الكتاب حروف التهجي^(٣).

● وقد نسب الشيخ الشربيني بعض الروايات إلى من لم أجده قد أخرجها من أصحاب الكتب ومثال ذلك ما نسبته للشيخين " البخارى ومسلم " عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه:١١٥] ولكن عوقب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ؛ إذ رفع الإثم بالنسيان من خصائص هذه الأمة ؛ كما ثبت فى الأخبار الصحيحة ؛ كخبر الشيخين: (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان)

1 - سورة البقرة: آية ١.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٣٨.

3 - لم أقف على تخريجه فيما اطلعت عليه من كتب الحديث الضعيف منها والصحيح ، وكذا كتب التفسير .

فهذا الخبر الذى نسبه للشيخين لم أجده فى صحيحيهما بل وجدته إسناده ضعيف. (١)

والمطالع لتفسير الخطيب الشربيني يجده يستشهد كثيرًا بالحديث النبوى الشريف فيكاد لا يترك آية إلا ويستند فى تفسيرها إلى السنة بل يذكر عدة روايات فى المسألة الواحدة ويتضح هذا من خلال مباحث الدراسة المختلفة... لكنه فى كل هذا لا يذكر درجة الحديث ولا يذكر له تخريجًا غالبًا.

● فقد يذكر الصحابي فقط من السند ومثال ذلك قوله (٢): "وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم)" (٣)

● وقد يذكر الحديث مجردًا من السند ويشير إلى من خرجه من أصحاب الكتب ومثال ذلك عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

1 - أخرجه ابن ماجه فى - كتاب : الطلاق ، باب : طلاق المكره والناسى جـ ٢ ص ٢٢٤ بلفظ (إن الله تجاوز عن أمتى) ح ٢٠٤٣ ولفظ (إن الله وضع عن أمتى) ح ٢٠٤٥ وقال محققه محمد فؤاد عبد الباقي: (قال البوصيرى فى الزوائد :إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبى بكر الهذلى).

2 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٣٤، ٢٣٣.

3 - أخرجه أبو داوود فى سننه - كتاب : السنة ، باب : الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه جـ ٤ ص ٢٠٠٠ ح ٤٦٨٢ ، وأخرجه الدارمى فى سننه - كتاب : الرقاق ، باب : حسن الخلق جـ ٢ ص ٢٠٩ ح ٢٧٩٢ ، وأخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : الرضاع ، باب : ما جاء فى حق المرأة على زوجها جـ ٣ ص ٣٠٤ ح ١١٦٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب : الإيمان جـ ١ ص ٤٣ ح ١ وسكت عنه الحاكم وصححه الذهبى.

فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴿١﴾ يقول (١): "وعلى هذا فالنهي عن القربان ظاهر كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله في أرضه محارمه ، فمن رتع هول الحمى يوشك أن يقع فيه) (٢) رواه الشيخان"

● وقد يذكر الشيخ الشربيني الحديث بالمعنى كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (٣) إذ يقول (٤): ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ وهو شعلة من نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لما فيها من البريق يشبه شهاب النار فلا يخطئ أحدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده حيث يشاء الله . ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي . روى أبوهريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا قضى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير، فيسمعها مسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض . ووصف سفیان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقبها إلى من تحته ثم يلقبها الآخر إلى من تحته حتى يلقبها إلى لسان الساحر أو الكاهن ، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها

1 - ينظر السراج المنير جـ ١ ص ١٩٧ .

2 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه، وكتاب : البيوع ، باب : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهتان ؛ ينظر : فتح البارى جـ ١ ص ٢٢٧ - ٢٣١ ح ٥٢ ، جـ ٢ ص ٤-٥ ح ٢٥٠١ . وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : المساقاة ، باب : أخذ الحلال وترك الشبهات جـ ٣ ص ١٢١٩-١٢٢٠ ح ١٥٩٩ .

3 - سورة الحجر : آية ١٨ .

4 - ينظر : السراج المنير جـ ٣ ص ٢٨٧ .

مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعها من السماء)^(١)

فهذه الرواية التي ذكرها الشيخ الخطيب الشربيني بمقارنتها بالرواية نفسها في كتب الحديث المعتمدة نجده ذكرها بالمعنى.

● وقد يذكر متن الحديث فقط دون إشارة إلى سند أو كتب تخريج ومثاله ما فعله عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ ﴾^(٢) يقول^(٣) : "وفى الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن إذا تدل على أن المذكور بعدها محقق لا بد منه، فكأنه قيل بعد إفاضتكم من عرفات التي لا بدّ منها اذكروا الله، والإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها، فوجب أن يكون الوقوف بها واجبا، وعن النبي ﷺ: (الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج)^(٤) "

● وقد يذكر المعنى الإجمالى للحديث دون سند أو متن مشيراً إلى أن ما ذكره من السنة ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِن

1 - ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخارى - كتاب : التفسير، باب : قوله تعالى " إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين " جـ ١٣ ص ٢٤٣ ح ٤٧٠١ .

2 - سورة البقرة : جزء من آية ١٩٨ .

3 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٠٨ .

4 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : التفسير، باب : من سورة البقرة قوله تعالى "فمن يعجل فى يومين...." جـ ٥ ص ٥٧ ح ٣٩٧٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داوود فى سننه - كتاب : المناسك ، باب : من لم يدرك عرفة جـ ٢ ص ٨٣٨ ح ١٩٤٩ ، وأخرجه ابن ماجه فى سننه - كتاب : المناسك ، باب : من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع جـ ٣ ص ٥٨ ح ٣٠١٥ ، وأخرجه الدارمى بنحوه فى سننه - كتاب : الحج باب بما يتم الحج جـ ١ ص ٥١٥ ح ١٨٨٧ .

كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانَ مَنِبُؤَةَ ﴿١﴾ إِذْ يَقُولُ (٢): "وَبَيَّنَّتِ
السنة جواز الرهن في الحضر ومع وجود الكاتب، فقد رهن رسول الله ﷺ
درعه في المدينة من يهودى بعشرين صاعاً من شعير أخذه أهله" (٣).

● وقد يشير إلى معنى الحديث ولا يذكر منته نصاً أو معنى كما فعل
عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (٤) إِذْ يَقُولُ (٥):
" بل إنما تحمل وزرها فقط. فإن قيل: ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات
الظالم - فإذا لم يوف يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم ؟ أجيب:
بأن ذلك بسببه فهو كفعله. فإن قيل: قد ورد أن الميت يعذب ببكاء أهله؟
أجيب بأن ذلك محمول على ما إذا أوصى بذلك ."

فقد أشار هنا إلى حديثين شريفيين :

الأول : عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : (أتدرون ما المفلس؟) قالوا :
المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: "ان المفلس من يأتي يوم القيامة
بصلاة و صيام و زكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ،
وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ،
فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ،
ثم طرح في النار). (٦)

- 1 - سورة البقرة : جزء من آية ٢٨٣ .
- 2 - ينظر السراج المنير : ج١ ص ٢٩٩ .
- 3 - سبق تخريجه ص ٦١ .
- 4 - سور الإسراء: جزء من آية ١٥ .
- 5 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٤١٤ ، ٤١٥ .
- 6 - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم
ج٤ ص ٣٠٢ ح ٢٥٨١ .

والثانى: عن عمر عن النبي ﷺ قال : (الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه)^(١).

● وقد بصّدر الحديث بصيغة روى كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى:- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^(٢) فيقول^(٣): "وقال بعضهم : هى آيات الكتاب و هى أحكام يدل عليها؛ ما روى عن صفوان أن يهوديا قال لصاحبه : تعال نسأل هذا النبي فقال الآخر : لا تقل نبى ، فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتيه فسألاه عن هذه الآية : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فقال: (لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحرروا ولا تمشوا بالبرئ إلى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا فى السبت فقبلوا يده، وقالوا : نشهد أنك نبى. قال: فما منعكم أن تتبعونى ؟ قالوا : إن داود دعا ربه أن لا يزال فى ذريته نبى وإنما نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود)^(٤) ."

● ونادراً ما يذكر الشيخ الخطيب الشربيني شرحاً لغريب الألفاظ بالحديث بعد أن يستدل به ، ومثاله ما ذكره فى أول سورة التحريم بعد ذكر روايتى حديث شرب الرسول ﷺ للعسل فيقول^(٥):

¹ - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الجنائز ، باب : الميت يعذب بيبكاء أهله عليه جـ ٢ ص ٦٤ ح ٩٢٧ .

² - سورة آل عمران : آية ٢ .

³ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٤٨٧ .

⁴ - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : الاستئذان والآداب ، باب : ما جاء فى قبلة اليد والرجل جـ ٤ ص ٤٩٧، ٤٩٦ ح ٢٧٣٣ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه النسائى فى سننه - كتاب : تحريم الدم ، باب : السحرجاء ص ٢٨، ٢٩، ٣٠ ح ٤٠٨٩ .

⁵ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٦ .

” تنبيه : شرح غريب الحديثين وما يتعلق بهما قولها : كان رسول الله يحب الحلوى بالمد والقصر قاله في – المصباح⁽¹⁾ – وهو على كل شيء يخلو، وذكر العسل بعدها وإن كان داخلا في جملة الحلوى تنبيهاً على شرفه و مرتبته ،وهو من باب الخاص بعد العام . وقولها :فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية، وأصله فتواطت بالهمز ، أى: اتفقت أنا وحفصة . وقولها : إنى لأجد منك ريح مغافير ، هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء، وهو صمغ حلو كالناطف وله لاريح كريهة ينضحه شجر يقال له : العرطف بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز ، وقيل : العرطف نبات له ورق يفرش على الرض له شوك وثمره خبيث الرائحة .

وقال أهل اللغة العرطف من شجر العضاء ، وهو كل شجر له شوك. وقيل رائحته كرائحة النبيذ ، وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة.

قولها : جرت نحلته العرطف بالجيم والراء وبالسين المهملتين ، ومعناه : أكلت نحلته العرطف فصار منه العسل “ .

¹ -ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح للكبير للرافعي للعالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المتوفى ٧٧٠ هـ ، ط.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج١ ص ١٤٩ مادة " حلا " .

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

”الصحابة هم أدرى الناس بالتفسير؛ فقد شرح لهم النبي ﷺ معاني القرآن، وبيّن لهم ما خفى عليهم، فشرح لهم مجمله وأزال مشكله، وقد شاهدوا القرائن والظروف والملابسات التي أحاطت بالقرآن وقت نزوله؛ فكان تفسيرهم أقرب إلى السنة، بل يعده بعض العلماء من السنة مادام ليس للرأى فيه مجال؛ فيرى بعض الباحثين أن تفسير الصحابة للقرآن يلى بالمكانة تفسير رسول الله ﷺ؛ وذلك لكونهم شهود عيان لأحوال نزول الوحي وأسبابه وقرائنه.

ولكونهم أهل اللسان العربى وأصحاب البلاغة والفصاحة والبيان.

ولكونهم الجيل الذى لم يشهد التاريخ مثيلا لهم فى علمهم وإدراكهم وسعة نظرهم لأمر الحياة والكون والإنسان.

وقد اشتهر عدد قليل من الصحابة بتفسير القرآن الكريم بما سمعوه عن النبي ﷺ وبما فتح الله به عليهم من رأى واجتهاد، وقد عدّهم السيوطى - رحمه الله - وسماهم؛ وهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير - رضى الله عنهم -.

وهناك من تكلم فى التفسير من الصحابة غير هؤلاء - كأنس بن مالك؛ وأبى هريرة، وعائشة، وغيرهم إلا أن ما نقل عنهم فى التفسير قليل جداً.

وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير اشتهر أيضا أعلام من التابعين بالتفسير والرجوع إليهم فى استجلاء ما خفى من كتاب الله - عز وجل.

وقد اعتمد هؤلاء المفسرون فى فهمهم للقرآن الكريم على ما جاء فى الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن النبي ﷺ، وتفسير الصحابة أنفسهم، وعلى ما أخذوه من كتب أهل الكتاب، وعلى اجتهادهم.

وممن اشتهر بالتفسير من التابعين سعيد بن جبیر^(١)، ومجاهد بن جبر^(٢)، وعكرمة^(٣)، وعطاء بن أبي رباح^(٤)، وغيرهم^(٥).
وقد روت لنا كتب التفسير كثيرا من أقوال الصحابة والتابعين فى التفسير، سواء بطريق النقل عن النبى ﷺ أو بطريق الرأى والاجتهاد .
والخطيب الشربيني من المفسرين الذين عنوا عناية كبيرة بما ورد عن الصحابة والتابعين فى تفسير القرآن الكريم ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ حرصه على الاستعانة بأقوال الصحابة والتابعين فى تفسير الآيات الكريمة، فهذا منهجه فى تناوله لكل آية من آيات القرآن الكريم، ويتضح ذلك من النماذج التى سأعرضها فيما يلى من تفسيره:

- 1 - هو سعيد بن جبیر الأسدى مولاہم ، الكوفى: ثقة ثبت فقيه ، من الثالثة ، وروايته عن عائشة و أبى موسى و نحوہما مرسلۃ ، قتل بين يدى الحجاج سنة خمس و تسعين ، ولم يكمل الخمسين ؛ ينظر : تقريب التهذيب ص ١٧٤ .
- 2 - هو مجاهد بن جبر ، بفتح الجيم وسكون الموحدة ، أبو الحجاج المخزومى مولاہم ، المكى : ثقة إمام فى التفسير وفى العلم ، من الثالثة ، مات سنة إحدى - أو اثنتين أو ثلاث أو أربع - ومئة ، وله ثلاث و ثمانون ؛ ينظر : تقريب التهذيب ص ٤٥٢ .
- 3 - هو عكرمة أبو عبد الله ، مولى بن عباس ، أصله بربرى : ثقة ثبت عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر و لا تثبت عنه بدعة ، من الثالثة ، مات سنة أربع و مئة ، وقيل بعد ذلك ؛ ينظر : تقريب التهذيب ص ٣٣٦ .
- 4 - هو عطاء بن أبى رباح ، بفتح الراء و الموحدة ، واسم أبى رباح : أسلم ، القرشى مولاہم ، المكى : ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال ، من الثالثة ، مات سنة أربع عشرة ، على المشهور ، وقيل : إنه تغير بأخرة ، ولم يكثر ذلك منه ؛ ينظر : تقريب التهذيب ص ٣٣١ .
- 5 - مستقى من البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٥٧ - ١٥٩ ، والإتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ، والتفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٦٢ - ٦٩ .

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ^(١) يقول ^(٢): "وكان تحويل القبلة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين. وقول البيضاوي ^(٣): وقد صلى بأصحابه في مسجد بنى سلمة وأنه تحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم ، فسمى المسجد مسجد القبليتين فيه تحريف ؛ فإن ظاهره أنه ﷺ كان إماماً في قصة بنى سلمة وأنه تحول في الصلاة وليس كذلك ؛ فقد روى البخارى عن ابن عمر أنه قال : "بينما الناس يصلون في صلاة الصبح إذا أتاهم أى : من بنى سلمة فقال : إن النبى ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة؛ فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام ؛ فاستداروا إلى الكعبة ". ^(٤)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ^(٥) يقول ^(٦): وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله : " وجئنا بك على هؤلاء شهيدا "؛ فبكى رسول الله ﷺ ؛ وقال: "حسبك" ^(٧).

1 - سورة البقرة جزء من آية ١٤٤ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٦٠ .

3 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي ج٢ ص ٣٦٦ .

4 - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب : الصلاة ، باب ما جاء فى القبلة ح ٤٠٣ وفى كتاب : التفسير ، باب "ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك " الآية ح ٤٤٩٠ ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٤٢ و ج١٢ ص ٤٨٥، ٤٨٤ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ح ٥٢٦ ج١ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

5 - سورة النساء : آية ٤١ .

6 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٧٦ .

7 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : فضائل القرآن ، باب : قول المقرئ للقارئ : حسبك ح ٥٠٥٠ ، وفى كتاب : التفسير ، باب : "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا" ح ٤٥٨٢ ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح=

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(١) يقول^(٢): "التي نحتوها واتخذوها أرباباً من دون الله ؛ طمعاً فى شفاعتها والانتفاع ؛ بها ويدل لذلك قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] عذبوا بما هو منشأً لهم كما عذب الكانزون بما كنزوه ، أو حجارة الكبريت، كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود^(٣)، والحاكم، والبيهقى عن ابن عباس - رضى الله - تعالى - عنهما - وعليه أكثر المفسرين - وإن قال البيضاوى^(٤): إنه تخصيص بغير دليل ؛ لأنّ مثل هذا التفسير الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم المرفوع. وأيضاً حجارة الكبريت أشد حراً وأكثر التهاباً، وتزيد على غيرها من الأحجار سرعة الإيقاد وبتن الريح وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان. وقيل: جميع الحجارة."

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ

= البخارى جـ ١٢ ص ٩ ، ١٠ ، وجـ ١٤ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للإستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ح ٨٠٠ جـ ١ ص ٥٧٣ .

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٤ .

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٦٦ .

٣ - أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير جـ ٩ ص ٢١٠ - ٢١١ ح ٩٠٢٦ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب : التفسير ، باب : من سورة البقرة جـ ٢ ص ٢٨٧ ح ٣٠٣٤ وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

٤ - حاشية زادة على البيضاوى جـ ١ ص ٤١٠ ، ٤١١ ، وتعليل البيضاوى مختلف عما نسبه إليه ؛ إذ علل بأن الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهيها بحيث تنقد بما لا يتقد به كل نار، والكبريت يتقد به كل نار وإن ضعفت ، فإن صح هذا عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فلعله أراد به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران .

مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرَعَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ ﴿١﴾ (١) يقول (٢): "تتكوهن" لجمالهن أو دمامتهن ؛ قالت عائشة رضی الله تعالى عنها : هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها وإن كانت مرغوباً عنها في قلة المال والجمال تركها (٣) .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ (٤) يقول (٥): "قال ابن عباس : " لكفور: جحود لنعم الله تعالى " (٦) .

كانت هذه بعض نماذج من أمثلة كثيرة (٧) استدل فيها الشيخ الخطيب الشربيني بأراء وأقوال الصحابة والتابعين ؛ فلا يكاد يترك آية إلا ويستند إلى أقوالهم في تفسيرها، وإن كانت أكثر الاسماء الواردة في تفسير الصحابة والتابعين في تفسيره من نصيب الصحابي الجليل ابن عباس ؛ وذلك لما اشتهر به من دراية ورواية وسعة علم في التفسير والتأويل ، وهو من سمي ترجمان القرآن، فلا عجب من إكثاره، بل لا عجب من أن نجد نقوله عن

- 1 - سورة النساء : جزء من آية ١٢٧ .
- 2 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٥٢٦ .
- 3 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب:التفسير، باب :قوله " ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما ينلى عليكم فى الكتاب فى ينأى النساء " ح ٤٦٠٠ ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ٣٥ ، ومسلم فى صحيحه - كتاب: التفسير ح ٣٠١٨ ج ٤ ص ٦٢٢ .
- 4 - سورة العاديات: آية ٦ .
- 5 - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
- 6 - أخرجه البخارى فى صحيحه - عن مجاهد فى كتاب : التفسير "سورة والعاديات والقارعة" ج ١٤ ص ١٥١ .
- 7 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٦ ، ٦٦ ، ١٠١ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٤٦ ، ج ٣ ص ٥٨ ج ٥ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ج ٧ ص ٣٣٨ ، ج ٨ ص ٢٤٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

الصحابة مسبوقة في أحيان كثيرة باسم ابن عباس ، ثم من سواه من
الصحابة.

الدخيل فى تفسيره

تعريف الدخيل:

الدخيل لغة^(١): " الدَّخَلَ ما داخل الإنسان من فساد فى عقل أو جسم ، والغدر والمكر والداء والخديعة ، والشجر الملتف ، والقوم الذين ينتسبون إلى من ليسوا منهم ، وداء وحب دخيل داخل ، ودَخَلَ أمره كَفَرِحَ ، فسد داخلُه ، وهو دخيل فيهم أى من غيرهم ، ويدخل فيهم ، والدخيل كلمة أُدخِلت فى كلام العرب وليست منه.

والدخيل الداء ، والعيب ، والريبة ، وما دخل من الكلاً فى أصول الشجر ، وما دخل بين الظهران والبطنان من الريش ، والمدخول : المهزول ومن فى عقله دخل".

قال صاحب المصباح المنير^(٢): "وفلان دخيل بين القوم أى ليس من نسبهم بل هو نزيل بينهم، ومنه قيل : هذا الفرع دخيل ، ومعناه أنه ذكر استطراداً ومناسبة لا يشتمل عليه عقد الباب".

وهكذا يتضح لنا أن كلمة "الدخيل" نفي العيب والفساد المعنويّ وأيضاً المحسوس ، كما تطلق على الغرابة بإدخال المختلف بين المؤلف.

¹ - يراجع : لسان العرب لابن منظور جـ ١١ ص ٢٣٩، ٢٤٣ ، مادة "د ، خ ، ل" ، والقاموس المحيط ، مادة ، "د ، خ ، ل" جـ ٣ ص ٥٥٠، ٥٤٩ ، ومختار الصحاح ص ٢٠٠ مادة "د ، خ ، ل" .

² - ينظر: المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على المقرئ الفيومى ، المتوفى سنة ٧٧٠هـ ، ط . المطبعة الأميرية مصر ، الثانية ١٩٠٩هـ ، ج ١ ص ٢٩٣ ، مادة "د ، خ ، ل" .

الدخيل اصطلاحاً:

”هو التفسير الذى لا أصل له فى الدين ، على معنى أنه تسلسل إلى رحاب القرآن الكريم على حين غرة وعلى غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ“.(1)

خطورة الدخيل :

كان للدخيل أثره السيئ فى التفسير؛ فالإسرائيليات التى أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها القرآن الكريم تُفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوى عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله، وربما فيها من نفى العصمة عن الأنبياء والمرسلين، وتصويرهم فى صورة من استبدت بهم شهواتهم ، ودفعتهم إلى ما لا يليق بإنسان عادى

فضلا عن أن يكون نبيا ، وهى تصور الإسلام فى صورة دين خرافى يُعنى بتُرّهات و أباطيل لا أصل لها ، كما أنها تكاد تذهب بالثقة فى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين ؛ فقد أُسندَ من هذه الإسرائيليات شىء ليس بالقليل إلى نفر من السلف الصالح ، وكادت تصرف الناس عن الغرض الذى أنزل القرآن الكريم من أجله وتلهيهم عن التدبر فى آياته ، والانتفاع بعبره وعظاته ، إلى تفاصيل الاشتغال بها مُضِيعَةً للوقت(2).

1 - ينظر: الدخيل فى التفسير للدكتور عبد الوهاب فايد - ط . المطبعة الأميرية مصر، جـ ١ ص ١٣.

2- الإسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي ، المتوفى سنة ١٩٧٧- ط . مكتبة وهبة القاهرة ، الرابعة سنة ١٤١١هـ - سنة ١٩٩٠م ، ص ٢٩- ٣٤ بتصرف.

وقد تناول الدكتور الذهبي واجب المفسرين تجاه هذه الإسرائيليات عند تفسيره القرآن الكريم ؛ فذكر عدة نقاط يجب أن ينتبه إليها المفسر وهي :

”أن يكون بقطاً إلى أبعد الحدود حتى يستطيع أن يستخلص من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن الكريم وينفق مع النقل الصحيح.

وَألا ينقل عن أهل الكتاب إذا كان في سنة نبينا ﷺ بيان لمجمل القرآن أو تعيين لمبهمه.

وَألا يذكر شيئاً من الإسرائيليات الموثوق بها إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال وما يكفي أن يكون حجة على من خالف وعاند من أهل الكتاب.

وَألا ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل ولا يضع أمام القارئ من الأقوال ما يسبب له الحيرة والاضطراب^(١).

”وأغلب كتب التفسير ذكرت بعض الإسرائيليات ، وإن تفاوت ذلك قلة وكثرة وتعقيباً عليها وسكوتاً عنها، فمنها ما تعرض للإسرائيليات مع إسنادها إلى رواتها إسناداً تاماً تاركين مهمة نقدها عملاً بالقاعدة المقررة لدى علماء الحديث: ”من أسند لك فقد حملك “ ، ومنها ما يتعقبونها بالنقد ، ومنها ما يذكر الإسرائيليات ولا يسندها ، ومنها ما لا يسندها لكن ينبّه على الضعيف منها ، ومنها ما ينبّه أحياناً وأحياناً أخرى يمر عليها دون تضعيفها رغم ما فيها من باطل قد يصل إلى حد نفي العصمة عن الأنبياء ، ومنهم من يحمل على من سبقه من المفسرين ممن ذكروا هذه الإسرائيليات في تفاسيرهم^(٢)“.

¹ - الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ص ١٦٥، ١٦٦ بتصرف.

² - المرجع السابق ص ٩٥، ٩٦ بتصرف.

والإمام الخطيب الشربيني الذي نحن بصدد تفسيره ، زلّ كغيره من المفسرين، في بعض المواضع التي دخلتها الإسرائيليات ، خاصة القصص الذي يغلب عليه ، فتفسيره ملئء بالإسرائيليات التي يمر عليها مروراً مع غرابتها من غير أن يتعقبها بتصحيح أو تضعيف أو بيان منشئها ، وغالب ذلك فيما يحتمل الصدق والكذب من أخبار بنى إسرائيل ، لكن الشيخ الخطيب إن مر على مثل هذه القصص بدون أن يعلق عليها لا يفوته أن يعلق على قصة تخل بمقام النبوة فيبين بطلانها.

ويتضح اتجاه الشيخ الشربيني في عرضه لما ذكره من الدخيل في تفسيره بالأمثلة فيما يلي :

١ - بذكر الدخيل ولا يعلق عليه:

● ومثال ذلك ما ذكره في محو آية الليل عند تفسيره لقوله-تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً﴾^(١)

فقد ذكر الشيخ الخطيب الشربيني كغيره من المفسرين حديثاً برواية عن ابن عباس أثناء تفسيره لمحو آية الليل حيث يقول^(٢): "﴿ فَمَحَوْنَا ﴾ أى: بعظمتنا الباهرة ﴿ آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ أى: طمسنا نورها بالظلام ليسكنوا فيه فجعلناها لا يبصر فيها بالضوء فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور إلى ظلمة ومن الظلمة إلى النور كما أن الإنسان بعجلته التي يدعو إليها طبعه وتأنيه الداعي إليه عقله من انتقال من نقصان إلى كمال ومن كمال إلى نقصان، كما أن القمر الذي هو أنقص من الشمس كذلك، قال ابن عباس:

¹ - سورة الإسراء : آية ١٢ .

² - ينظر: السراج المنير ج٣ ص٤١٢، ٤١١ .

جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ونور القمر كذلك ، فمحي من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس. وحكى أن الله – تعالى – أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور، وسأل ابن ذكوان علياً- رضى الله عنه – عن السواد الذى فى القمر قال هو أثر المحو“.

الرد عليه :

بالرجوع إلى سند الحديث ومتمه وجدت الإمام السيوطى⁽¹⁾ قد ذكره فى كتاب المبتدا من لآلئه المصنوعة فى الأحاديث الموضوعية:

” قال أبو الحسين بن المنادى فى الملاحم. حدثنا هارون بن على بن الحكم حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مرداش الباهلى حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد القرشى حدثنا محمد بن موسى الشيبانى، حدثنا مسلمة بن الصلت، حدثنا أبو على حازم بن حازم بن المنذر العنزى، حدثنا عمر بن صبيح عن مقاتل بن حبان عن شهر بن الأعمش عن سليمان بن موسى عن القاسم بن مخيمرة عن على بن أبى طالب وحذيفة وابن عباس أنهم كانوا جلوساً ذات يوم فجاء رجل فقال إني سمعت العجب فقال له حذيفة وما ذاك؟ قال سمعت رجلاً يتحدثون فى الشمس والقمر فقال: وما كانوا يتحدثون؟ فقال زعموا أن الشمس والقمر يُجاء بهما يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى جهنم. فقال على وابن عباس وحذيفة: كذبوا الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته ألم تر إلى قوله – تعالى – : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٣] يعنى دائبين فى طاعة الله فكيف يعذب الله

¹ - هو محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى، جلال الدين، إمام حافظ، مؤرخ، أديب له من مؤلفاته الإتقان فى علوم القرآن والدر المنثور فى التفسير المأثور، توفى عام ٩١١هـ، ينظر: الأعلام للزركلى ج٣ ص ٣٠١، ٣٠٢.

عبدین یثنی علیهما أنهما دائبان فی طاعة؟ فقالوا لحذیفة: حدثنا رحمك الله؟ فقال حذیفة: بینما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ سئل عن ذلك فقال: إن الله لما أبرم خلقه إحصاءً فلم یبق من خلقه غیر آدم خلق شمسین من نور عرشه، فأما ما كان فی سابق علمه أنه یدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا علی قدرها، وأما ما كان فی سابق علمه أنه یطمسها ویحولها قمرًا فإنه خلقها دون الشمس فی الضوء، ولكن إنما یرى الناس صغرَها لشدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض، ولو تركهما الله كما خلقهما فی بدء الأمر لم یعرف اللیل من النهار، وكان الأجیر لیس له وقت یستریح فیهِ ولا وقت یأخذ فیهِ بأجره، وكان الصائم لا یدری متى یصوم ومتی یفطر، وكانت المرأة لا تدری کیف تَعْتَدُّ، وكان الدیان لا یدرون متى تحل دیونهم، وكان الناس لا یدرون أموال معایشهم ولا یدرون متى یسكنون لراحة أجسامهم، وكانت الأمة المضهدة والمملوك المقهور والبهیمة المسخرة لیس لهم وقت راحة؛ فكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم؛ فأرسل جبریل فأمرَ بجناحه علی وجه القمر ثلاث مرات وهو یومئذ شمس؛ فمحا عنه الضوء وبقي فیهِ النور؛ فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فالسواد الذی ترونه فی القمر شبه الخیوط إنما هو أثر المحو^(١).

ویرى الألوسی أن الأحسن عند من عز علیه وقته عدم الالتفات إلى مثل هذه الخرافات وتضییع الوقت فی ردّها^(٢).

^١ - ینظر: اللآلی المصنوعة فی الأحادیث الموضوعة للإمام جلال الدین عبد الرحمن السیوطی، المتوفی ٩١١هـ - ط. دار المعرفة، بیروت لبنان، ج ١ ص ٤٦، ٤٥.
^٢ - روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی للعلامة أبی الفضل شهاب الدین السید محمود الألوسی البغدادی، المتوفی سنة ١٢٧٠هـ - ط. دار الکتب العلمیة، بیروت لبنان، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، المجلد الثامن ج ١٥ ص ٢٩ بتصرف.

ومما يشهد بهذا أن النبي ﷺ ما كان يتعرض للكونيات بهذا التفصيل، وعندما سئل عن الهلال لم يَبْدُو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر؟ أجاب الله - عز وجل - سائليه بالفائدة فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ (١).

والشيخ الخطيب الشربيني نفسه ذهب إلى هذا عند تفسيره لهاتين الآيتين؛ فقال (٢): "وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنهم سألوا عن الحكمة في اختلال حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من غير أبوابها ، أو أنه - تعالى - لما ذكر أنها مواقيت الحج - وهذا أيضاً من أفعالهم في الحج - ذكره للاستطراد ، وأنهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم وهو معرفة الحلال والحرام ، ويختص بعلم النبوة، عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيهاً على تعكيسهم السؤال و تمثيلهم بحال من ترك باب البيت ، ودخل من ورائه . والمعنى : وليس البر أن تعكسوا في مسائلكم ولكن من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله".

● وذكر الشيخ الخطيب الشربيني قصة أصحاب الكهف وفصل ما أبهمه القرآن عن أسماء أصحاب الكهف وسبب مصيرهم إلى الكهف وعددهم واسم كلهم ولونه وكلامه ، كما أورد الروايات المختلفة التي تعرض لوقائع أصحاب الكهف ، كل ذلك في نحو خمس صفحات من تفسيره حيث يقول (٣):

1 - سورة البقرة: جزء من آية ١٨٩.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٩٩.

3 - السراج المنير ج٤ ص ٢١ - ٢٥ باختصار.

” تنبيه: اختلف فى السبب الذى عرّف الناس واقعة أصحاب الكهف ، فقال محمد بن إسحاق: إنّ ملك تلك البلاد رجل صالح يقال له: ”تندوسيس“....

ثم إنّ الله – تعالى – الذى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتيّة أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أنّ الساعة آتية لا ريب فيها....

أذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان محيى الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم، ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرى فى وجوههم ولا فى ألوانهم شيء يكرهونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أنّ ملكهم ”دقيانوس“ فى طلبهم، فلما قضاوا صلاتهم قالوا ”لتمليخا“ صاحب نفقتهم: اتتنا بما قال الناس فى شأننا عشية أمس عند الجبّار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون....

فأخرج الورق التى كانت معه فأعطاها رجلاً منهم فقال: يعنى بهذا الورق طعاماً، فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم إلى آخر، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إنّ هذا أصاب كنزاً مخبأً فى الأرض منذ زمان ودهر طويل. فلما رأهم تمليخا يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً، وجعل يرتعد ويظنّ أنهم فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم ”دقيانوس“ ، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه فقال لهم وهو شديد

الفرق: أفضلوا علىّ قد أخذتم ورقى فأمسكوها، وأما طعامكم فليس لى حاجة به....

وقال: اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم علىّ صبراً، وأولج معى روحاً منك تؤيدنى بها عند هذا الجبار. وجعل يقول فى نفسه: فرق ما بينى وبين إخوتى، يا ليتهم يعلمون ما لقيت ، ويا ليتهم يأتونى فنقوم جميعاً بين يدى هذا الجبار، فإننا كنا توافقنا على الإيمان بالله – سبحانه وتعالى – وأن لا نشرك به شيئاً ، ولا نفترق فى حياة ولا موت. فلما انتهى به إلى الرجلين الصالحين ورأى أنه لم يذهب به إلى "دقيانوس" أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ "أريوس وأسطيوس" الورق فنظرا إليها....

فلما رأى الفتية أصحاب الكهف" تمليخا" قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم "دقيانوس"....

وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا" تمليخا" فإنه الآن بين يدى الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه. فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذا هم بـ " أريوس " وأصحابه وقوف على باب الكهف ، فسبقهم " تمليخا " ودخل وهو يبكى ، فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره ، فقص عليهم الخبر كله ؛ فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله تعالى ذلك الزمن الطويل، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث ويعلم الناس أنّ الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على أثر "تمليخا" "أريوس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة؛ فقام بباب الكهف ثم دعا رجالاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم، فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما : "مكسلميينا ومخسلميينا وتمليخا ومطرونس وكشطونس وبيرونس وبيطونسط كانوا فتية

هربوا من ملكهم "دقيانوس" الجبار؛ مخافة أن يفتنهم عن دينهم ، فدخلوا هذا الكهف ؛ فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسُدَّ عليهم بالحجارة ، وإنا كتبنا أسماءهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم . فلما قرعوه عَجِبُوا وحمدوا الله - تعالى - الذى أراهم آية البعث فيهم....

فلما أتى الملكَ الخبرُ قام ورجع إليه عقله وذهب همه، فقال: أحمد الله ربَّ السماوات والأرض وأعبدك وأسبح لك ، تطولت علىَّ ورحمتى فلم تطفئِ النور الذى جعلته لأبائى وللعبد الصالح "قسطيطنوس" الملك فلما نبئ به أهل المدينة ركبوا إليه و ساروا معه حتى أتوا مدينة "أفسوس" فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه نحو الكهف....

الرد عليه :

ماذكره الإمام الخطيب الشربيني فى هذه الرواية لا ثقة فيه ؛ إذ أنه من الدخيل الذى لا يتوقف عليه تفسير ولا تأويل ، وخاصة أنه من رواية ابن إسحاق صاحب المغازى ، وقد قال عنه النسائى وغيره : ليس بالقوى . وقال الدارقطنى : لا يُحتج به . وقال أبو داود : قَدَرَى معتزلى . وقال سليمان التيمي: كذاب. وقال مالك : دَجَّال^(١).

ولا شك أن تلك الأقوال من أعلام الجرح والتعديل تقدر وتذهب الثقة فى هذا الخبر الذى رواه ابن اسحق .

وأيضاً اختلاف الروايات التى ذكرها المفسرون فى شأن أهل الكهف (أسمائهم... عددهم... مكان الكهف ... لون الكلب.....الخ) يقتضى ألا نثق بشيء منها وألا نطمئن لصحة أى منها .

¹ - ينظر : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال لأبى عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى ٧٤٨ هـ ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط. عيسى الحلبى وشركاه ج٣ ص٤٦٩ .

” وقد أنكر ابن كثير على المفسرين الذين خاضوا في مكان الكهف وعدّه تكلفاً ؛ لأن الله – عز وجل – أخبرنا بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض ؛ إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله – تعالى – ورسوله إليه فأعلمنا بصفته ولم يعلمنا بمكانه ، وكذلك أنكر اختلاف القصص والمفسرين في لون الكلب وأسماء أهل الكهف على أقوال لا حاصل ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها ، بل هي مما يُنهي عنه لأن مُسنّدها رجم بالغيب ، ونبّه على أن في صحة كل ذلك نظراً ؛ لأن غالبه متلقى من أهل الكتاب“^(١).

كما أنكر على مَنْ خاض في عددهم فقال ^(٢): ” ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده ، أرشد نبيه ﷺ إلى الأدب في مثل هذا الحال إذا اختلف الناس فيه أن يقول : الله أعلم ؛ ولهذا قال : [قل ربى أعلم بعدتهم] ، وقوله [ما يعلمهم إلا قليل] ، أى من الناس ، [فلا تمار فيهم إلا مرأً ظاهراً] ، أى سهلاً ، ولا تتكلف أعمال الجدل في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم أحداً من الرجال ؛ ولهذا أبهم – تعالى – عدّتهم في أول القصة ، فقال : [إنهم فتية آمنوا بربهم] ، ولو كان في تعيين عدّتهم كبيرُ فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة “ . وعَلّق أبو حيان على هذه

¹ - مستقى من تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، المتوفى ٧٧٤هـ — ط . دار إحياء الكتب العربية عيسى البياىى الحلبي ، ج٣ ص٧٥ — ٧٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير أيضاً— كتاب : أخبار الماضين من بنى إسرائيل قصة أصحاب الكهف — ط . دار التقوى، ج٢ ص١٣٧، ١٣٨ .

² - ينظر : البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص١٣٨ .

الروايات عند تفسيره لسورة الكهف فقال^(١) : "وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضب بشكل ولا نَقْط ، والسند في معرفتها ضعيف ، والرواة مختلفون في قصصهم ، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم ، ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن إلا ما قص تعالى علينا من قصصهم ، ومن أراد تطلب ذلك في كتب التفسير ."

ويقول الشنقيطي في تفسيره عند تناوله للقصة^(٢) : "واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم ، وفي أي محل من الأرض كانوا ، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن ، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها ."

وأرى أن الأفضل للمسلم أن يتدبر القصة ليعتبر بما ساقه الله — عز وجل — فيها من العبرة والموعظة الحسنة ، ويقتدى بأهل الكهف في الفرار بالدين وهجر الدنيا وطلب الآخرة والحرص عليها.

وحول هذا المعنى ذكر القرطبي في جامعه مسأله عند تناوله لقصة أهل الكهف يقول فيها^(٣) : "هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقربات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة، وقد خرج النبي ﷺ فاراً بدينه، وكذلك أصحابه، وجلس

¹ - ينظر: تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، قرطبه : د. عبد الحى الفرماوى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ١٤١٣ هـ — ١٩٩٤ م الأولى ج٦ ص ٥ .

² - ينظر: تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المخنار الحكبي الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، ط. دار الفكر بيروت — لبنان ١٤١٥ هـ ت ١٩٩٥ م ج٣ ص ٢٠٦ .

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي — ط. دار الحديث — القاهرة ، الثانية ١٤١٦ هـ — ١٩٩٦ م ، ج ١٠ ص ٣٦٨ .

فى الغار وقد نص الله - تعالى - على ذلك فى "براءة" وقد تقدم ، وهجروا
أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم ،
رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين ، فسكنى الجبال ودخول
الغيران ، والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق ، وجواز الفرار من الظالم
هى سنة الأنبياء - صلوات الله عليهم - والأولياء . وقد فضل رسول الله ﷺ
العزلة ، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس ، وقد
نص الله - تعالى - عليها فى كتابه فقال: ﴿ فَأُوُوا إِلَى الْكُهْفِ ﴾ .

● وكذلك ما ذكره فى شأن الدابة التى يخرجها الله تعالى قرب قيام
الساعة عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ
دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾^(١)

يقول الإمام الشريبنى^(٢): " وعن على رضى الله تعالى عنه: أنها
تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها، وروى أنه ﷺ سئل :
من أين تخرج الدابة ، فقال : (من أعظم المساجد حُرمةً وأكرمها على الله
فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين
الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم: يقفون نظاراً) وقيل تخرج من
الصفاء، ولما كان التعبير بالدابة يفهم بأنها كالحوانات العُجم لا كلام لها قال
﴿ تَكَلِّمُهُمْ ﴾ أى: بالعربية كما قاله مقاتل بكلام يفهمونه بلسان طلق ذلق فنقول:
﴿ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أى: أن الناس كانوا لا يوقنون
بخروجى ؛ لأن خروجها من الآيات ، وتقول : ألا لعنة الله على الظالمين ،
وعن السدئى: تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام ، وعن ابن
عمر: تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم
اليمن فنفعل مثل ذلك ، وروى أنها تخرج من أجباد ، روى بينما عيسى -

1 - سورة النمل : آية ٨٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص١١٢ .

عليه السلام - يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم
تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلي المسعى ، فتخرج الدابة من الصفا
ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين
عينيه بعصا موسى فتتكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى
يضىء لها وجهه أو تترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن ،
وتتكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين
عينيه كافر ، وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم
تقول لهم : يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار“.

الرد عليه :

ما ذكره الشيخ الشربيني في صفة الدابة و مكان خروجها وطولها
.....الخ ، لم يثبت بخبر صحيح عن النبي ﷺ ، ومن الواضح أن كل
هذه الأخبار من الإسرائيليات خاصة أن من رواها ابن جريج ، وقد قال عنه
يحيى بن سعد : أخباره شبه الريح^(١)، وإن كان ثقة عند البعض من علماء
الرجال إلا أنه كثير النقل من كتب الإسرائيليات كما قال الحافظ الذهبي^(٢)،
وابن جريج وابن منبه^(٣) وأمثالهما من مسلمي أهل الكتاب معروفون

^١ - ينظر: تهذيب التهذيب للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل
أحمد بن خليل بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ - ط . مطبعة مجلس
دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكنى ١٣٢٥ هـ، جـ
٦ ص ٤٠٤ .

^٢ - ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي ج٤ ص ٣٥٢ .

^٣ - هو وهب بن منبه الأنباري الصنعاني أبو عبد الله ، مؤرخ ، كثير الأخبار عن الكتب
القديمة ، من كتبه قصص الأخبار وقصص الأنبياء ، وذكر الملوك المتوجة من حمير
وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج٨ ص ١٢٥ ،
٢٦ .

بالإكثار من رواية الإسرائيليات ، وعلى ذلك ينبغي أن تكون على حذر فيما يروى عنهما من الغيب الذي استأثر الله بعلمه .

وقد أنصف الإمام الرازي حين قال تعقيباً على ما ذكر^(١): " واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور؛ فإن صح الخبر فيه عن رسول الله ﷺ قبل وإلا لم يُلتفت إليه ."

والإمام على كرم الله وجهه أعقل من أن ينقل مثل هذا الهراء الإسرائيلي.

والحافظ ابن كثير أورد ما جاء من روايات في شأن الدابة في تفسيره وعقب عليه بقوله^(٢): " رواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفاً فانه أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً ، وأن ذلك في زمان عيسى عليه السلام ، وهو يطوف بالبيت ، ولكن إسناده لا يصح . " وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه للطبراني عن حذيفة بن أسيد وقال^(٣): " فيه طلحة بن عمرو وهو متروك . "

وقد أنكر أبو حيان على من خاض في هذه التفاصيل فقال عن الدابة عند تفسيره لهذه الآية: " واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها

1 - ينظر: مفاتيح الغيب للرازي جـ ٢٤ ص ١٨٧ .

2 - ينظر: تفسير ابن كثير ٣ ص ٣٧٥ .

3 - ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧ هـ ، تحرير: الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر - ط . مكتبة القدسي - القاهرة ، جـ ٨ ص ٧ .

ويكذب بعضه بعضاً، فاطرحنا ذكره ؛ لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح،
وتضييع لزمان نقله^(١)

● وكذلك زلَّ الشيخ الخطيب الشربيني في بعض المواضع التي دخلتها الإسرائيليات مما يتعلق بقصص الأنبياء، وذلك كما حدث له في سورة الأحزاب، قصة زيد بن حارثة، وذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾^(٢) فيذكر الخطيب الشربيني هنا رواية في غفلة ظاهرة حيث انساق وراء الإسرائيليات المكذوبة على رسول الله ﷺ وراح يرددتها وراءهم -غفر الله له- حيث يقول^(٣): "وأخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان قال: "جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد يقال له: زيد بن محمد، فربما فقد رسول الله ﷺ الساعة فيقول أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده، وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فضلاً، فأعرض رسول الله ﷺ عنها فقالت: ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل، فأبى أن يدخل، فأعجبت رسول الله ﷺ فولى وهو يهيمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا ربما أعلن بسبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل، فقالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال فسمعت شيئاً منه، قالت: سمعته حين ولّى تكلم بكلام لا أفهمه، وسمعته يقول: سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب، فجاء يزيد حتى أتى

¹ - ينظر: البحر المحيط لأبي حيان، ج ٧ ص ٩١.

² - سورة الأحزاب: آية ٣٧.

³ - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٣٦١.

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بلغنى أنك جئت منزلي فهلا دخلت يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال رسول الله ﷺ: (أمسك عليك زوجك) ففارقها زيداً واعتزلها وانقضت عدتها ، فبينما رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة إذ أخذته غشبية ، فسرى عنه وهو يبتسم ويقول: مَنْ يذهب إلى زينب يبشرها أن الله زوجها من السماء ، وقرأ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي ﴾ الآية قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد ؛ لما يبلغنا من جمالها وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها زوجها الله من السماء وقلت: هي تفخر علينا بهذا^(١).

وقد ذكر الشيخ الشربيني هذه الرواية الباطلة التي دسها أعداء الإسلام وغفل عن بطلانها بعض المفسرين ، فنسب للنبي ﷺ محبة طلاق زيد لزينب ليتزوجها هو ، ومعنى الآية الصحيح : "واذكر إذ تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بهداية الإسلام ، وأنعمت عليه بالتربية والعنق : أمسك عليك زوجك " زينب بنت جحش " واتق الله فيها ، واصبر على معاشرتها ، وتخفى في نفسك ما الله مبهره من أنه سيطلقها ، وأنت ستتزوجها ، وتخاف أن يعيرك، والله هو الجدير بأن تخافه ، ولو كان في ذلك مشقة عليك"^(٢).

¹ -أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى في ترجمة زينب بنت جحش - رضى الله عنها- ج ٨ ص ٨٢؛ ينظر: كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ومشمئ على السيرة النبوية ، عنى بتصحيحه وطبعه ادوارد سخوب ، طبع مصوراً عن كتاب طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ١٢٢١ هـ - من منشورات مؤسسة النصر - طهران . وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب : معرفة الصحابة،باب :ذكر زينب بنت جحش - رضى الله عنها - ج ٤ ص ٢٥ ح ٦٧٧٥،وسكت عنه الحاكم والذهبي.

² - ينظر: تفسير المنتخب فى القرآن الكريم ، لجنة القرآن والسنة - ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص ٦٢٨.

وبهذا يتضح أن المقصود بقوله - تعالى - : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أن الذي يخفيه النبي ﷺ هو ما أعلمه الله - عز وجل - إياه من تقديره زواجه ﷺ من زينب ، وأن هذا هو ما سيبيديه الله - عز وجل - وليس كما جاء في الرواية التي ذكرها الإمام الشربيني ، وهذا ما يدل عليه التعليل في الآية.

ولا داعي أصلاً لقبول مثل هذه الروايات ، بل نرتضى فيها وفي أمثالها من الموضوعات موقف العلماء المحققين أمثال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فقد أشار إلى هذه الأكذوبة عند تفسيره للآية فقال^(١): "ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها".

ولا يوجد مثل هذه الروايات في كتب الحديث المعتمدة ، والذي جاء في الصحيح يخالف ذلك ، وليس فيه هذه الرواية المنكرة ؛ روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن هذه الآية ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة ، واقتصر على هذا القدر وليس فيه شيء من هذا الخلط ، وقال الحافظ ابن حجر: " ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، وما أوردته هو المعتمد" والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه. وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنّي بأمر لا أبلغ في الإبطال منه ، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً،

¹ - ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤٩١ .

ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم ، وإنما وقع الخطب فى تأويل متعلق الخشية^(١).

وهكذا يسرد الشيخ الشربيني الرواية دون التعقيب عليها بتصحيح أو

تضعيف.

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةً بِمَ يُرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾^(٢) يذكر الإمام الشربيني رواية واهية عن هدية بلقيس لسليمان عليه السلام وما كان من امتحانها له، دون أن يعقب عليها؛ فيقول^(٣): " وذلك أن بلقيس " كانت امرأة كَيِّسَةً قد سَيَّسَتْ و سَاسَتْ فقالت للملأ من قومها: إني مرسله إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها عن ملكي فأختره بها أملك هو أم نبي؟ فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن يكن نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضها منا إلا أن نتبعه على دينه [.....]، فأهدت إليه وصفاً ووصائف، [.....]، واختلف في عددهم: فقال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة، وقال مجاهد ومقاتل: مائة غلام ومائتا جارية، وقال قتادة: أرسلت إليه بلبنات من ذهب فى حرير وديباج، وقال ثابت البناني: أهدت إليه صفائح الذهب فى أوعية الديباج، وقيل: كانت أربع لبنات من ذهب، وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان الأقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب وفى أعناقهم أطواقاً من ذهب وفى آذانهم أقراطاً وشُنُوفاً مرصَّعات بأنواع الجواهر

¹ - ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى " وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " ٤٧٨٧ جـ ١٣ ص ٤٧١، ٤٧٣ بتصرف.

² - سورة النمل: آية ٣٥.

³ - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٨٧ - ٨٩ .

وغواشيتها من الديباج الملونة، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة من فضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع ، وأرسلت المسك والعنبر، وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير متقوية ، وجذعة لعلها متقوية معوجة الثقب ، ودعت رجلاً من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه رجلاً من قومها أصحاب رأى وعقل ، وكتبت معهم كتاباً بنسخة الهدية....

فانطلق الرسول بالهدايا ، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر كله ؛ فأمر سليمان ، عليه السلام الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة، ففعلوا ، ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذى هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميادين حائطاً شرفها من الذهب والفضة ففعلوا ، ثم قال أىّ الدواب أحسن مما رأيتم فى البر والبحر قالوا يا نبيّ الله إنا رأينا دوابّ فى مجر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص ، قال علىّ بها الساعة ، فأتوا بها، فقال : شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة ، وألقوا لها علوفتها فيها، ثم قال للجنّ : علىّ بأولادكم ؛ فاجتمع خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي على يمينه ومثلها على يساره ، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا صفوفاً فراسخ، وأمر الوحوش والسباع والهوامّ والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره .

فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدوابّ التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا ما معهم من الهدايا. وفى بعض الروايات أن سليمان لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر

موضع اللبانات التي معهم ؛ فلما رأى الرسل موضع اللبانات خاليًا وكل الأرض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك ، فطرحوا ما معهم في ذلك الموضع الخالي. فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففزعوا، فقالت لهم الشياطين جُوزوا فلا بأس عليكم، فكانوا يمرّون على كردوس من الجنّ والإنس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر إليهم سليمان نظرًا حسنًا بوجه طلق وقال: ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاءوا له وأعطاه كتاب الملكة.... ثم ردّ سليمان الهدية“.

وهكذا يذكر الشيخ الشربيني الرواية دون التعليق عليها بالبطلان، رغم أن نسجها يبدو منه أنه مبنئ على الخيال؛ فما ذكره في بيان نوع الهدية التي أرسلتها ملكة سبأ إلى نبي الله سليمان – عليه السلام – سبقه إليه ابن جرير الطبري في تفسيره حيث روى في ذلك روايات عديدة منسوبة للضحاك وابن جريج ووهب بن منبه^(١)، والسيوطي في الدر المنثور عن السدي ووهب بن منبه^(٢)، والثعلبي في قصصه عن وهب بن منبه^(٣)، وفي ذلك دلالة على أنها من الإسرائيليات التي يذكرها الرواة عن أهل الكتاب .

وحين روى ابن كثير هذا الخبر في تفسيره عقب عليه تنبيهًا على بطلانه بعد أن بيّن اختلاف المفسرين في نوع الهدية ؛ فقال: ” والله أعلم أكان ذلك أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان – عليه السلام – لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به ؛ بل أعرض عنه ؛ وقال منكرًا عليهم: أتمدونني بمال؟“^(٤).

1 - ينظر: تفسير جامع البيان جـ ١٥ ص ١٣٠ - ١٣٥ .

2 - ينظر: تفسير الدر المنثور جـ ٤ ص ٣٨٤ - ٣٨٩ .

3 - ينظر: قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس لأبي اسحق الثعلبي - ط . عيسى الحلبي ص ٢٨١ .

4 - ينظر: تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٦٣ .

وأنكر الألوسى الروايات التي وردت في بيان نوع الهدية فقال^(١): ” وكلُّ ذلك أخبار لا يُدرى صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه والله أعلم.“

وهكذا في مواضع أخرى يذكر الإمام الخطيب الشربيني بعض القصص الإسرائيلية ويبر عليها دون تنبيه عليها أو تضعيفها، إلا أن ما ذكره في تفسيره ليس فيه طعن في عصمة الأنبياء.

٢- يصح ما لا يليق (ما يخل) بعصمة الأنبياء:

إذا كان تفسير الشيخ الخطيب الشربيني مليئاً بالإسرائيليات التي لا يعقب عليها بتصحيح أو تضعيف إلا أنه لا يفوته أن يعلق على قصة تخل بمقام النبوة فيعلق عليها بما يُظهر بطلانها، وهذه بعض الأمثلة من تفسيره:

● فعند تفسيره للآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٢) يرد ما ورد في تفسيرها من روايات باطلة تخل بعصمة سيدنا يوسف عليه السلام فقال^(٣): ” وأما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم بها بأن حل الهميان وجلس بها مجلس المُجَامِعِ وبأنه حل تِكَّةَ سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها، ومن تفسير البرهان بأنه سمع صوتاً: إياك وإياها فلم يكثر له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمعه ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أناملته، وقيل: ضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقيل: كل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين همّ، وقيل: صيغ به يا يوسف لا تكن كالطائر

١ - ينظر: تفسير روح المعاني للألوسى ج ١٩ ص ١٣٤ .

٢ - سورة يوسف: جزء من آية ٢٤ .

٣ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ١٤٧ .

كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له، وقيل: بدت كف فيما بينهما ليس لها
 عضد ولا معصم مكتوب فيها: ﴿وَأِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {١٠} كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾
 [الانفطار ١٠، ١١] فلم ينصرف ثم رأى فيها ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ
 فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] فلم ينته ثم رأى فيها ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا
 تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فلم ينجح فيه؛ فقال الله - تعالى -
 لجبريل - عليه السلام - : أدرك عبدى قبل أن يدرك الخطيئة، فانحط
 جبريل وهو يقول: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان
 الأنبياء؟ وقيل: رأى تمثال عزيز. وقيل، قامت المرأة إلى صنم كان هناك
 فسترته وقالت: أستحي أن يرانا، فقال يوسف: استحييت مما لا يسمع ولا
 يبصر ولا أستحي من السميع العليم بذات الصدور - فلم^(١) يصح منه شيء
 عن أحد منهم ، مع أن هذه الأقوال التى وردت عنهم إذا جمعت تناقضت
 وتكاذبت. قال الزمخشري^(٢): "وهذا ونحوه ممن يورده أهل الجبر والحشو
 الذين دينهم بهت الله وأنبيائه . فأخزى الله أولئك فى إيرادهم ما يؤدى إلى أن
 يكون إنزال الله السورة التى هى أحسن القصص فى القرآن العربى المبين
 ليقتدى بنبى من أنبياء الله - تعالى - فيما ذكره . وأهل العدل والتوحيد
 ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل . وأطال فى رد ذلك، وكذا فعل
 الرازى^(٣) ."

● وأيضاً عند إنتهائه تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ
 الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ {٢١} إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ
 قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا
 تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ {٢٢} إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ
 نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ {٢٣} قَالَ

1 - جواب "أما" فى أول كلام الشيخ الشريبنى .

2 - ينظر: الكشاف للزمخشري : ج٢ ص ٣١٢ .

3 - ينظر : التفسير الكبير للرازى ج١٨ ص ٩٣، ٩٤ .

لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَاطِءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ
وَوَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ {٢٤} فَغَفَرْنَا لَهُ
ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿١﴾.

نقل الإمام الشريبي ما ذكره الرازي في تفسيره عن الإسرائيليات
في قصة داود وردّه عليها ؛ فقال^(٢):

" قال الرازي^(٣): " وللناس في هذه القصة ثلاثة أحوال؛ أحدها: أن هذه
القصة دلت على صدور الكبيرة منه ، وثانيها: على الصغيرة ، وثالثها: لا
تدل على كبيرة ولا صغيرة ، فأما القول الأول فقالوا: إن داود — عليه
السلام — أحب امرأة "أوريا" فاحتال في قتل زوجها ثم تزوج بها ، ثم أرسل
الله — تعالى — ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته ،
وعرّضا تلك الواقعة عليه ، فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبًا ،
ثم تنبه لذلك واشتغل بالتوبة....

قال الرازي: والذي أدين الله — تعالى — به وأذهب إليه أن ذلك باطل
لوجوده.

الأول: أن هذه الحكاية لاتناسب داود.... فكيف يليق بالعاقل نسبة
المعصية إلى داود — عليه السلام —.

1 - سورة ص: ٢١ - ٢٥ .

2 - السراج المنير ج٦ ص١٩٩-٢٠١ باختصار.

3 - التفسير الكبير للرازي ج٢٦ ص١٦٥: ١٦٩ باختصار .

ثانيها: أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين : إلى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق ، وإلى الطمع فى زوجته، أما الأول: فأمر منكر... وأما الثانى: فمنكر أيضاً....

ثالثها: إن الله - تعالى - وصف داود - عليه السلام - بصفات تنافى كونه - عليه السلام - موصوفاً بهذا الفعل المنكر.

الصفة الأولى: أنه - تعالى - أمر محمداً ﷺ أن يقتدى بـداود - عليه السلام - فى المصابرة على المكاره....

الصفة الثانية: أنه وصفه بكونه عبداً له . وقد بينا أن المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً فى وصف العبودية فى القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات....

الصفة الثالثة: وهى قوله - تعالى - : ﴿ ذَا الْأَيْدِ ﴾ أى : ذا القوة ولا شك أن المراد منه القوة فى الدين....

الصفة الرابعة: كونه أواباً كثير الرجوع إلى الله فكيف يليق هذا الوصف بمن قلبه مشغول بالفسق والفجور.

الصفة الخامسة: قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ ﴾ أفترى أنه سخرت له الجبال لیتخذ سبيل القتل والفجور!؟.

الصفة السادسة: قوله - تعالى - : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ قيل: إنه كان محرماً عليه صيد شىء من الطير فكيف يعقل أن يكون الطير آمناً منه ولا يجوز أمن الرجل المسلم على روحه ومنكوحه.

الصفة السابعة: قوله — تعالى —: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ ... والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ، ومن لم يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك.

الصفة الثامنة: قوله — تعالى —: ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً... فهذه الصفات التي وصف بها قبل شرح القصة ، وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة.

فأولها: قوله — تعالى —: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴾ وقوله — تعالى —: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ فكيف أن الله — تعالى — يجعله خليفة ويقع منه ذلك؟!

فإن قيل: قد ذكر هذه القصة كثير من المحدثين والمفسرين. أجيب: بأنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد كان الرجوع إلى الدلائل القطعية واجباً. والمحققون يردون هذا القول ويحكمون عليه بالكذب.

وأما القول الثاني: فقالوا: تحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على حصول الكبيرة ، وذلك من وجوه: الأول: أن هذه المرأة خطبها "أوريا" فأجابوه، ثم خطبها داود — عليه السلام — فأثره أهلها ؛ فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه. الثاني: قالوا: إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب البتة ... الثالث: أنه كان أهل زمان داود — عليه السلام — يسأل بعضهم بعضاً أن يطلق زوجته حتى يتزوجها... فاتفق أن عين داود — عليه السلام — وقعت على تلك المرأة فأحبها فسأله النزول عنها ... وإن كان جائزاً في ظاهر الشريعة إلا أنه لا يليق بك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين....

وأما القول الثالث: فقال : تحمل هذ القصة على وجه لا يلزم منه إيجاب كبيرة ولا صغيرة لداود - عليه السلام - بل يوجب أعظم أنواع المدح والثناء له؛ وهو أنه قد روى أن جماعة من الأعداء طمعوا فى أن يقتلوا نبي الله داوا - عليه السلام - وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل فيه بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة فى ذلك اليوم وتسوروا المحراب ، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً تمنعهم منه ؛ فخافوا ووضعا كذباً ... فإن قيل: ههنا أربعة ألفاظ يمكن أن يحتج بها فى إلحاق الذنب بـ داود - عليه السلام - أحدها: قوله - تعالى - : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ وثانيها: قوله - تعالى - : ﴿ فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ ﴾ وثالثها: قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنَابَ ﴾ ورابعها: قوله - تعالى - : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾ . أجيب: بأن هذه الألفاظ لا يدل شىء منها على ما ذكر؛ لاحتمال أن تكون الزلة إنما حصلت من باب ترك الأفضل والأولى كما مر ... ” .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾^(١) يرد ما ورد عن وهب بن منبه من روايات باطلة تتنافى مع عصمة النبي سليمان - عليه السلام - فيقول^(٢): ” قال محمد بن إسحاق: عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر وكان الله - تعالى - قد أعطى سليمان فى ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شىء فى بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فأخذها وقتل ملكها وسبا ما فيها ، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها "جرادة" لم ير مثلها حسناً وجمالاً ؛ فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه ، وأحبها حباً لم يحبه

1 - سورة ص: آية ٣٤ .

2 - السراج المنير: ج٦ ص ٢٠٩-٢١١ باختصار .

شيئاً من نساءه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها ، فشق ذلك على سليمان — عليه السلام — فقال لها: ويحك ما هذا الحزن؟ ... قالت: إن ذلك كذلك ، ولكن إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن ؛ فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشياً لرجوت أن يذهب ذلك حزني ، فأمر سليمان — عليه السلام — الشياطين ، فمثلوا لها صورة أبيها ، فعمدت إليه حين صنعوه ، وألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان — عليه السلام — تذهب إليه مع ولائدها فتسجد له ويسجدنَ معها له تبعاً لها كما كانت تصنع في مُلكه ، وسليمان — عليه السلام — لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً ، فبلغ ذلك "آصف بن برخيا" وكان صديقاً لسليمان — عليه السلام — وكان لا يُردّ عن أبواب سليمان — عليه السلام — أي ساعة أراد دخول شيء من بيوت سليمان — عليه السلام — حاضراً كان سليمان — عليه السلام — أو غائباً.... وكانت له أمٌ ولد يقال لها: الأمانة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها ، وكان مُلكه فيه فوضعه عندها يوماً ، فأثاها الشيطان صاحب البحر واسمه "صخر" على صورة سليمان — عليه السلام — قال لها: يا أمانة خاتمي فناولته الخاتم وتختم به وجلس على كرسى سليمان — عليه السلام —؛ فعكف عليه الطير والجن والإنس وتغيرت صفة سليمان عليه السلام ، فأتى الأمانة يطلب الخاتم فأنكرته ؛ فعرف أن الخطيئة قد أدركته ؛ فكان يدور على البيوت يتكفف ، وإذا قال : أنا سليمان حنّوا عليه التراب وسبّوه . وأخذ ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحداهما بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها . فمكث كذلك أربعين صباحاً مدة ما كان عبداً الوثن في داره ، فأنكر آصف وعظماء بنى إسرائيل حكم الشيطان.

وسأل آصف نساء سليمان عليه السلام فقلن: ما يدع امرأة في دمها ، ولا يغتسل من جنابة ؛ فقال آصف : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إن هذا لهو البلاء المبين ، ثم خرج على بنى إسرائيل فقال: ما في الخاصة أعظم مما في

العامة. فلما مضى أربعون صباحًا طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعه سمكة فأخذها بعض الصيادين ، وقد عمل له سليمان عليه السلام بسمكتين صدر يومه ذلك ، حتى إذا كان العشي أعطاه سمكتيه فأعطى السمكة التى أخذت الخاتم ... فبقرها ليشويها فاستقبله الخاتم فى جوفها فأخذه فجعله فى يده ووقع ساجدًا ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ورجع إلى ملكه ، وأخذ ذلك الشيطان وحبسه فى صخرة ، وألقاه فى البحر هذا ملخص حديث وهب . وقال الحسن: ما كان الله لیسلب الشيطان على نساته“.

ويذكر الشيخ الخطيب الشربيني روايات أخرى للسدى وسعيد بن المسيب، ثم يردّ على هذه الروايات الباطلة ؛ فيقول: (١) ” قال الرازى(٢): واستبعد أهل التحقيق هذا الكلام من وجوه ؛ الأول: أن الشيطان لو قدر على أن يشتهب فى الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك ؛ فلعل هؤلاء الذين رأهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى — عليهم السلام — ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم فى الصورة لأجل الإغواء والإضلال، وذلك يبطل الدين بالكلية.

الثانى: أن الشيطان لو قدر أن يعامل نبي الله تعالى سليمان — عليه السلام — بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد ؛ وحينئذ يجب أن يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم، ولما بطل ذلك فى حق آحاد العلماء فلأن يبطل فى حق أكابر الأنبياء أولى.

1 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٢١١، ٢١٢ .

2 - ينظر: التفسير الكبير الرازى ج٢٦ ص ١٨٢.

الثالث: كيف يليق بحكمة الله - تعالى - وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان - عليه السلام - ولا شك أنه قبيح . أى: على غير رأى الحسن كما مر .

الرابع: لو قلنا إن سليمان - عليه السلام - أذن لتلك المرأة فى عبادتها تلك الصورة فهذا كفر منه، وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله - تعالى - سليمان - عليه السلام - بفعل لم يصدر منه أى : وقد يقال: إنما أُوخذ بذلك لكونه كان سبباً فى عملها .

قال: فأما أهل التحقيق فقد ذكروا وجوهاً ؛ الأول: أن فتنة سليمان - عليه السلام - أنه ولد له ابن فقالت الشياطين : إن عاش صار مسلطاً علينا مثل أبيه؛ فسبيلنا أن نقتله، فعلم سليمان - عليه السلام - ذلك فكان يربيه فى السحاب فبينما هو يشتغل بمهامته إذ ألقى ذلك الولد ميتاً على كرسيه فتنبه على خطيئته فى أنه لم يثق ولم يتوكل على الله تعالى فاستغفر ربه وتاب .

الثانى: روى عن النبى ﷺ أنه قال: (قال سليمان لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله تعالى، فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . والذى نفسى بيده لو قال: إن شاء الله - تعالى - لجاهدوا فى سبيل الله فُرساناً أجمعين) (١) فذلك قوله - تعالى - : ﴿ وَكَفَدْنَا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ [ص: ٣٤] .

¹ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب: قوله - تعالى - : "ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب " ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ ص ١٧٩ - ١٨٥ ح ٣٤٢٤ . وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب: الإستثناء جـ ٣ ص ١٣٠ ، ١٣١ ح ١٦٥٤ .

الثالث: أنه أصابه مرض فصار يجلس على كرسيه وهو مريض ؛
فذلك قوله - تعالى - : ﴿ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ وذلك لشدة المرض،
والعرب تقول فى الضعيف: إنه لحم على وضمّ وجسم بلا روح ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾
أى: رجع إلى حال الصحة أى: وهذا أظهر ما قيل كما قال البيضاوى^(١).

الرابع: لا يبعد أيضاً أن يقال: إنه ابتلاه الله - تعالى - بتسليط وقوع
خوف أو وقوع بلاء توقعه من بعض الجهات حتى صار بقوة ذلك الخوف
كالجسد الضعيف الخفى على ذلك الكرسي ، ثم إن الله تعالى أزال عنه ذلك
الخوف وأعادته إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب ؛ فاللفظ محتمل لهذه
الوجوه ولا حاجة إلى حمله على تلك الوجوه الركيكة، فإن قيل: لولا تقدم
الذنب، لما ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾، أجيب: بأن الإنسان لا ينفك عن ترك
الأفضل وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة ؛ لأن حسنات الأبرار سيئات
المقربين، ولأنه أبداً فى مقام هضم النفس وإظهار الندم والخضوع كما قال
ﷺ: (إني لأستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة سبعين مرة)^(٢) مع أنه ﷺ
غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا يبعد أن يكون المراد من هذه الكلمة
هذا المعنى.

¹ - لم أجد القاضى البيضاوى قد ذكر هذا الرأى عند تفسيره لهذه الآية ، بل إنه اعتبر
"الرأى الثانى " أظهر ما قيل ؛ ينظر: حاشية زاده على البيضاوى جـ ٧
ص ٢٠٢، ٢٠١.

² - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب: الدعوات ، باب : استغفار النبى ﷺ فى
اليوم والليلة ، ينظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ 17 ص 30 ، ح ٦٣٠٧ .

عنايته بالأسلوب الموضوعي في التفسير

من أساليب تفسير القرآن الكريم، الأسلوب الموضوعي، ومعناه أن "يلتزم المفسر موضوعاً قرآنياً واحداً يجمع الآيات الواردة فيه ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك - حسب جهده - إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه الذي تناوله".^(١)

والشيخ الخطيب الشربيني من المفسرين الذي اهتموا بهذا الجانب في تفاسيرهم؛ فالقارىء لتفسيره يلحظ أنه رغم جمعه بين المأثور والرأى إلا أنه يلجأ أحياناً إلى الربط الموضوعي بين الآية ونظائرها في القرآن الكريم ، فيهتم بالربط الموضوعي بين الآية التي هو بصدد تفسيرها وبين نظائرها في جميع القرآن، مما يجتمع معها في الموضوع أو يشترك في الهدف.

واهتم الخطيب الشربيني بجمع الآيات التي تكشف ما لم تدل عليه الآية الأولى ؛ فتصبح الآيات مجتمعة في نسيج واحد ، تجلو إبهام وتوضيح غموض الآية التي يفسرها:

● فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) يقول^(٣) : " في قولكم وذلك أنّ اليهود ادعوا دعاوى باطلة ؛ مثل قولهم ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً ﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] فكذبهم الله - عز وجل - وألزمهم الحجة ؛ فقال: قل لهم يا محمد ذلك ؛ لأنّ من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار

¹ - ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي - ط . مكتبة الراشد - الرياض ، الرابعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م ، ج ٣ ص ٨٦٢.

² - سورة البقرة: آية ٩٤ .

³ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ١٢٤ .

ذات الشوائب. كما روى عن المبشرين بالجنة - رضى الله - تعالى - عنهم - فقد كان على - رضى الله - تعالى - عنه - يطوف بين الصفين فى غلاله ؛ فقال له ابنه الحسن: ما هكذا نرى المحاربين؛ فقال له: يا بنى لا يبالى أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت“.

● وأيضاً عن انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) يقول^(٢): ” قال البيضاوى^(٣): وتحقيق الآية - والله أعلم - أن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فبين الله - تعالى - لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله - تعالى - لأنه الذى له الخلق والأمر؛ فإنه - تعالى - خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم ؛ فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله: ﴿ فَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسمًا قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة، ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال ؛ وأشار إليه بقوله - تعالى - : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ٩] أى: ما فى جهة السفلى فى يومين ، ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة كما قال - تعالى - بعد قوله: ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَّ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ [فصلت: ١٠] أى مع اليومين الأولين اللذين خلق فيهما السموات والأرض ؛ لقوله - تعالى - : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [السجدة: ٤] ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالمملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة ؛ فدبر الأمر من السماء إلى الأرض؛ بتحريك الأفلاك،

1 - سورة الأعراف: آية ٥٤ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٢٠٥ .

3 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جـ ٤ ص ٢٣٥، ٢٣٦ .

وتسيير الكواكب ، وتكوير الليالى والأيام ، ثم صرّح بما هو نتيجة ذلك ؛ فقال: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ .“

● وكذلك عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾^(١) يذكر نظائرها من الآيات الأخرى؛ فيقول^(٢): ” ونظيره قوله – تعالى –: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا ﴾ [القصص: ٨٥] وقوله – تعالى –: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ [الأنبياء: ١١] فبين – تعالى – أن عذابه ليس مقصوراً على من تقدّم، بل الحال فى أخذ كل الظالمين يكون كذلك “.

● وأيضا عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾^(٣) يقول^(٤): ” فأوسعنا على مؤمن وقترنا على مؤمن آخر، وأوسعنا على كافر وقترنا على كافر آخر، وبين – سبحانه وتعالى – وجه الحكمة فى التفاوت فى سورة الزخرف بقوله – تعالى –: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال – تعالى – فى آخر سورة الأنعام: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٥] “.

● وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾^(٥) يقول^(٦): ” لمن خاف مقامى " أى: موقفى وهو موقف الحساب؛ لأن ذلك الموقف موقف الله الذى يوقف فيه عباده يوم القيامة ، ونظيره

1 - سورة هود: آية ١٠٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ١١٤ .

3 - سورة الاسراء: جزء من آية ٢١ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٤٢٠ .

5 - سورة إبراهيم: جزء من آية ١٤ .

6 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٢٥٤ .

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقيل: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ [إبراهيم: ١٤] أى: خافنى ؛ فالمقام مقحم ، مثل ما يقال: سلام على المجلس العالى ، والمراد السلام على فلان“.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ {٢} هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ^(١) يجمع بينهما وبين قوله - تعالى - فى سورة البقرة : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) وبين وجه الاختلاف بينهما ؛ فيقول^(٣) : ” وقال - تعالى - ”للمحسنين“ إشارة إلى أن رحمة الله قريب من المحسنين فإنه - تعالى - قال فى البقرة : ” ذلك الكتاب ” ولم يقل الحكيم ، وههنا قال : ”الحكيم“ ؛ لأنه لما زاد ذكر وصف فى الكتاب زاد ذكراً من أحواله ؛ فقال: ”هدى ورحمة“ وقال : ”هدى للمتقين“ فقوله - تعالى - ”هدى“ فى مقابلة قوله - تعالى - ”الحكيم“ ، ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذى الحكمة كقوله - تعالى - فى عيشة راضية ؛ أى : ذات رضا ، وقوله - تعالى - هناك : ”للمتقين“ وقوله - تعالى - هنا ”للمحسنين“ لأنه لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئاً آخر قال ”للمتقين“ أى: يهدى به من يتقى الشرك والعناد ، وههنا زاد قوله - تعالى - ”ورحمة“ فقال ”للمحسنين“ ؛ لأنه لما ذكر أنه لم يذكر شيئاً آخر قال ”للمتقين“ أى: يهدى به من يتقى الشرك والعناد، وههنا زاد قوله - تعالى - ”ورحمة“ فقال ”للمحسنين“ كما قال - تعالى - : ”للذين أحسنوا الحسنى وزيادة“ [يونس: ٢٦] فناسب زيادة قوله - تعالى - ”ورحمة“ ولأن المحسن يتقى وزيادة“.

1 - سورة لقمان: الآيتين ٢، ٣.

2 - سورة البقرة: آية ٢.

3 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٢٦٠ .

● وعند تكرار الآية في عدة سور يذكر الخطيب الشربيني عدد المرات التي ذكرت فيها والسور التي تكررت فيها ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿أَنْذَا كُنَّا تَرَابًا أُنْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١) يقول^(٢): " فائدة جميع ما في القرآن من ذلك أحد عشر موضعاً في تسع سور، والأحد عشر مكررة فتصير اثنين وعشرين، في هذه السورة موضع [الرعد]، والثاني والثالث في سورة [الاسراء]، والرابع في [المؤمنون]، والخامس في [النمل]، و السادس في [العنكبوت]، و السابع في [السجدة]، والثامن والتاسع في [الصفات]، و العاشر في [الواقعة]، والحادي عشر في [النازعات]. وأذكر إن شاء الله - تعالى - في كل سورة من السور المذكورة مذهبهم في محله".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾^(٣) يقول^(٤): " تنبيه: هذا هو المرة الخامسة من قصة آدم في القرآن أولها في [البقرة]، ثم في [الأعراف]، ثم في [الحجر]، ثم في [الكهف]، ثم ههنا، وقوله - تعالى - "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ" تقدم الكلام على ذلك مفصلاً في سورة البقرة، وقوله - تعالى -: "أبَى" جملة مستأنفة ؛ لأنها جواب سؤال مقدر ؛ أي : ما منعه من السجود ؟ فأجيب بأنه أبى، ومفعول الإباء يجوز أن يكون مراداً، وقد صرح به في الآية الأخرى في قوله - تعالى -: ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١]، وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصلة، ويجوز أن يراد أصلاً، وأن المعنى: أنه من أهل الإباء والعصيان من غير نظر إلى متعلق الإباء ما هو".

1 - سورة الرعد: جزء من آية ٥.

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٢١٥.

3 - سورة طه: آية ١١٦.

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٢٠٤.

كما يهتم الخطيب الشريبي في جمعه بين الآيات بتأويل المشكل ؛
أى: التوفيق بين الآيات التي قد يوهم ظاهرها التناقض.

● كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (١) يقول (٢): " فإن قيل: أليس قال - تعالى - : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤] فكيف قال هنا: ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم: ١٠] ؟ أجيب: بأن الأجل على قسمين: معلق ومبرم".

● وأيضاً بعد إنتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (٣) قال (٤): " تنبيه: قال - تعالى - هنا "من صلصال كالفخار" وقال - تعالى - في الحجر ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ وقال - تعالى - في الصافات: ﴿ مَنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١] وقال - تعالى - فى آل عمران: ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩] وكله منفق المعنى؛ وذلك أنه أخذ من تراب الأرض، فعجنه بالماء فصار طيناً، ثم ترك حتى صار حمأً مسنوناً، ثم منتناً ، ثم صورّه كما يصور الإبريق وغيره من الأوانى، ثم أبيضه حتى صار فى غاية الصلابة ؛ فصار كالخزف الذى إذا نقر صوت صوتاً يعلم منه هل فيه عيب أو لا ؛ فالمذكور هنا آخر تخليقه وهو أنسب بالرحمانية. وفى غيرها تارة مبدؤه وتارة أثنائه، فالأرض أمة والماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذى هو من فيح جهنم، فمن التراب جسده ونفسه، ومن الماء روحه وعقله ، ومن النار غوايته وحدثه، ومن الهواء حركته وتقلبه فى محامده ومذامه، فالغالب فى جبلته التراب ؛

1 - سورة إبراهيم: جزء من آية ١٠.

2 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٢٥٢.

3 - سورة الرحمن: آية ١٤.

4 - ينظر السراج المنير: ج٧ ص ٢٤٥.

فلهذا نسب إليه وإن خلق من العناصر الأربع ، كما أن الجان خلق من العناصر الأربع لكن الغالب في جبلته النار؛ فنسب إليها “.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(١) يجمع بينها وبين قوله – تعالى –: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢) فيقول^(٣): “فإن قيل: كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله – تعالى – ”وما يعلم تأويله إلا الله“، أجيب: بأن إن قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر، وإن قلنا بالوقف على الله وابتداء بقوله – تعالى –: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ فلأن من علم كتاباً عظيماً فيه مواضع مشكلة قليلة وتأملها بقدر الإمكان فإنه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني، وإن كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين في تلك المواضع القليلة، وكذا القول في تعليم القرآن، أو يقال: المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه، بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر “.

● وكذلك عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٤) يقول^(٥): ” فإن قيل: قد قال الله – تعالى –: ”كفى بنا حاسبين“ فكيف الجمع في ذلك؟ أجيب: بأن المراد بالحسيب هنا الشهيد ؛ أي: كفى بشخصك اليوم شاهداً عليك أو أن القيامة مواقف مختلفة ؛ ففي موقف يكُلُ الله – تعالى – حسابهم إلى أنفسهم وعلمه محيط بهم ، وفي آخر يحاسبهم هو “

1 - سورة الرحمن: آية ٢ .

2 - سورة آل عمران: جزء من آية ٧ .

3 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٢٣٩ .

4 - سورة الاسراء: آية ١٤ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٤١٤ .

• وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(١) يقول^(٢): " بل إنما تحمل وزرها فقط. فإن قيل: ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم - فإذا لم يوف يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم؟ أجيب: بأن ذلك بسببه فهو كفعله. فإن قيل: قد ورد أن الميت يعذب ببكاء أهله؟ أجيب بأن ذلك محمول على ما إذا أوصى بذلك وكان ذلك الفعل؛ كقول طرفة ابن العبد :

"إِذَا مِتُّ فَاتُعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَى الْجَيْبِ يَا ابْنَةَ مَعْبُدٍ"^(٣)

وعليه حمل الجمهور الأخبار الواردة بتعذيب الميت على ذلك. فإن قيل: ذنب الميت فيما إذا أوصى أو أمر بذلك فلا يختلف عذابه بامتناله وعدمه؟ أجيب: بأن الذنب على السبب يعظم بوجود المسبب وشاهده (من سن سنة سيئة)^(٤) إلخ. وقال الشيخ أبو حامد: إن ما ذكر محمول على الكافر وغيره من أهل الذنوب ."

1 - سور الإسراء: جزء من آية ١٥.

2 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٤١٤، ٤١٥.

3 - البيت من الطويل ، لطرفة بن العبد في كتاب الحماسة البصرية، للعلامة صدر الدين على بن أبي الفرج بن الحسن البصرى المتوفى ٦٥٦ هـ ،تحقيق د/عادل جمال سليمان- ط .وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ج١ ص ٢٧١ ، وقال صاحب الحماسة: " فإن " بدلا من " إذا " .

4 - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ج٢ ص ١٣٣، ١٣٤ ح ١٠١٧، بلفظ " من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، وينحوه في - كتاب: العلم، باب: من سنّ في الإسلام سنة حسنة أو سيئة ج٤ ص ٣٦٤ برقمه نفسه في كتاب الزكاة.

اتجاهه في تفسير البسملة

يختلف تفسير الخطيب الشربيني للبسملة من سورة إلى أخرى؛ إذ يفسرها في كل سورة بنمط جديد يتناسب مع موضوع السورة ومقاصدها وأهدافها حسبما يترأى له، فهو يستفيد تفسير البسملة في كل سورة من موضوعها، ويعتمد في معرفة موضوع السورة ومقاصدها على ما صدرت به، و يلتمس موضوعها من افتتاحها، ويتضح هذا من خلال الأمثلة الآتية:

● فعند تفسيره للبسملة في سورة الفاتحة يقول^(١): " وقوله - تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا نعبد إلا إياه ﴿الرَّحْمَنَ﴾ الذى عمّ بنعمتى إيجاده وبيانه جميع خلقه أسفله وأعله، أدناه وأقصاه ﴿الرَّحِيمَ﴾ أى: الذى خص من بينهم أهل وده برضاه " .

● وعند تفسيره للبسملة في سورة الأنعام يقول^(٢): " ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذى تعالت عظمته عن كل شائبة نقص فكان له كل كمال ﴿الرَّحْمَنَ﴾ الذى عمت نعمته المحسن والمسيء ؛ فغمر الكل بالذوال ﴿الرَّحِيمَ﴾ الذى خص أوليائه بإتمام النعمة فهداهم بنعمة الإيصال " .

● ويقول عند تفسيره للبسملة في سورة الكهف^(٣): " ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذى لا كفاء له ولا شريك له ﴿الرَّحْمَنَ﴾ الذى أقام عبادته على أوضح الطرق بإنزال هذا الكتاب ﴿الرَّحِيمَ﴾ بنفضيل من اختصه بالصواب " .

1 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٤ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٩٤ .

3 - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٥ .

● كما يقول عند تفسيره للبسملة في سورة النصر^(١): ” ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ ﴾ الذى له الأمر كله فهو العليم الحكيم ﴿ الرَّحْمٰنِ ﴾ الذى أرسلك رحمة من الله العلىّ العظيم ﴿ الرَّحِیْمِ ﴾ الذى خصّ أهل ودّه بفضله العميم “.

● وعند تفسيره للبسملة في سورة الإخلاص يقول^(٢): ” ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ ﴾ الذى له جميع الكمال ذى الجلال والجمال ﴿ الرَّحْمٰنِ ﴾ الذى أفاض على جميع خلقه عموم الأفضال ﴿ الرَّحِیْمِ ﴾ الذى خصّ أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والإكمال “.

فى سورة الفاتحة وصف الله – عز وجل – بأنه المالك الأعظم ، وذكر استحقاقه للعبادة وحده وإنعامه على عباده بالرضا ، نظراً لما اشتملت عليه السورة من أنه مالك يوم الدين، وتوحيد العبودية، وطلب الهداية التى هى دليل رضا الله – عز وجل –.

وفى سورة الأنعام ذكر عظمته وكماله وعموم نعمته المحسن والمسيء؛ نظراً لما استفتحت به السورة الكريمة مما زعمه الكافرون من عدل الآلهة بربهم ، وذكر نعمه وآياته فى الكون.

وفى سورة الكهف أوضح رحمته فى ﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴾ بإقامة العباد على أوضح الطرق بإنزال الكتاب والإرشاد إلى الصواب بالنظر إلى ما افتتحت به السورة الكريمة: ﴿ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِیْ أَنْزَلَ عَلَیْ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾^(٣).

1 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٤٥٠.

2 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٤٦٤.

3 - سورة الكهف: آية ١.

وفى سورة النصر ذكر أن الله - عز وجل - الأمر كله، ونسب إليه الفضل العميم بالنظر إلى ما اشتملت عليه السورة من نصر الله الذي ظهر به دينه ؛ فدخل الناس فيه أفواجا.

وفى سورة الإخلاص ذكر تجلى الله - عز وجل - بكلماته فى صفاته؛ لما فى السورة من تنزيه لله - عز وجل - وتوحيد.

وهكذا فى سائر السور ؛ فهذا هو منهج متبع للخطيب الشريينى فى تفسير البسمة فى كل سورة ، وهذا المنهج لم ينفرد به بين أهل التفسير بل سبقه إليه بعض المفسرين فى تفاسيرهم؛ وممن انتهج هذا المنهج العلامة على بن أحمد المهائمي⁽¹⁾ المتوفى فى سنة ٨٥٣هـ فى تفسيره "تبصير الرحمن وتيسير المنان لبعض ما يُشير إلى إعجاز القرآن"، والإمام برهان الدين البقاعى المتوفى ٨٨٥هـ فى تفسيره "نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور". وإن كانوا قد اختلفت أساليبهم فى تفسير البسمة إلا أن القارىء للتفسير الثلاثة يلمس أنهم جميعاً اتفقوا فى تفسير كل بسمة وفق موضوع السورة ومقاصدها؛ فالاختلاف لفظى حيث تنوعت تعبيراتهم فقط والمضمون واحد.

¹ - هو العلامة على بن أحمد بن على ابراهيم المهائمي الدكنى الهندى ، الفقيه الشافعى، الصوفى ، المشهور بالمخدوم على المهائمي ولد عام ٧٧٦ وتوفى عام ٨٣٥هـ باحث ومفسر له مصنفات عربية نفيسة ؛ منها: زوارف اللطائف فى شرح عوارف المعارف، وأدلة التوحيد ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج ٤ ص ٦٧.

منهج في بيان أسماء السور وفضلها

” قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان كسورة محمد - ﷺ - وتسمى سورة القتال، وقد يكون لها ثلاثة أسماء؛ كسورة البقرة يقال لها الفسطاط والزهراء، وسورة المائدة وتسمى سورة العقود والمنقذة، وكسورة غافر والطول والمؤمن، وقد يكون لها أكثر من ذلك؛ كسورة الفاتحة وسورة التوبة“^(١)

وقد اهتم المفسرون ببيان أسماء السور في تفاسيرهم، ومنهم من اهتم ببيان حكمة تسمية السور بأسمائها، واختلفت مناهجهم وأساليبهم في ذلك؛ فمن المناهج والأساليب المتبعة لبيان أسرار الأسماء المنهج التقليدي المباشر، وهو يبيّن الحكمة بطريقة تقليدية بسيطة حاصلها أن سبب التسمية هو مجرد ورود كلمة الإسم أو موضوعه في السورة؛ كالزركشى، والفيروز آبادي والألوسي، والشيخ الطاهر بن عاشور.

ومن المفسرين من تنبّه إلى أن لتسمية السورة باسمها حكمة فوق مجرد تضمن السورة لذلك الاسم أو موضوع التسمية؛ كالبقاعي والمهائمي.

والخطيب الشربيني في تفسيره الذي هو محل البحث اهتم ببيان أسماء السور، وبيان أسرار هذه الأسماء، وقد تتبع سور القرآن الكريم كلها في تفسيره "أربعة عشر ومائة سورة" فوجدته قد ذكر أسماء أخرى لتسعة عشر سورة، بعضها يذكر الأسماء الأخرى دون التعليق عليها، وبعضها يتلمس الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء، أما باقي سور القرآن الكريم فقد وقف عند أسمائها المذكورة في المصحف الشريف، ولم يبين الحكمة من هذه الأسماء وسأوضح ذلك بالأمثلة من تفسيره فيما يلي:

¹ - مستقى من الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ ص ١١٦، والبرهان في علوم القرآن للزركشى جـ ١ ص ٢٦٩.

١- بيان له أسماء السور دون التعليق عليها:

بعض السور القرآنية ذكر لها الخطيب الشربيني أسماء يذكر الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء :

- فيقول عند تفسيره لسورة النحل، "وتسمى سورة النعم" وبعد بيان المقصود من السورة يقول^(١): " ووسمها بالنعم واضح " .
- ويقول في بداية سورة الإسراء^(٢): " سورة الإسراء وتسمى سبحان وبنو إسرائيل " .
- وعند ذكره لاسم سورة غافر يقول^(٣): " سورة غافر (المؤمن) ثم يقول: وتسمى: سورة الطول وسورة غافر " .
- ويقول عن سورة فصلت^(٤): " سورة حم فصلت " .
- ويقول في سورة محمد^(٥): " سورة محمد ﷺ مكية وتسمى القتال والذين كفروا " .
- ويذكر اسماً آخر لسورة القمر فيقول^(٦): " سورة القمر وتسمى اقتربت " .
- ويقول قبل تفسيره لسورة النبأ^(٧): " سورة عم يتساءلون وتسمى سورة النبأ " .

1 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣١٣ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣٩٤ .

3 - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٢٨٦ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٣٣٧ .

5 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٣٥ .

6 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢١٦ .

7 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٣١ .

● ويذكر اسماً آخر لسورة عبس فيقول^(١): " سورة عبس مكية وتسمى سورة السفرة " .

● وقبل تفسيره لسورة الماعون يقول^(٢): " سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية " .

● ويذكر اسماً آخر لسورة الكوثر فيقول^(٣): " سورة الكوثر وتسمى سورة النحر مكية " .

وهكذا ذكر الخطيب الشربيني أكثر من اسم لعشر سور قرآنية عند تفسيرها ولم يبين أسرار هذه الأسماء .

٢- بيان أسرار الأسماء:

يلتقى الخطيب الشربيني مع المهائمي والبقاعي في إبراز حكمة تسمية السورة بما سميت به، فعند تفسيره لفاتحة الكتاب يذكر لها اثنا عشر اسماً ويبين أسرارها فيقول^(٤): " وتسمى أم القرآن لأنها مُفتتحة ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ؛ ولذلك تسمى أساساً ، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى، والتعبد بأمره، ونهيه وبيان وعده ووعيده ، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء، وسورة الكنز؛ لأنها نزلت من كنز تحت العرش والوافية والكافية ؛ لأنها وافية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها، والشفافية والشفاء ؛ لقوله عليه الصلاة

1 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٢٥٦ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٤٣٨ .

3 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٤٤٢ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٣ .

والسلام: (هى شفاء لكل داء)^(١) والسبع المثاني ؛ لأنها سبع آيات بانفاس، لكن من عدّ البسمة آية منها جعل السابق ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إلى آخرها، ومن لم يعدها آية منها جعل السابعة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخرها، وسميت مثنى لأنها تنثنى فى الصلاة أى: تكرر فيها بأن تقرأ فى كل صلاة وفى كل ركعة وقول بعضهم تنثنى فى كل ركعة فيه تجوز وهى مكية على قول الأكثر، وقال مجاهد: مدنية، وقيل: نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حوّلت القبلة، ولذلك سميت مثنى، قال البغوى: والأول أصح، وقال البيضاوى: وقد صح أنها مكية بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] وهو مكى بالنص، انتهى. وأراد بالنص السنة فقد ثبت ذلك عن ابن عباس وقول الصحابي فى القرآن خصوصا فى النزول له حكم المرفوع والقرآن العظيم والنور والراقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها على ذلك، وسورة المناجاة، وسورة التوفيق، وفاتحة القرآن، وأم الكتاب، وسورة الحمد الأولى وسورة الحمد القصوى وسورة السؤال والصلاة لخبر: (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدنى عبدى، يقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: أتتى على عبدى، يقول العبد: مالك يوم الدين، يقول الله:

^١ -أخرجه الدارمى فى سننه - فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء " ج٢ ص ٣١٧ ح ٣٣٧٠ ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ج٥ ص ٢٢٧ ح ١٤٧١٩ وقال: ضعيف؛ ينظر: جمع الجوامع -الجامع الكبير فى الحديث والجامع الصغير وزوائده للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى ٩١١هـ ،تخريج وتعليق وضبط : خالد عبد القادر شبل ،ط .دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. والعجلونى فى كشف الخفاء ج٢ ص ١٠٦ ح ١٨١٦؛ ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر، المحدث ، الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى، المتوفى ١١٦٢ هـ ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه : أحمد القلاش ،ط .مؤسسة الرسالة - بيروت ، لبنان، الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

مجدنى عبدى، يقول العبد: إياك نعبد و إياك نستعين، يقول الله عز وجل: هذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، يقول الله: فهؤلاء لعبدى، ولعبدى ما سأل^(١)؛ ولأنها جزؤها فهو من باب تسمية جزء الشئ باسم كله .“

● ويقول فى بيان سر تسمية سورة البقرة بالفسطاط^(٢): ” والفسطاط الخيمة، أو المدينة الجامعة سميت به السورة ؛ لاشتمالها على معظم أصول الدين وفروعه والإرشاد إلى كثير من مصالح العباد ونظام المعاش و نجاة المعاد“.

● ويقول فى بيان أسرار أسماء سورة التوبة^(٣): ” ولها عدة أسماء: التوبة، براءة، المقشقة، البحوثة، المبعثرة، المنقرة، المثيرة، الحافرة، المخزية، الفاضحة، المنكلة، المشردة، المدممة، سورة العذاب، وإنما سميت بذلك ؛ لما فيها من التوبة للمؤمنين والمقشقة من النفاق وهى التبرؤ منه، والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم “.

1 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة فى كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها جـ ١ ص ٣٠٧ ح ٣٩٥ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٣٠٤ .

3 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٣٥٩ .

● ويقول في بيان أسرار أسماء سورة يس^(١): " وتسمى أيضا: القلب والدافعة والقاضية والمعممة ؛ نعم صاحبها بخير الدارين، وتدفع عنه كل سوء، وتقضى له كل حاجة ".

● ويقول في بيان أسماء سورة الرحمن وأسرارها^(٢): " سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن ؛ لأنها مجمع النعم والجمال والبهجة في نوعها والكمال".

● وعند فراغه من تفسير سورة الإخلاص يذكر عشرين اسماً لها، بعضها لا يبين أسراراً لها وبعضها الآخر يبين أسرار تسميتها بها فيقول^(٣): " ولها أسماء كثيرة، وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى، أحدها: أنها سورة التفريد، ثانيها: سورة التجريد، ثالثها: سورة التوحيد، رابعها: سورة الاخلاص، خامسها: سورة النجاة، سادسها: سورة الولاية، سابعها: سورة النسبة ؛ لقولهم: أنسب لنا ربك، ثامنها: سورة المعرفة، تاسعها: سورة الجمال، عاشرها: سورة المقشقة، حادي عشرها: سورة المعوذة، ثاني عشرها: سورة الصمد، ثالث عشرها: سورة الأساس ؛ قال أسست السموات السبع والأرضين على "قل هو الله أحد"، رابع عشرها: المانعة ؛ لأنها تمنع فتنة القبر ونفحات النار، خامس عشرها: سورة المحتضر؛ لأنّ الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت، سادس عشرها: المنفرة ؛ لأنّ الشياطين تنفر عند قرائتها، سابع عشرها: سورة البراءة؛ لأنها براءة من الشرك، ثامن عشرها: المذكرة ؛ لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، تاسع عشرها: سورة

1 - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٩٠.

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢٣٨.

3 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٦٧، ٤٦٨.

النور؛ لأنها تنور القلب المكمل للعشرين: سورة الإنسان ؛ قال - ﷺ -: (إذا قال العبد: الله، قال الله: دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابي) (١).

● وهكذا فعل الخطيب الشربيني في بيان أسرار أسماء سورة القصص والكافرون والنصر؛ فذكر أسماءها وأوضح الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء (٢).

إتجاهه في بيان فضائل السور

اهتم الخطيب الشربيني ببيان فضل السورة عند تفسيرها ؛ فالتقارء لتفسيره يجده في نهاية تفسيره لكل سورة يذكر ما ورد في فضلها ، وينبه على الضعيف منه والموضوع كما ينضح من الأمثلة الآتية:

● في نهاية تفسيره لسورة البقرة يقول (٣): " وروى عنه - ﷺ - أنه قال:

(أوتيت خواتيم البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتتهن نبيّ قبلي) (٤). وروى عنه ﷺ أنه قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) (٥) أى:

1 - لم أقف على تخريجه فيما اطلعت عليه من كتب الحديث وكذا كتب التفسير .

2 - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ١١٩ ، ج ٨ ص ٤٤٧ ، ٤٥٠ .

3 - السراج المنير: ج ١ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ بتصرف .

4 - أخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب : فضائل القرآن ، باب : أخبار فى فضل سورة البقرة ج ١ ص 751 ح ٢٠٦٧ وصححه ووافقه الذهبى ، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان - باب: فى تعظيم القرآن ، فصل فى فضائل السور والآيات ج ٢ ص ٤٦١ ح ٢٤٠٤ ، والحديث صحيح رجاله ثقات .

5 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : المغازى ، باب رقم ١٢ "بدون ترجمة"، وكتاب : فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، وباب: من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا ؛ ينظر فتح البارى ج ١١ ص ٤٥٤ ح ٤٠٠٨ ، ج ١٤١ ص ٢٤١ ح ٥٠٠٩ ، ج ١٤١ ص ٢٨١ ح ٥٠٤٠ ، ومسلم فى صحيحه - =

عن قيام الليل أو عن كل ما يسوءه. كما قال عليه الصلاة والسلام: (السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها، فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل: وما البطلة؟ قال: السحرة)^(١) أى: أنهم مع حذفهم لا يوفقون لتعليمها أو التأمل في معانيها أو العمل بما فيها، وروى عنه ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألْفَى عام فأُنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلاث ليال فلا يقربها شيطان)^(٢).

● كما ذكر فضل سورة الواقعة بعد فراغه من تفسيرها فقال^(٣): " وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)^(٤) هذا

=كتاب: صلاة المسافرين ، باب : فضل الفاتحة و خواتم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة جـ ١ ص ٥٧٦ ح ٨٠٧.

1 - أخرج الإمام مسلم في صحيحه - كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة جـ ١ ص ٥٧٤، ٥٧٥، ح ٨٠٤.

2 - أخرج الترمذى في سننه - كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء فى آخر سورة البقرة جـ ٥ ص ٩ برقم (٢٨٨٢) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب، والدارمى فى سننه - كتاب : فضائل القرآن ، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرى جـ ٢ ص ٣٢٢ برقم (٣٣٨٧).

3 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٣٠٣، ٣٠٤.

4 - أخرج البخارى فى صحيحه - كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، وكتاب: الإيمان والنذور، باب: إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو اقرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته، وكتاب: التوحيد ، باب: قول الله تعالى "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " ، وختم به الإمام البخارى صحيحه فهو آخر حديث ؛ ينظر فتح البارى جـ ١٧ ص ١٥٤ ح ٦٤٠٦، جـ ١٧ ص ٥٩٧ ح ٦٦٨٢، جـ ١٩ ص ٦٢٤ - ٦٢٦ ح ٧٥٦٣، وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب: الذكر والدعاء ، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء جـ ٤ ص ٣٧٧ ح ٢٦٩٤.

الحديث آخر حديث في البخارى ، وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة)^(١)، وروى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً)^(٢).

● وكذلك في تفسيره لسورة الإخلاص يذكر عدة روايات في فضلها إذ يقول^(٣): " وروى في فضائل هذه السورة أحاديث كثيرة منها ما روى عن البخارى عن أبي سعيد الخدرى: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ "قل هو الله أحد" يرددها فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقلها فقال له رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)^(٤) فإن قيل: لم كانت تعدل ثلث القرآن؟ أجيب بأن القرآن أنزل أثلاثاً ثلث أحكام، وثلث وعد ووعيد، وثلث أسماء وصفات فجمعت هذه السورة أحد الأثلاث، وهو الأسماء والصفات. وقيل إنها تعدل القرآن كله مع قصر متنها وتقارب

1 - أخرج الترمذى فى سننه - كتاب الدعوات ،باب :رقم ٦٠ بدون ترجمة جـ ٥ ص 333 ح ٣٤٦٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب : الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر جـ ١ ص ٦٨٠ ح ١٨٤٧ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح على شرط مسلم.

2 - أخرج ابن السنى فى "عمل اليوم والليلة لأبى بكر السنى ٣٦٤ هـ ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، ط. مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، باب: ما يستحب أن يقرأ فى اليوم والليلة ص ٢٥٢ ح ٦٨٥، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان - باب: فى تعظيم القرآن ، فصل فى فضائل السور والآيات ، جـ ٢ ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ح ٢٤٩٩.

3 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٦٦ ، ٤٦٧.

4 - أخرج البخارى فى صحيحه - كتاب : فضائل القرآن ، باب: فضل "قل هو الله أحد"؛ ينظر: فتح البارى جـ ١٤ ص ٢٤٦ ح ٥٠١٣ .

طرفيها، وما ذاك إلا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده، وكفى بذلك دليلاً لمن اعترف بفضلها.

ومنها ما روى مسلم عن عائشة رضی الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ في صلاتهم فيختم بـ"قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال ﷺ: أخبروه أن الله تعالى يحبه)^(١).

ومنها ما رواه الترمذى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأ "قل هو الله أحد" فقال ﷺ: (وجبت قلت: ما وجبت؟ قال: الجنة)^(٢) ومنها ما روى أنس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" خمسين مرة غفرت ذنوبه)^(٣).

ومنها ما روى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة

1 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ؛ ينظر : فتح البارى جـ ١٩ ص ٤٠٥ ح ٧٣٧٥ .
2 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء فى سورة الإخلاص جـ ٥ ص ١٦ ح ٢٨٩٧ وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن أنس ، وأخرجه النسائى فى سننه - كتاب : الإفتتاح ، باب : الفضل فى قراءة قل هو الله أحد جـ ١ ص ٦٥١ ، ٦٥٢ ح ٩٩٣ .
3 - أخرجه الدارامى فى سننه - بلفظ (غفر الله له ذنوب خمسين سنة) كتاب : فضائل القرآن ، باب : فى فضل "قل هو الله أحد" جـ ٢ ص ٣٣٥ ح ٣٤٣٨ ، وأورده ابن كثير فى تفسيره سورة الإخلاص جـ ٤ ص 568 وقال : ضعيف.

بنى الله له قصرين فى الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور فى الجنة، فقال عمر إذا نكثر قصورنا فقال ﷺ: أوسع من ذلك^(١).

ومنها ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" بعد صلاة الصبح انتنى عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى)^(٢) وروى أنه ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة بكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة)^(٣)

وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفى هذا القدر كفاية لأولى الألباب “.

1 - أخرجه الدارامى فى سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فى فضل "قل هو الله أحد" جـ ٢ ص 332 ح ٣٤٢٩ بلفظ أحد عشر مرات ، وأخرجه أحمد بنحوه فى مسند معاذ ابن أنس الجهنى جـ 12 ص 248 ح 15547 ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير جـ ٢٠ ص ١٨٣-١٨٤ بنفس رواية أحمد ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٤٥ ونسبه إلى أحمد والطبرانى وفى إسنادهما رشدين بن سعد وزيان وكلاهما ضعيف.

2 -أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب التفسير باب سورة قل هو الله أحد ونسبه إلى الطبرانى فى الصغير .

3 -أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط باب من اسمه محمد بن عبد الله الحضرمى جـ ٦ ص ١١٤ - ١١٥ ح ٥٧٥٨؛ ينظر: المعجم الأوسط للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ٢٦٠ - ٣٦٠ هـ ، حققه وخرجه وفهرسه : أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ن ط. دار الحديث - القاهرة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب التفسير باب سورة قل هو الله أحد جـ ٧ ص ٤٥ ونسبه إلى الطبرانى فى الأوسط وفيه نصرين حماد الوراق وهو متروك . وأورده السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور سورة الإخلاص جـ ٦ ص ٧٠٧ ، ونسبه إلى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية بسند ضعيف.

وقد لا يكتفى الخطيب الشربيني بذكر ما ورد من روايات معتمدة عند علماء السنة في فضائل السور بل يتبع ذلك برّد ما ورد من الروايات الضعيفة أو الموضوعية خاصة التي أوردها الزمخشري والبيضاوي في تفسيريهما ومن أمثلة ذلك:

● عند فراغه من تفسير سورة آل عمران يقول^(١): " وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من أنه ﷺ قال: (من قرأ آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم)^(٢) فهو من الأحاديث الموضوعية على أبيّ بن كعب في فضائل السور فلينتبه لذلك ويحذر منه ، وقد نبّه أئمة الحديث قديماً وحديثاً على ذلك وعابوا على من أورده من المفسرين في تفاسيرهم ."

1 - ينظر السراج المنير: ج ١ ص ٤٣٣ .

2 - أورده ابن الجوزي في الموضوعات في أبواب تتعلق بالقرآن ، باب: في فضائل السور من حديث أبيّ بن كعب ج ١ ص ٢٣٩ وقال: " هذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك ، وفي إسناد الطريق الأول بديع وهو متروك ، وفي الطريق الثاني مخلد بن عبد الواحد قال ابن حبان : منكر الحديث جداً ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث النقاة ، وقد اتفق بديع ومخلد على رواية هذا الحديث عن علي بن زيد ، وقد قال أحمدويحيى : على ابن زيد ليس بشئ . وبعد هذا فنفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استنفد السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله ﷺ ، وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية ، باب: فضائل القرآن ج ١ ص ٢٢٧ وقال : " وقد فرق هذا الحديث أبو اسحق الثعلبي في تفسيره وتبعه أبو الحسن الواحدى في ذلك ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أهل الحديث وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود في كتابه الذى صنّفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محاك مصنوع بلا شك " ، وقال الشوكاني : " ولا خلاف بين الحفاظ بأن حديث ابن كعب هذا موضوع وقد اغتر به جماعة من المفسرين فذكروه في تفاسيرهم كالثعلبي والواحدى والزمخشري ولا جرم فليسوا من أهل هذا الشأن ؛ ينظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعية لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط . مكتبة نزار مصطفى الباز مكة، المكرمة، الرياض - الثانية ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ج ٢ ص ٣٨٠ .

● وفي آخر سورة المائدة يقول^(١): "وقول البيضاوي^(٢) عن النبي ﷺ: (من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا)^(٣) حديث موضوع "

● وكذلك فى تفسيره لسورة الأعراف يرد الحديث الموضوع الذى رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري فيقول^(٤): " والحديث الذى ذكره البيضاوي تبعاً للزمخشري وهو : (من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيحاً له يوم القيامة)^(٥) حديث موضوع ."

● وكذلك فى نهاية تفسيره لسورة التوبة يرد الحديث الموضوع فى فضلها الذى رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري فيقول^(٦): " روى أبى بن كعب قال : آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم " إلى آخر السورة ، وما رواه البيضاوي رحمه الله تعالى تبعاً للكشاف من أنه ﷺ قال: (ما أنزل على القرآن إلا آية آية وحرماً حرماً خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلا علىّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة)^(٧) حديث منكر ومخالف لما مر عن أبى من أن آخر ما نزل الآيتان ."

1 - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٩٣ .

2 - ينظر: الكشاف ج ١ ص ٦٥٩ ، حاشية زادة على البيضاوي ج ٣ ص ٦١٩ ، ٦١٨ .

3 - سبق تخريجه فى حديث أبى بن كعب ص ١٤١ .

4 - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٣٠٦ .

5 - سبق تخريجه فى حديث أبى بن كعب ص ١٤١ .

6 - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٤٧١ .

7 - سبق تخريجه فى حديث أبى بن كعب ص ١٤١ .

● وكذلك عندما ينتهى من تفسير سورة النمل يذكر ما رواه البيضاوى تبعاً للزمخشري من حديث موضوع فيقول^(١): " وما رواه البيضاوى تبعاً للزمخشري^(٢) من أن: (من قرأ "طس" كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله) فحديث موضوع"^(٣)

وهكذا تتبع الخطيب الشربيني ما أورده البيضاوى والزمخشري من روايات ضعيفة وموضوعة فى فضائل سورة الانعام والملتحنة و الصف والطلاق والقارعة وغيرها من السور الكريمة^(٤) .

هذا هو منهج الخطيب الشربيني الذى اتبعه فى بيان فضائل السور عند تفسيرها إذ يذكر الروايات المعتمدة فى كتب السنة، ويردّ غيرها من الروايات الضعيفة والموضوعة، خاصة ما أورده البيضاوى تبعاً للزمخشري، فلم يترك الخطيب الشربيني رواية ضعيفة أو موضوعة ذكرها فى تفسيريهما فى فضائل السور إلا ونبه عليها عند تناوله لتفسير كل سورة من سور القرآن الكريم.

1 - ينظر: السراج المنير: ج ٥ ص ١١٨.

2 - ينظر: الكشاف ج ٣ ص ١٦٤ وحاشية زادة على البيضاوى ج ٤٢٥ و ٤٢٦ .

3 - سبق تخريجه فى حديث أبي بن كعب ص ١٤١ .

4 - ينظر: السراج المنير: ج ١ ص ٥٤٩ ، ج ٢ ص ٣٥٨ ، ج ٣ ص ٦٢ ، ٢٧٣، ٣٢٣، ٣٦٤ ، ٢١٤ ، ١٤٦ ص ٤٩٥ ، ٣٩٣ ، ٣١٢ ، ١٢٧ ، ٢٠٨ ، ٢٤٣ ، ٢٨٠ ، ٤٨٤ ، ج ٥ ص ٦٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٣ ، ٢٥٨ ، ٢٨٨ ، ٣٩٨ ، ج ٦ ص ٨٩ ، ١٣٨ ، ١٨٦ ، ٢٣٣ ، ٢٨٥ ، ٣٣٦ ، ٣٧٢ ، ٤١٠ ، ٤٤٨ ، ٤٨٧ ، ج ٧ ص ١١٦ ، ١١٦ ، ١٤١ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ٤٢٠ ، ٤٠٩ ، ٣٨٩ ، ٣٥٧ ، ٣٣٠ ، ٢٧١ ، ٢٣٧ ، ٢١٥ ، ٤٣٨ ، ٤٨٧ ، ج ٨ ص ٢٤ ، ١٨٣ ، ١٦١ ، ١٣٩ ، ١١٨ ، ١٠٤ ، ٩١ ، ٩١ ، ٤٣ ، ٧١ ، ١٩٦ ، ٢٧٥ ، ٢٥٥ ، ٢٤٢ ، ٢٣٠ ، ٢١٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٤٨ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٣٥٤ ، ٣٧٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠٧ ، ٣٩٦ ، ٤١٠ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٤٢٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤١ ، ٤٤٩ ، ٤٧٤ .

رأيه في فواتح السور المفتحة بحروف الهجاء

تناول الخطيب الشربيني تفسير الأحرف المقطعة في أوائل السور في بداية تفسيره لسورة البقرة.

وقد ذكر آراء العلماء فيها دون ترجيح رأى على آخر، فلم أجده ذكر لنفسه رأياً في شأن هذه الأحرف ؛ ويتضح ذلك مما أورده في تفسير قوله - تعالى -: ﴿الم﴾ سورة البقرة ؛ إذ يقول^(١): "الم" وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ، وهو سرّ القرآن ؛ فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله - سبحانه وتعالى - . وفائدة ذكره طلب الإيمان بها والسبب فى ذلك - أن العقول الضعيفة لا تحتمل الأسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش ، والله - تعالى - استأثر بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء ، والأنبياء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء ، والعلماء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة ، وقال أبو بكر - رضى الله تعالى عنه -: فى كل كتاب سرّ ، وسرّ الله فى القرآن أوائل السور . وقال علىّ رضى الله عنه^(٢): إن لكل كتاب صفة ، وصفة هذا الكتاب حروف التهجى . قال داود بن أبى هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور؛ فقال^(٣): يا داود إن لكل كتاب سرّاً وإن سرّ القرآن فواتح السور؛ فدعها واسأل عما سوى ذلك. وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أنه قال^(٤): معنى "الم" أنا الله أعلم ، ومعنى "المر"

1 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٣٨.

2 - لم أفق على تخريجه فيما اطّعت عليه من كتب الحديث الضعيف منها والصحيح ، وكذا كتب التفسير .

3 - أورده السيوطى فى تفسير الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، سورة البقرة جـ ١ ص ٥٦ ، ونسبه إلى ابن المنذر وأبى الشيخ بن حبان ..

4 - أخرجه ابن أبى حاتم فى " تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله عن ابن عباس جـ ١ ص ٣٢ ح ٤٣ ، وأخرجه ابن جرير فى تفسيره جـ ١ ص 67 عن ابن عباس .

[يونس : ١] أنا الله أرى، ومعنى "المر" [الرعد: ١] أنا الله أعلم وأرى ؛ قال الزجاج^(١): وهذا حسن؛ فإنّ العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها؛ كقولهم : قلت لها قفى فقالت: قاف؛ أى: وقفت. وقيل: هى أسماء السور، وعليه إطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل وسيبويه ؛ سميت بها إشعاراً بأنها كلمات معروفة التركيب ، فلو لم تكن وحياً من الله - تعالى - لم تتساقط قدرتهم عند معارضتها؛ ونقضه الإمام الرازى بأنها لو كانت اسماً لها لوجب اشتهاؤها بها، وقد اشتهرت بغيرها ؛ كسورة البقرة وآل عمران^(٢). وقيل: أسماء للقرآن قاله قتادة^(٣) “

ثم بيّن الحكمة من الإتيان بهذه الأحرف الثلاثة فى أول سورة البقرة؛ فيقول^(٤): ” والحكمة فى الإتيان بهذه الأحرف الثلاثة أن الألف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج ، واللام من طرف اللسان وهو وسطها ، والميم من الشفة وهى آخرها ، جمع الله - تعالى - بينها؛ إيماء إلى أنّ العبد ينبغى أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله - تعالى - ولما تكاثر وقوع الألف واللام فى تراكيب الكلام جاءت فى معظم الفواتح مكررتين ؛ وهى فواتح سورة البقرة، وأول آل عمران ، والأعراف ، ويونس ، وهود، ويوسف ، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والعنكبوت ، والروم، ولقمان ، والسجدة “

1 - ينظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج ج١ ص٦٣ .

2 - ينظر: مفاتيح الغيب للرازى ج٢ ص٩ .

3 - أخرجه عبد الرزاق فى "تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبد الرزاق للإمام أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى، ١٢٦ - ٢١١ هـ ، تحقيق: عبد المعطى أمين قلجى ، ط. دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ج١ ص٦٢ ح ١٥ قال: حدثنا معمر عن قتادة فى قوله - تعالى - : "الم" قال : اسم من أسماء القرآن، وهذا الأثر صحيح ، رجاله ثقات حفاظ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٣٨ ، ٣٩ .

ثم يطرح بعض المسائل المتعلقة بهذه الأحرف ويبين رأيه فيها:

المسألة الأولى:

تتعلق بعددها وعلّة تفريقها على السور؛ فيقول^(١): " فإن قيل: هلا عددت هذه الأحرف بأجمعها في أوائل القرآن ومالها جاءت مفرقة على السور— أجب: بأنّ إعادة التنبيه على أنّ المتحدّى به مؤلف منها لا غير، وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقرّ له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة ، وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن ؛ فمطلوب به تمكين المكرّر في النفوس وتقريره "

المسألة الثانية:

تتعلق باختلاف بنيتها بين فواتح السور؛ فيقول^(٢): " فإن قيل: هلا جاءت على وتيرة واحدة ، ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿ن﴾ على حرف، و﴿طه﴾ و﴿طس﴾ و﴿يس﴾ و﴿حم﴾ على حرفين، و﴿الم﴾ و﴿الر﴾ و﴿طسم﴾ على ثلاثة أحرف، و﴿المص﴾ و﴿المر﴾ على أربعة أحرف، و﴿كهيعص﴾ و﴿حمعسق﴾ على خمسة أحرف؟ أجب: بأنّ هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدّة ، وكما أن أبنية^(٣) كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك ؛ سلك بهذه الفواتح تلك المسالك "

المسألة الثالثة:

تتعلق بوجه اختصاص كل سورة بما افتتحت به فيقول^(٤): " فإن قيل: ما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها؟ أجب: بأنه لما كان

1 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٩ .

2 - المرجع السابق ذاته.

3 - المقصود الأبنية المجردة ؛ مثل سَفَرَجَل.

4 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٩ .

الغرض هو التنبيه والمبادئ كلها فى تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً كما إذا سمي الرجل بعض أولاده زياداً والآخر عمراً— لم يقل له: لم خصصت ولدك هذا بزيد وذلك بعمرو؟ لأن الغرض هو التمييز، وهو حاصل بذلك “

المسألة الرابعة:

تتعلق بإعرابها ؛ إذ يعرض الآراء فى إعرابها ؛ فيقول^(١): ” فإن قيل: هل لهذه الفواتح محل من الإعراب؟ أجيب: بأن لها محلاً عند من جعلها أسماء؛ لأنها عنده كسائر الأعلام محلها يحتمل ثلاثة أوجه: إما الرفع بأنها مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف ؛ أى: هذه ألم، أو النصب بفعل مقتر؛ كاذكر ، أو اقرأ، أو اتل الم، أو الجرّ بتقدير حذف حرف القسم “

واختار الخطيب الشربيني رأى ابن عادل فى حكمة عدم العلم بفائدتها؛ فعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿يس﴾^(٢) يقول^(٣): ” قال ابن عادل^(٤) (٥) : فى ذكر هذه الحروف أوائل السور أمور تدل على أنها غير خالية من الحكمة، لكن علم الإنسان لا يصل إليها، والذى يدل على أنها فيها حكمة هو

¹ - ينظر السراج المنير : ج ١ ص ٣٩ .

² - سورة يس: آية ١ .

³ - السراج المنير: ج ٦ ص ٩٠، ٩١ باختصار .

⁴ - هو عمر بن على بن عادل الدمشقى ، سراج الدين: من علماء القرن التاسع الهجرى برع فى علوم كثيرة أهمها التفسير ، صاحب التفسير الكبير اللباب فى علوم الكتاب وحاشية على المحرر فى الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لم تحفظ كتب الأعلام تاريخ وفاته ولا مولده ، وقيل أنه توفى بعد سنة ٨٨٠ هـ ؛ لأنه كتب فى آخر سورة طه أنه فرغ من تفسيرها فى ١٥ رمضان ٨٨٠ هـ ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض ج ١ ص ٣٩٨ .

⁵ - ينظر: تفسير اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل — ط . دار صادر بيروت ، الأولى، ج ١٢ ص ١٦٦، ١٦٥ .

أن الله - عز وجل - ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفاً ،
نصف ثمانية وعشرين حرفاً هي جميع الحروف التي في لسان العرب ؛ على
قولنا: الهمزة ألف متحركة ، ثم إن الله - تعالى - قسم الحروف ثلاثة
أقسام؛ تسعة أحرف من الألف إلى الذال، والتسعة الأخيرة من الفاء إلى
الياء، وعشرة في الوسط من الراء إلى الغين، وذكر من القسم الأول حرفين
الألف والحاء، وترك سبعة، وترك من القسم الأخير حرفين هما الألف
واللام، وذكر سبعة، و لم يترك من القسم الأول من حروف الحلق والصدر
إلا واحداً لم يذكره وهو الخاء، ولم يذكر من القسم الأخير من حروف الشفة
إلا واحداً لم يتركه وهو الميم ، والعشر الأوسط ذكر منه حرفاً وترك حرفاً ؛
فترك الزاي وذكر الراء، وذكر السين وترك الشين ، وذكر الصاد وترك
الضاد، وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين، وليس لها أمر يقع
اتفاقاً بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة لكنها غير معلومة

فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية يجب أن يكون ما لم يفهم معناه إذا
تكلم به العبد - علم أنه لا يعقل غير الانقياد لأمر المعبود الإلهي ؛ فإذا قال:
حم طس ، يس - علم أنه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه، بل يتلفظ به امتثالاً لما
أمر به، انتهى كلام ابن عادل بحروفه، وهو كلام دقيق “

هذا هو منهج الخطيب الشربيني في تفسير الأحرف المقطعة في أوائل
السور؛ فقد تناولها بالتفصيل عند تفسيره لسورة البقرة وذكر آراء العلماء
فيها، وأحال على سورة البقرة عند تفسيره لباقي السور المفتحة بالأحرف
مع تفصيل ما يحتاج إلى إضافة ، مستنداً في كل ذلك إلى آراء العلماء ممن
سبقوه.

منهجه فى بيان المناسبات بين السور والآيات

من أهم العلوم التى اشتغل بها المفسرون البحث عن المناسبات بين آيات القرآن وسوره، والتماس العلاقات التى توضح حسن تناسقه ووحدة بنائه.

” يقول الرازى: أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط، وقال ابن العربى: ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى يكون كله كالكلمة الواحدة منسقة المعانى، منتظمة المبانى – علم عظيم“ (١)

” وقد اشترط الذهبى فى المنهج الذى يجب على المفسر أن ينهجه فى تفسيره، مراعاة التناسب بين الآيات والسور، فيبين وجه المناسبة، ويربط بين السابق واللاحق من الآيات، حتى يوضح أن القرآن لا تفكك فيه، وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحُجْز بعض، وأن يراعى التأليف والغرض الذى سيق له الكلام والمؤاخذة بين المفردات“ (٢)

آراء العلماء فى الاشتغال ببياناتها وأهميته:

اختلفت آراء العلماء فى مسألة مناسبات القرآن؛ فقد ترك جمهور المفسرين الكلام على أسرار المناسبات والربط بين الآيات وخاصة من اعتمد منهم فى تفسيره على النقل عن الصحابة والتابعين؛ لأن السلف اقتصرُوا على النقل بالسند، ولم ينقل عنهم شيء من هذا العلم.

فوجدهم يُعْتَوْنَ بإظهار المعنى دون تعرض لعلل أو مناسبة السور والآيات بعضها ببعض، وبعض المفسرين عارضوا الاشتغال بهذا العلم فى التفسير واعتبروه تكلفاً.

¹ - تراجع: الإتيان للسيوطى جـ ٢ ص ٢٣٤، والبرهان للزركشى جـ ١ ص ٣٥.

² - التفسير: والمفسرون للذهبي جـ ١ ص ٢٨٦ بتصرف.

ومن أبرز العلماء الذين عارضوا البحث في المناسبات وأعلنوا رأيهم بوضوح الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) الذي قال : " المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط بأوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو منكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض " وقد ردّ بعض الشيوخ المحققين فقالوا :

قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف. وحافظ القرآن العظيم لو استفتى في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقاً؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر؛ فإنه ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^(٢). قال: والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكتملة لما قبلها، أو مستقلة. ثم المستقلة؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم؛ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له^(٣).

¹ - هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب عز الدين، أبو محمد السلمى الشافعى الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة ٥٧٧هـ، برع في العربية ، وبلغ رتبة الاجتهاد، كان زاهداً ناسكاً متقشفاً، من كتبه تفسير القرآن ، ومختصر مسلم، والفتاوى المجموعة ، والإمام في أدلة الأحكام، توفي سنة ٦٦٠ هـ، ينظر طبقات المفسرين للداودي ج ١ ص ٣٢٣: ٣٠٨.

² - سورة هود : آية ١.

³ - ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشى ج ١ ص ٣٧.

وقد اهتم عدد قليل من المفسرين بالبحث عن المناسبات وأسرارها في تفسيرهم القرآن الكريم.

ومنهم من أفرد لها تصنيفاً كالعلامة أبي جعفر بن الزبير^(١) شيخ أبي حيان الذي جمع كتاباً سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، ونهج نهجه السيوطي^(٢) الذي أفرد لها تصنيفاً سماه (تناسق الدرر في تناسب السور) ، والشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

ومن المفسرين من بذل جهده في إبراز تلك المناسبات من خلال تفسيره للقرآن، فاشتهر الرازي بذكر كثير من المناسبات في تفسيره، وكذلك أكثر أبو حيان من ذكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره في تفسيره البحر المحيط ، ولعله في هذا تأثر بشيخه (أبي جعفر بن الزبير)؛ فقد نقل عنه كثيراً من المناسبات، واهتم الإمام النيسابوري^(٣) في تفسيره (غرائب

1 - هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين النقيّ العاصميّ الجيانيّ المولد الغرناطيّ المنشأ، أبو جعفر، كان محدثاً جليلاً ماهراً ، نحوياً فصيحاً موهوباً ، حسن الخط، مقرئاً ، مفسراً ، مؤرخاً، من كتبه البرهان في ترتيب سور القرآن ، وشرح الإشارة للباقي في الأصول ، وسبيل الرشاد في فضل الجهاد ، ولد سنة ٦٢٧ هـ ومات سنة ٧٠٨ هـ ، ينظر طبقات المفسرين للداودي ج١ ص٢٦،٢٧ .

2 - هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخضيرى السيوطي، جلال الدين ، إمام ، حافظ ، مؤرخ ، محدث ، مفسر ، أديب ، له نحو ٦٠٠ مصنف ،منها الإتيان في علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، والنقول في أسباب النزول ، ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ ، ينظر معجم المفسرين لعادل نويهض ج١ ص٢٦٤ .

3 - هو الحسن بن محمد بن الحسين القميّ النيسابوريّ نظام الدين ، ويقال له الأعرج، مفسر، من كبار علماء الشيعة الإمامية في عصره ، أصله من مدينة "قم" ونشأ وأقام =

القرآن ورغائب الفرقان) وهو أول من أظهر علم المناسبات فى بغداد ، وكان إذا قرئت عليه الآية يقول: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة، واعتنى الشيخ المهايى ببيان المناسبات فى تفسيره " تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن".

والخطيب الشربيني اهتم ببيان المناسبات؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ عناية الفائقة بإبراز المناسبات، وحرصه على إبراز الوحدة بين أجزاء القرآن الكريم ككتاب سماوى. فعادته الربط بين الآية والآية، بل بين أجزاء الآية الواحدة ببيان العلل والأسباب والمقاصد والحكم، فهى سمة غالبية على ربطه بين أجزاء الآية والسورة ، ويتضح ذلك من اتجاهاته التى استخلصتها من كتابه "السراج المنير" التى أعرضها فيما يلى بالأمثلة:

١. بيان المناسبات بين فواتح السور وخواتيمها.

٢. بيان المناسبات بين الآيات.

٣. بيان مناسبات الكلمات داخل الآية الواحدة.

٤. بيان مناسبة مطلع السورة لخاتمها.

١- بيان المناسبات بين فواتح السور وخواتيمها:

عنى الخطيب الشربيني ببيان ما ينعقد من المناسبات بين سور القرآن، وإظهار العلاقة الوثيقة بين كل سورة وأخرى حتى تبدو للمتأمل وكأن القرآن

=فى نيسابور ، من كتبه: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ولب التأويل ، وأوقاف القرآن ، توفى بعد سنة ٨٥٠هـ ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض ج١ ص ١٤٥.

وحدة متكاملة ، فنجده قد عنى ببيان مناسبة فاتحة السورة بخاتمة ما قبلها أو خاتمة السورة بفاتحة ما بعدها، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● فعند تفسيره لسورة الأنبياء يبين مناسبة خاتمتها لفاتحة سورة الحج فيقول^(١): "ولما ختمت السورة التي قبل هذه بالترهيب من الفرع الأكبر وطى السماء وإتيان ما يوعدون ، وكان أعظم ذلك يوم الدين افتتحت هذه السورة بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم بقوله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢) ."

● ويقول عن مناسبة فاتحة سورة سبأ لخاتمة الأحزاب قبلها^(٣): "ولما ختم السورة التي قبل هذه بصفتي المغفرة والرحمة بدأ هذه بقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾^(٤) ."

● وعن مناسبة خاتمتها لفاتحة سورة فاطر بعدها يقول^(٥): "ولما أثبت سبحانه فى التي قبلها "الحشر" الذى هو الإيجاد الثانى، وكان الحمد يكون بالمنع والإعدام كما يكون بالإعطاء والإنعام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾^(٦) ."

1 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٢٧٤ .

2 - سورة الحج : آية ١ .

3 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٥ .

4 - سورة سبأ : آية ١ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٥٢ .

6 - سورة فاطر : آية ١ .

● ويبين علاقة فاتحة سورة الواقعة بخاتمة سورة الرحمن قبلها فيقول^(١): "ولما قسم سبحانه الناس في تلك السورة إلى ثلاثة أصناف: مجرمين ، وسابقين، ولاحقين ؛ شرح أحوالهم في هذه السورة ، وبيّن الوقت الذي يظهر فيه إكرامه وانتقامه بقوله - تعالى - : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾^(٢)."

● ثم يبين مناسبة خاتمتها لفاتحة سورة الحديد بعدها فيقول^(٣): "ولما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقريب ذلك التنزيه فقال تعالى: ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٤)."

● وأيضاً يبين مناسبة فاتحة سورة الحشر لخاتمة سورة المجادلة قبلها فيقول^(٥): "ولما ختمت المجادلة بأنه يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته تنزهه عن النقائص تأييداً للوعد بنصرهم فقال تعالى: ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٦)."

● وأيضاً يبين مناسبة فاتحة سورة القارعة لخاتمة سورة العاديات قبلها فيقول^(٧): "ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته بقوله - تعالى-: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾^(٨)."

1 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢٧١.

2 - سورة الواقعة : آية ١.

3 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٣٠٥.

4 - سورة الحديد : آية ١.

5 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٣٥٨.

6 - سورة الحشر : آية ١.

7 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢١٤.

8 - سورة القارعة : آية ١.

٢ - بيان المناسبات بين الآيات:

حرص الخطيب الشربيني في تفسيره على بيان المناسبات بين الآيات على الترتيب في السور القرآنية ؛ فلا يكاد يترك آية إلا و يبين وجه مجيئها بعد أختها حتى يبرز السورة القرآنية وكأنها عقد أحكم وصل حباته ببعضها لتصير في النهاية وحدة متكاملة، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● عند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾^(١) يقول^(٢): " ولما كان في تلك الحالة مع وصوله إلى الغرغرة ليس على القطع من اليأس قال: ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ ﴾^(٣) " ثم يشرع في تفسير الآية بعد أن بيّن مناسبتها لما قبلها .

● وأيضاً بعد تفسيره لقوله - تعالى - ﴿ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾^(٤) يربطها بالآية بعدها فيقول^(٥): " ولما تقرر دليل البعث بما لا خفاء فيه ولا لبس شرع في بعض أحواله بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾^(٦) .

● وكذلك يبيّن المناسبة بين قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾^(٧) والآية التالية لها ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

1 - سورة المؤمنون : آية ٩٩ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٥٩

3 - سورة المؤمنون : جزء من آية ١٠٠ .

4 - سورة السجدة : آية ١١ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٢٩٧ .

6 - سورة السجدة : آية ١٢ .

7 - سورة محمد : آية ١ .

وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿١﴾ فقال (٢): ” ولما ذكر - تعالى - أهل الكفر معبراً عنهم بأدنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم، ذكر أصدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾“.

هذا هو منهج الخطيب الشربيني في تفسيره يحرص على بيان المناسبة بين الآيات على الترتيب في السورة القرآنية، ولأن المجال لا يتسع لعرض سورة كاملة ليتضح كيف حرصه على بيان مناسبة كل آية قبل أختها فقد اخترت سورة النصر لتوضيح ربطه بين آياتها؛ فعند انتهائه من تفسير الآية الأولى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (٣) يبين مناسبة الآية الثانية فيقول (٤): ”ولما عبّر عن المعنى بالمجىء ، وعبّر عن المرئى بالرؤية فقال - تعالى-: ﴿وَرَأَيْتَ﴾ (٥)“ ثم يربط الآيتين بالثالثة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٦) فيقول (٧): ” ولما كمل الدين أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشتغل بنفسه فقال عز من قائل ﴿فَسَبِّحْ﴾“.

بيان مناسبة الكلمات داخل السورة الواحدة:

القارئ لتفسير الخطيب الشربيني يلحظ عنايته ببيان مناسبة الكلمات وعلاقتها ببعضها داخل الآية الواحدة ؛ فهو يوضح السر في مجيء الكلمة على النحو الذى أتت به ، ويبين أنها لو لم تكن هكذا لما أفادت هذا المعنى،

1 - سورة محمد : آية ٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص٣٥ .

3 - سورة النصر : آية ١ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص٤٥١ .

5 - سورة النصر : جزء من آية ٢ .

6 - سورة النصر : آية ٣ .

7 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص٤٥٣ .

أو لم أتى بها هكذا، أو ينتهي إلى أن نفاسة المعنى اقتضت مجيئها على هذا النحو، ويتضح ذلك من خلال النماذج الآتية:

● فعندما ينتهي من تفسير الآيتين الكريمتين ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾^(١) و ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) يقول^(٣): " فإن قيل: لم عبّر في هذه الآية بـ " لا يعلمون" وفي التي قبلها بـ"لا يشعرون" ؟ أجيب بأن التعبير بـ "لا يعلمون" أكثر مطابقة لذكر السفه ؛ لأن السفه جهل فطابقه العلم ، ولأن أمر الإيمان أخرويٌ يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبر في الآية التي اشتملت عليه بـ "لا يعلمون" ، وأمر البغى والفساد دنيوي فهو كالمحسوس لا يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبر في الآية التي اشتملت عليه بـ"لا يشعرون" ."

● وعند تفسيره للآية الكريمة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٤) بعد انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يبين مناسبة ما بعدها ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ فيقول^(٥): " ولما كان المقصود للقرب إنما هو تدبير ما يمكن مشاهدتهم له من العالم قال تعالى ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ."

● وأيضاً عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٦) يقول^(٧): " ولما كان التقدير فمنه بيدون عطف عليه

1 - سورة البقرة : آية ١٢ .

2 - سورة البقرة : جزء من آية ١٣ .

3 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥٢ .

4 - سورة السجدة : آية ٥ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٥ ، ص ٢٩١ .

6 - سورة يس : آية ٨٣ .

7 - ينظر: السراج المنير ج٦ ، ص ١٣٨ .

قوله تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ ﴾ أى: لا إلى غيره ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ أى: معنى فى جميع أموركم وحسباً بالبعث لينصف بينكم فيدخل بعضاً النار وبعضاً الجنة“.

● وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى ﴾^(١) يقول^(٢): قال الرازى^(٣): ” والفائدة فى تقييد القسم به فى وقت هويّه أنه إذا كان فى وسط السماء يكون بعيداً عن الأرض لا يهتدى به السارى ؛ لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا نزل عن وسط السماء تبين بنزوله جانب المغرب عن المشرق والجنوب عن الشمال“.

● وعند انتهائه من تفسير سورة النصر يتناول بعض كلماتها مبيناً سر مجيئها على هذا النحو فيقول^(٤): ” تنبيه: فى الآية سؤالات : أحدها: أن قوله تعالى: ﴿ كَانَ تَوَابًا ﴾ يدل على الماضى وحاجتنا إلى قبوله فى المستقبل. ثانيها: هلا قال غفاراً كما قال فى سورة نوح عليه السلام. ثالثها: أنه قال تعالى ﴿ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ولم يقل بحمد الله؟“.

أجيب عن الأول بوجوه:

أحدها: أن هذا أبلغ ؛ كأنه يقول إنى تبت على من هو أقبح فعلاً منكم كاليهود ؛ فإنهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كفلق البحر ونشق الجبل ونزول المن والسلوى ؛ عصوا ربهم وأتوا بالقبايح، ولما تابوا قبلت توبتهم ؛ فإذا كنت قابلاً لتوبة أولئك وهم دونكم ؛ أفلا أقبل توبتكم وأنتم خير أمة أخرجت للناس؟!

1 - سورة النجم : آية ١ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٧ ، ١٨٦ .

3 - ينظر: التفسير الكبير للرازى ج٢٨ ، ص٢٣٨ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٨ ، ص٤٥٥ ، ٤٥٦ .

ثانيها : إنى شرعت فى توبة العصاة ، والشروع ملزم على قول النعمان فكيف فى كرم الرحمن.

ثالثها : كنت تواباً قبل أمركم بالاستغفار، أفلا أقبل وقد أمرتكم؟!

رابعها: كأنه أشار إلى تخفيف جنايتهم، أى: لستم أول من جنى وتتاب، والمعصية إذا عمّت خفت.

خامسها: كأنه نظير ما يقال : لقد أحسن الله إليك فيما مضى كذلك يحسن إليك فيما بقى.

وأجيب عن الثانى بوجهين:

أحدهما : لعله خص هذه الأمة بزيادة الشرف ؛ لأنه لا يقال فى صفات العبد: غفار، ويقال: تواب إذا كان أتياً بالتوبة فيقول تعالى: كنت لى سميّاً من أول الأمر أنت مؤمن وأنا مؤمن، وإن كان المعنى: مختلفاً فتب حتى تصير سميّاً فى آخر الأمر، وأنت تواب وأنا تواب. ثم التواب فى حق الله تعالى أنه يقبل التوبة كثيراً، فيجب على العبد أن يكون إتيانه بالتوبة كثيراً.

وثانيهما: أنه تعالى إنما قال "تواباً" لأن القائل قد يقول أستغفر الله وليس بتائب ؛ كقوله ﷺ : (المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزىء بربه)^(١) فإن قيل : قد يقول أتوب وليس بتائب ؟ أجيب: بأن ذا يكون كاذباً ؛ لأن التوبة اسم للرجوع والندم،

¹ -أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان باب معالجة كل ذنب بالتوبة جـ ٤٣٦ ص ٧١٧٨، وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب التوبة والزهد باب التائب من الذنب كمن لا ذنب له جـ ٤ ص ٩٧ بلفظ " والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه " ، وأورده الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها فى الأمة ، تخريج: محمد ناصر الدين الألبانى ، ط. المكتب الإسلامى - بيروت - دمشق الرابعة ١٣٩٨ هـ جـ ٢ ص ٨٣ ح ٦١٦ وقال : ضعيف رواه البيهقى فى شعب الإيمان.

بخلاف الاستغفار فإنه لا يكون كاذباً فيه فصار تقدير الكلام: واستغفره بالتوبة، وفيه تنبيه على أن "خواتيم الأعمال يجب أن تكون بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الأعمار"

وأجيب عن الثالث:

بأنه تعالى راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين ، وذكر اسم الفعل مرتين أحدهما : الرب ، والثانية : التواب ، ولما كانت التريية تحصل أولاً والتوبة آخراً، لا جرم ذكر اسم الرب أولاً واسم التوبة آخراً.

٦- بيان مناسبة مطلع السورة لخاتمتها :

اهتم الخطيب الشربيني ببيان الترابط بين أوائل السور وخواتيمها، مما يبرز وحدة كل سورة في بنائها؛ فنجد عند انتهائه من تفسيره السورة يربط خاتمتها بفاتحتها ويبين وجه الترابط بينهما، وهذه بعض الأمثلة التي ذكرها في تفسيره:

● عند انتهائه من تفسير سورة الفاتحة يقول^(١): " فائدة: أول السورة مشتمل على الحمد لله والثناء عليه والمدح له ، وآخرها مشتمل على الذمّ للمعرضين عن الإيمان به والإقرار بطاعته ، وذلك يدل على أن مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الإقبال على الله ، ومطلع الآفات ورأس المخالفات هو الإعراض عن الله - تعالى - والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته".

^١ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٦ .

● وكذلك عند تفسيره لآخر سورة الحج يقول^(١): ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْئىٰى ﴾^(٢) أى: هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٣) أى: الناصر لكم ؛ لأنه تعالى إذا تولى أحدًا كفاه كل ما أهمّه ، وإذا نصر أحدًا أعلاه على كل من خاصمه (ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته)^(٤) "الحديث" إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، وهذا نتيجة التقوى، وما قبله من أفعال الطاعة دليلها، فقد انطبق آخر السورة على أولها وردّ مقطعها على مطلعها".

● وفى مناسبة خاتمة سورة لقمان لفاتحتها يقول^(٥): "فقد انطبق آخر السورة بإثبات العلم والخبر مع تقرير أمر الساعة التى هى مفتاح الدار الآخرة على أولها المخبر بحكمة صفته التى من علمها حقّ علمها وتخلّق بما دعت إليه وحضّت عليه، لا سيما الإيقان بالآخرة — كان حكيمًا، فسبحان من هذا كلامه، وتعالى كبرياؤه ، وعز مرامه ."

● وفى مناسبة خاتمة سورة الرحمن لفاتحتها يقول^(٦): ﴿ ذِي الْجَلَالِ ﴾ أى: العظمة الباهرة ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴾ قال القرطبي^(٧): "كأنه يريد به الاسم الذى افتتح به السورة، فقال: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن ، وخلق السموات والأرض وصنعه؛ وأنه تعالى كل

1 - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

2 - سورة الحج : جزء من آية ٧٨ .

3 - سورة الحج : جزء من آية ٧٨ .

4 - أخرجه البخارى فى — كتاب : الرقاق ، باب : التواضع ح ٦٥٠٢ ؛ ينظر: فتح البارى جـ ١٧ ص ٣١٧ — ٣٢٤ .

5 - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ٢٨٨ .

6 - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢٧٠ .

7 - ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٧ ص ٨٦ .

يوم فى شأن، ووصف تدبيره منهم؛ ثم وصف يوم القيامة، وأهوالها، وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان“.

ثم قال فى آخر الصفة ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾^(١): "أى: هذا الاسم الذى افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتى، فمن رحمتى خلقتكم، وخلقت لكم السماء والأرض والخليقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ أى: جليل فى ذاته كريم فى أفعاله“.

● وفى مناسبة خاتمة سورة المرسلات لفاتحتها يقول الخطيب الشربيني^(٢): "قال الرازى^(٣): إنه - تعالى - لما بالغ فى زجر الكفار من أول هذه السورة إلى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل القطعية من تجليها ووضوحها ﴿ قَبَائِلٌ حَدِيثٌ بَعْدَهُ ﴾^(٤) أى: القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥) أى: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتمالهم على الإعجاز الذى لم يشتمل عليه غيره“

وهكذا تظهر عناية الخطيب الشربيني ببيان المناسبات بين السور والآيات، وبين الكلمات داخل الآية الواحدة، و بين خواتيم السور وفواتحها، ولعل هذا يوضح لنا أنه كان يقوم بفهم كامل لمضمون السورة؛ فيحلل إيراده لمناسبة الآيات داخلها، ثم يحلل ويبرهن ويخلص إلى النتيجة وهى

1 - سورة الرحمن : آية ٧٨.

2 - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٢٣٠.

3 - ينظر: مفاتيح الغيب للرازى ج ٣٠ ص ٢٥٠، وقد نقل الخطيب الشربيني قوله بتصريف.

4 - سورة المرسلات : جزء من آية ٥٠.

5 - سورة المرسلات : جزء من آية ٥٠.

مناسبة كل آية لما قبلها، وهذه عملية ليست يسيرة ولا يدركها إلا من حباه الله عقلاً راجحاً وأفقاً واسعاً وقوة بصيرة.

عنايته بالقراءات

عنى علماء التفسير بالقراءات عناية كبيرة ؛ فقلما يخلو منها تفسير من تفاسيرهم أو كتاب من كتبهم التى تعنى ببيان المعانى المختلفة والأغراض المتعددة للآيات القرآنية، فنجدهم يستشهدون على المعانى التى يذهبون إليها بالقراءات ، المتواترة وغير المتواترة ، الصحيحة^(١) والشاذة^(٢).

فقد عنى العلماء بتوجيه القراءات وإيضاح وجه ما ذهب إليه كل قارئ، وأفردوا فيها كتباً منها كتاب "الحجة" لأبى على الفارسى^(٣)، وكتاب "الكشف عن وجوه القراءات وعللها" لمكى ، وكتاب "الهداية" لأبى العباس^(٤) أحمد بن عماد المهدى ، كما صنّفوا فى توجيه القراءات الشاذة.

1 - القراءة الصحيحة :هى كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ؛ ينظر: النشر فى القراءات العشر للإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، خرّج آياته : الشيخ زكريا عميران ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، الأولى ص ١٥ .

2 - القراءة الشاذة : هى ما اختلف ركن من أركانها الثلاثة السابقة ؛ ينظر: المرجع السابق ص ١٥ .

3 - هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسى الأصل، أبو على: من أئمة النحو ، من كتبه الإيضاح فى قواعد العربية ، والتتبع لكلام أبى على الجبائى فى التفسير ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض ج ١ ص ١٣٥ .

4 - هو أحمد بن إبراهيم بن الفرّج بن أحمد بن سابور بن على بن غنيمه عز الدين أبو العباس بن الإمام محى الدين الفاروئى الواسطى ، المقرئ ، المفسر ، الشافعى ، الخطيب الصوفى ، ولد ٦١٤ هـ ، وكان فقيهاً ، عالماً بالقراءات ووجهها ، بصيراً بالعربية ، عالماً بالتفسير ، خيراً صاحب أورد وتهجد ومروة وفتوة ، وكان له أصحاب

واشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه ولا يلتزم بالوقوف عند حدود المأثور منه فقط أن يكون ملماً بجملة من العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ وتحميه من القول على الله بدون علم ، من أهمها علم القراءات ؛ إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض ، فالقراءات تعين المفسر على معرفة حقائق القرآن وجلال المعاني وجزالتها ، وتطلعه على بعض أسرارها ووقائعه.

وتنقسم القراءات الواردة في ألفاظ القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: اختلاف القراءات في وجوه النطق بحروفها وحركاتها كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل^(١) والتحقيق^(٢) والجهر والهمس^(٤) والغنة^(٥)، ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على أبناء

مريدون انتفعوا بصحبته في دينهم وديارهم ، مات ٦٩٤ هـ ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداوودي ج١ ص ٢٧- ٢٩ .

2- هو مطلق التغيير ، وينقسم إلى التسهيل بين وبين والبدل والنقل ؛ ينظر : سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن الحسن الفاصح العذري البغدادي وهو شرح حرز الأمانى ووجه التهاني لأبي محمد بن أبي القاسم بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي ، ط.دار الفكر- بيروت ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢م ص ٣٨-٥٦ .

3- هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وإتمام الحركات وغيرها من تقويم الألفاظ وإقامة القراءة بغاية الترتيل ؛ ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، ص ١٦٣ .

4- هو الصوت الخفى ، فإذا جرى مع الحرف النفس لضعف الإعتماد عليه كان مهموساً، والجهر ضد الهمس ؛ فإذا منع الحرف النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد كان مجهوراً ؛ ينظر: النشر في القراءات العشر ص ١٦١ .

5- هي صوت يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه ومحلها التنوين والنون والميم بشرط سكونهن ، وهما في النون أقوى وأبين ؛ ينظر: سراج القارئ المبتدئ ص ١٩٣ .

العربية لغتهم ؛ لأنها حفظت كيفية نطق العرب بالحروف فى مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب فى النطق بتلقى ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة. والقراءات من هذه الجهة ليس لها علاقة بالتفسير؛ لعدم تأثيرها فى اختلاف معانى الآى ، وإنما تعلقها بالأداء الصوتى.

والثانى: "اختلاف القراءات فى حروف الكلمات مثل "مالك يوم الدين" و "ملك يوم الدين" و "ننشرها" و "ننشزها" وكذلك اختلاف حركاتها كقوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ بضم الصاد ، وقرئ بكسرهما وهى من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير؛ لأن هذا الاختلاف يبين دلالة إحدى القراءتين على غير المدلول من القراءة الأخرى أو يثير معنى جديدًا^(١).

والخطيب الشربيني من المفسرين الذين أولوا القراءات عناية فائقة فى تفاسيرهم ؛ فلا يكاد يترك آية إلا و يذكر القراءات السبع المتواترة فيها ؛ مما جعل تفسيره وافيًا لكل باحث فى القراءات السبع المتواترة.

فالمطالع لتفسيره يجده ملئمًا إمامًا ملموسًا بالقراءات ، يستوفى القراءات عند عرضها من الجهتين : جهة الأداء الصوتى، وجهة دلالتها على المعنى.

وعرضه للقراءات يأخذ عدة اتجاهات أهمها:

- ١- لا يلتزم بعزو كل قراءة إلى قائلها.
- ٢- التزم بما اشترطه على نفسه.
- ٣- يبين المعانى التى تختلف باختلاف القراءات.

^١ - تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، المجلد الأول ص ٥١ - ٦٠ بتصرف.

٤- يذكر القراءات ولا يوجهها.

٥- يذكر القراءات ويبين اللغات التي ترجع إليها.

٦- يبيّن الأداء الصوتي للقراءات.

١- لا يلتزم بعزو كل قراءة إلى قائلها:

المتتبع لعرض الخطيب الشربيني القراءات في تفسيره يجده لا يلتزم بعزوها إلى قائلها ؛ فأحيانا يعزوها وأخرى لا يعزوها ؛ فهو يكتفى بما اشترطه على نفسه في مقدمة تفسيره وخاتمته من أنه لا يذكر فيه إلا السبع المشهورات.

● فعند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾^(١) يقول^(٢): "تنبيه: اتفق القراء على قراءة يقبل هنا بالياء على التذكير".

فالخطيب الشربيني هنا يقصد بالقراء، من هم على شرطه ؛ أي القراء السبعة^(٣).

1 - سورة البقرة : آية ١٢٣ .

2 - ينظر : السراج المنير ج١ ص١٤٣ .

3 - هم: ابن عامر (عبد الله اليحصبي) وابن كثير (عبد الله بن كثير الداربي) وعاصم (أبو عاصم بن أبي النجود الأسدي) وأبو عمرو (زبان بن العلاء عمار البصري) وحمزة (حمزة ابن الزيات الكوفي) ونافع (نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني) والكسائي (علي بن حمزة الكسائي) ؛ ينظر : شرح طيبة النشر في القراءات العشر للإمام شهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي المتوفى نحو سنة ٨٣٥ هـ، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة ن ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م الأولى ص٨ - ١٢ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَلَا تَكْتُبُوهَا ﴾^(١) يقول^(٢) :
وقرأ عاصم بنصب التاء فيهما على أن "تجارة" هي الخبر والاسم مضمرة
تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، والباقون بالرفع فيهما على أن
تجارة هي الاسم والخبر "تديرونها" أو على كان التامة "
ويريد بالباقيين هنا، القراء للسبع المشهورة فيما عدا عاصم.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ شَنَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾^(٣)
يعرض القراءات فيها فيقول: ^(٤) "شَنَّانُ قَوْمٍ ؛ أى: شده بُغْضٌ، وقرأ ابن
عامر وشعبة بسكون النون بعد الشين والباقون بنصبها. وقوله - تعالى - :
﴿ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على "إن" الشرطية
والباقون بفتحها أى: لأجل أن صدوكم في عام الحديبية أو غيره."

● وكذلك عند عرضه للقراءات في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي
أَمْرِي ﴾^(٥) يقول^(٦) : "وقرأ ابن عامر بسكون الياء من "أخى" وهمزة مفتوحة
من "أشدد" وهو على مرتبته في المد وهمزة مضمومة من "أشركه" وابن كثير
وأبو عمرو بفتح الياء من "أخى" وهمزة وصل من "اشدد" و"أشركه" بهمزة
مفتوحة والباقون بسكون الياء من "أخى" وهمزة وصل من "اشدد" وفتح
الهمزة من "أشركه" "

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٢٩٧.

3 - سورة المائدة: جزء من آية ٢.

4 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص٧.

5 - سورة طه: آية ٢٣.

6 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص١٦٥.

● وعند ذكره القراءات في قوله - تعالى - : ﴿ كَالْجَوَابِ ﴾^(١) يقول^(٢):
” وقرأ ورش و أبو عمرو بإثبات الياء بعد الباء الموحدة في الوصل دون
الوقف، وابن كثير بإثباتها وقفاً ووصلاً، والباقون بالحذف“.

وهذا اتجاهه دائماً في عرض القراءات إذا اتفق القراء السبعة على
قراءة، يذكر القراءة دون أسمائهم ، إلا إذا خالف بعضهم فيعزوا القراءة
المخالفة إلى قائلها.

٢- التزم بما اشترطه على نفسه:

المطالع لتفسير الخطيب الشربيني يجده قد وفى بما اشترطه على نفسه
في مقدمة تفسيره ، وما أشار إليه في خاتمة التفسير من أنه لا يذكر فيه من
القراءات إلا السبع المشهورات.

ولعل اتجاهه هذا يرجع إلى كونه شافعيّ المذهب ” حيث يرى الإمام
العلامة شيخ الشافعية المحقق للعلوم الشرعية أبو الحسن علي بن عبد الكافي
السبكي^(٣) أنه يجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات المتواترة ، ولا
تجوز بالشاذة^(٤).

وقد يظن البعض أنه ذكر بعض القراءات الشاذة ونبّه عليها، إلا أنني
عندما تتبعت القراءات الشاذة التي ذكرها وجدته لا يعرضها كقراءة ، بل

1 - سورة سبأ: جزء من آية ١٣.

2 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ١٩.

3 - هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي تقي الدين
شيخ الإسلام في عصره ، المتوفى عام ٧٥٦ هـ ، هو أحد الحفاظ المفسرين ، ولد في
سبك (من أعمال المنوفية في مصر) من كتبه الدر النظيم في التفسير لم يكمله ومختصر
طبقات الفقهاء ، ينظر الأعلام للزركلي ج٤ ص ٣٠٢.

4 - النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ج ١ ص ٤١ بتصرف.

استند إليها كمصدر لحكم معيّن ، وهنا لا يمكن القول بأنه قد خالف شرطه ؛
” لأن العلماء أجازوا العمل بالقراءة الشاذة، فالقراءة تسمى شاذة لكونها شذت
عن رسم المصحف المجمع عليه ، وإن كان إسنادها صحيحًا، فلا تجوز
القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها، ولكن يجوز قراءتها غير معتقد أنها
قرآن ولا موهماً غيره بذلك، وإنما لما فيها من الأحكام الشرعية أو الأدبية
عند من يحتج بها“^(١)

والى ذلك أشار الخطيب الشربيني في نكتة ذكرها عند تناوله حكم
التتابع في صيام كفارة اليمين إذا حنث فيه ؛ فيقول^(٢): ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ ﴾ أى: فكفارته صيام ثلاثة أيام ولا يجب تتابعها “

ثم يقول: ” فإن قيل: قرئ شاذًا متتابعات^(٣) والقراءة الشاذة كخبر
الواحد في وجوب العمل كما أوجبنا قطع يد السارق اليمنى بالقراءة الشاذة^(٤)
في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] ولأن

1 - لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني ، تحقيق الشيخ
عامر السيد عثمان و د/عبد الصبور شاهين ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
ص ١٣ ،

والنشر في القراءات العشر لابن الجزرى ص ٧٢، ٧٣ بتصرف.

2 - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٧٢ .

3 - ” وقرأ أبى وعبد الله بن مسعود والنخعي ثلاثة أيام ” متتابعات ” بزيادة متتابعات على
قراءة الجماعة ” . ينظر: معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، ط . دار
سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق - القاهرة ، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م ،
ج ٢ ص ٣٣٧ .

4 - ” والسارقون والسارقات فاقطعوا أيديهم ابن مسعود وروى عنه أيماهما ” ؛ ينظر:
مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه ، مكتبة المتنبى القاهرة ص
٣٩ .

من عادة الشافعي رحمه الله تعالى حمل المطلق (١) على المقيد (٢) من جنسه وهو الظهار (٣) والقتل أجيب: بأن اليمين نسخ فيها متتابعات تلاوة وحكمًا ؛ فلا يستدل بها ؛ بخلاف آية السرقة فإنها نسخت تلاوة لا حكمًا ، وبأن المطلق ههنا متردد بين أصليين يجب التتابع في أحدهما وهو كفارة الظهار والقتل ، ولا يجب في الآخر وهو قضاء رمضان ؛ فلم يكن أحد الأصلين في التتابع بأولى من الآخر، ويسنّ تتابعها خروجًا من خلاف أبي حنيفة ؛ فإنه شرط تتابعها .“

● ومثال ذلك أيضًا ما ذكره عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - :

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (٤) فيقول الخطيب الشربيني (٥): ”وحكى عن أبي الأسود الدؤلي (٦) أنه

١- المطلق : هو اللفظ المتعرض للذات دون الصفات لابلانفي ولا بالإثبات؛ ينظر: موسوعة كتشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للشيخ العلامة محمد بن علي بن علي بن محمد النهانوي ، الحنفى ، المتوفى سنة ١١٥٨ هـ ، وضع حواشيه : أحمد حسن بسبح، ط. دار الكتب العلمية - بيروت ، الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ج٢ ص ١٥٦٧ .
٢- و المقيد يقابل المطلق وهو اللفظ الدال على مدلول المطلق بصفة زائدة، والمراد بالمتعرض للذات الدال على الذات ؛ أى : نفس الحقيقة لا الفرد ؛ ينظر: المرجع السابق ذاته.

٣-الظهار: مصدر ظاهر الرجل ؛ أى : قال لزوجته أنت على كظهر أمى ؛ أى: أنت على حرام كظهر أمى ؛ ينظر: كتشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للنهانوي، ج٣ ص ١٧٥ .

٤- سورة البقرة: جزء من آية ٢٣٤ .

٥- ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٤٢ .

٦- هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكنانى ، واضع علم النحو ، كان معدودًا من الفقهاء والعلماء والشعراء ، من التابعين ، أول من نَقَطَ المصحف ، سكن

كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل: من المتوفى؟ بكسر الفاء ، فقال: الله وكان أحد الأسباب الباعثة لعلّي - رضى الله تعالى عنه - على أن أمره أن يضع كتاباً فى النحو، لكن يجوز الكسر على معنى أنه مستوف أجله، ويدل له قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ بفتح الياء على قراءة شاذة نقلت عن على^(١)، أى: يستوفون آجالهم“
وهذان المثالان من المواضع النادرة التى اعتمد فيها الخطيب الشربيني القراءة الشاذة كمصدر للأحكام.

٣- يبين المعانى التى تختلف باختلاف القراءات:

عنى الخطيب الشربيني بتوظيف القراءات فى بيان المعانى المختلفة للآية القرآنية ، وكان هذا هو السمة الغالبة عليه فى عرضه للقراءات التى تختلف فى حروف الكلمات وحركاتها والتى لها تعلق بالتفسير، سواء كان هذا الاختلاف تنوع ولا تتعارض القراءات فى المعنى الذى تفيده ، أو يختلف المعنى باختلاف القراءة، وقد تضيف القراءات حكماً جديداً أو ترجح حكماً فقهياً على آخر.

● فمن أمثلة توجيهه للقراءات التى تفيد معنى واحداً ما عرضه عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾^(٢) يقول الخطيب الشربيني^(٣):
”وقرأ قوله - تعالى - : ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ أبو بكر الكسائى بضم التاء أى:

البصرة فى ولاية عمرو وولى إمارتها فى أيام على وتوفى بها عام ٦٩ هـ ، ينظر
الأعلام للزركلى جـ ٣ ص ٢٣٦، ٢٣٧ .

^١ - ينظر: المحتسب فى تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى، ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة جـ ١ ص ٣٤٧ ، ومختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه ص ٢٢ .

^٢ - سورة طه: جزء من آية ١٣٠.

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٢١١.

-١٧٧-

ترضى بما تنال من الثواب ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥] وقرأ الباقر بفتحها أى : ترضى بما تنال من الشفاعة ؛ قال - تعالى - : ﴿ وَكَسَوَتْ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٥] ، وقال - تعالى - : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] والمعنى على القراءتين لا يختلف ؛ لأن الله تعالى إذا أَرْضَاه فقد رَضِيَهُ ، وإذا رَضِيَهُ فقد أَرْضَاهُ .

● ومن أمثلة توجيهه للقراءات التى يختلف المعنى المراد من الآية باختلافها ، ما ذكره عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ^(١) فيقول ^(٢) : ” قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام ، أى: الذين أخلصوا دينك عن الشوائب وقرأه الباقر بفتحها ، أى: الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية“ .

● ويستند الخطيب الشربيني إلى القراءات فى ترجيحه للحكم الشرعى الذى يميل إليه عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ﴾ ^(٣) فيقول ^(٤) : ” ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ ﴾ أى: بالجماع ﴿ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ﴾ تأكيداً للحكم وبياناً لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ، ويدل عليه صريحاً قراءة شعبة ^(٥) وحمزة ^(١) .

1 - سورة الحجر : آية ٤٠ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٩٥ .

3 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٢ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٢٨ .

5 - هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم بن الحناط الأسدى الكوفى ، ولد سنة ٩٥هـ ، وكان من الأئمة الأعلام حجة ثقة ، مات سنة ١٩٣ هـ ، ينظر غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد الجزرى ، المتوفى ٨٣٣ هـ ، عنى بنشره برجستراسر ، ط دار الكتب العلمية بيروت الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ج١ ص ٣٢٥ .

والكسائي (٢) بتشديد الطاء والهاء أى: يَنْطَهَّرْنَ بمعنى يغتسلن ، والباقون بسكون الطاء و ضمّ الهاء مخففة والتزاماً، ثم يشرح قوله- تعالى -: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ أى: للجماع ؛ فإنه يقتضى تأخر جواز الإتيان عن الغسل ، وقال أبو حنيفة رضى الله عنه: إن طهرت لأكثر الحيض وهو عنده عشرة أيام جاز قربانها قبل الغسل“.

ف نجد الخطيب الشربيني هنا يعرض القراءتين الواردتين فى كلمة ﴿يَطْهَّرْنَ﴾ ويعرض اختلاف الفقهاء بناءً على القراءتين ، فمن أخذ بقراءة التشديد للطاء أوجب الغسل قبل الجماع ، ومن بنى الحكم على القراءة بسكون الطاء وضم الهاء فقد استنبط من هذه القراءة أن مجرد النقاء طهارة فلا مانع من المعاشرة ، وقد رجّح الخطيب الشربيني الحكم بوجوب الغسل عند الطهارة وقبل المعاشرة مستنداً إلى قراءة التشديد مؤكداً لها بقوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

كما يستند الخطيب الشربيني إلى القراءات عند توجيهها لبيان حكم جديد، ومثال ذلك ما ذكره فى آية الوضوء عند عرضه للقراءات فى قوله - تعالى -: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ (٣) فيقول (٤):

١ - هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفى الزيات ، ولد عام ٨٠ هـ، كان إمام الناس فى القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، وكان ثقة كبيراً = حجة مجوّداً ، فرضياً نحوياً حافظاً للحديث ، ورعاً زاهداً خاشعاً ناسكاً ، مات سنة ١٥٦ هـ؛ ينظر: المرجع السابق جـ ١ ص ٢٦١ .

٢ - هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن تميم بن فيروز الكسائى الكوفى ، كان إمام الناس فى القراءة فى زمانه وأعلمهم بالقراءات وبالنحو ولغة العرب ، مات سنة ١٨٩ هـ ، وبه تمّ القراء السبع ؛ ينظر: المرجع السابق جـ ١ ص ٥٣٥ .

٣ - سورة المائدة: جزء من آية ٦.

٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ١٧.

” قرأه نافع^(١) وابن عامر^(٢) وحفص^(٣) و الكسائي بنصب اللام عطفًا على
المجورور على قراءة الجرّ والممسوح ؛ ليفيد مسح الخف ، وعطف على
المنصوب على قراءة النصب على المغسول ؛ ليفيد غسل الرجل المتجرّدة
منه ؛ فيفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الأخرى“.

وهنا نجد الخطيب الشربيني يستدل على ما ذهب إليه العلماء وهو أن
الأصل غسل الأرجل في الحالات العادية ، وأن المسح على الأرجل جائز إذا
لبس المرء خُفًا على طهارة أو وضع على رجله جَبيرة لمرض ، فدل كل
من القراءتين على حكم شرعي فأغنت القراءتان عن آيتين بأن بيّنت الحكم
الشرعيّ في حالين مختلفين.

٤- يذكر القراءات ولا يوجهها:

إذا كان الخطيب الشربيني كما ذكرت سابقًا ، غالبًا يوجه القراءات
وينزلها على معانيها المختلفة فإنه قد يذكر القراءات أحيانًا دون توجيهها،
ومن هذه المواضع القليلة التي ذكر فيها القراءات ولم يوجهها ما يأتي:

¹ - هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولا هم المدني ، ولد في حدود
سنة ٧٠ هـ ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، توفي
سنة ١٦٩ هـ ؛ ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج٢ ص ٣٣٠ .

² - هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد تميم بن ربيعة اليمصبي ، إمام جامع
دمشق وقاضيها وشيخ الإقراء بها ، إمام كبير وتابعي جليل ، ولد سنة ٦١ هـ ومات
١١٨ هـ ؛ ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج١ ص ٤٢٣ .

³ - هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهيب بن عدى بن صهيبان نزيل سامراء ،
إمام القراء وشيخ الناس في زمانه ، ثقة ثبت كبير ضابط ، أول من جمع القراءات،
ونسبته إلى الدور موضع ببغداد ، توفي سنة ٢٤٦ هـ من كتبه أحكام القرآن والسنن
وفضائل القرآن ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداودي ج١ ص ١٦٢ .

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾^(١) يقول^(٢) : ﴿ لَا يَحْزُنُكَ ﴾ قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي.

● وعند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾^(٣) يقول الخطيب الشربيني^(٤) : " وقرأ حمزة بضم الهاء في الوصل والباقون بالكسر".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾^(٥) يقول^(٦) : "أى : في النبوة والرسالة ، وقرأ ابن عامر بسكون الياء من "أخى" وهمزة مفتوحة من "أشدد" وهو على مرتبته في المد وهمزة مضمومة من "أشركه" وابن كثير^(٧) وأبو عمرو^(٨) بفتح الياء من "أخى" وهمزة وصل من "أشدد" و "أشركه" بهمزة مفتوحة والباقون بسكون الياء من "أخى" وهمزة وصل من "أشدد" و فتح الهمزة من "أشركه" .

1 - سورة المائدة: جزء من آية ٤١ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٤١ .

3 - سورة طه: جزء من آية ١٠ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ١٥٣ .

5 - سورة طه: آية ٣٢ .

6 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ١٦٥ .

7 - هو أبو سعيد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز الداري المكي ، إمام الناس في الإقراء بمكة ، ولد سنة ٤٥ هـ ومات سنة ١٢٠ هـ؛ ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج١ ص ٢٨٨، ٢٨٩ .

8 - هو زيان بن العلا بن عمار بن العريان بن عبد الله المازني ، البصرى ، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الثقة والأمانة والدين ، ولد سنة ٦٨ هـ ومات سنة ١٥٥ هـ؛ ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص ٢٨٨، ٢٨٩ .

● وكذلك عند انتهاء الخطيب الشربيني من تفسير قوله - تعالى - :
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ﴾^(١) يقول^(٢): " وقرأ حفص وحمة والكسائي بالنون وكسر الحاء ،
والباقون بالياء وفتح الحاء " .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣)
يقول^(٤): " وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها
وكسر الدال ، وقرأ الباقر - وهم عاصم^(٥) وابن عامر و حمزة والكسائي -
"وما يخدعون" بفتح الياء وسكون الخاء ولا ألف بعدها وفتح الدال . ولا
خلاف بين القراء في الكلمة الأولى وهي "يخادعون الله " فالجميع قرءوا
بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال وأما الرسم في الموضوعين
فبغير ألف " .

٥- بذكر القراءات ويبين اللغات التي ترجع إليها:

● عند عرض الخطيب الشربيني للقراءات الواردة في الكلمة القرآنية
يبين لغات العرب التي ترجع إليها:

- 1 - سورة الأنبياء: آية ٢٥ .
- 2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص٢٢٦ .
- 3 - سورة البقرة: جزء من آية ٩ .
- 4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٤٩ .
- 5 - هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهذلة الأسدي مولاهم الكوفي ، انتهت إليه رئاسة
الإقراء بالكوفة بعد السلمى ، جمع بين الإتقان والفصاحة والتجويد وحسن الصوت ،
مات سنة ١٢٧ هـ ؛ ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى
ج١ ص٤٦-٣٤٩ .

ومثال ذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١) يقول (٢): " والصراط من قلب السين صادًا ليطابق الطاء فى الإطباق (٣) وقد تُشَمَّ الصاد صوت الزاى ليكون أقرب إلى المبدل منه، قرأ حمزة الصراط المعروف فى هذه السورة بالإشمام (٤) وهو أن ينطق القارئ بحرف متولد بين الصاد والزاى وأشمَّ خلف (٥) " صراط" الثانى كالأول وكذا جميع ما فى القرآن من معرفٍ ومنكَّر ، وقرأ قنبل (٦) جميع ما فى القرآن بالسين ، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة فى الجميع ، وهذه لغة قریش وهى الثابتة فى الإمام وهو مصحف سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه".

1 - سورة الفاتحة : آية ٦ .

2 - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٣٤ .

3 - الإطباق لغة الإلتصاق سميت حروفه مطبقة لانطباق طائفة من اللسان بها على الحنك عند النطق بها، وهى أربعة جمعت فى الشاطبية : "و" فظ خص ضغط " سبع علو ومطبق هو الضاد والطاء أعجمعا وإن أهملًا " ؛ ينظر: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية للملا على بن سلطان محمد القارى وبهامشها شرح شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى على المقدمة الجزرية لأبى الخير محمد الجزرى ، ط. شركة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ص ١٧ .

4 - الإشمام هو أن تطبق شفثيك بعد تسكين الحرف فيدرك ذلك بالعين ولا يسمع؛ ينظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكُّر المقرئ المنتهى للقاصح البغدادي ص ٧٦ .

5 - هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار بالراء ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وكان إماماً جليلاً ، عالماً ، ثقة ، زاهداً ، ومات سنة ٢٢٩ هـ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداوودى ج ١ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

6 - هو أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة ، كان إماماً فى القراءة متقناً ضابطاً ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز ، ولد سنة ١٩٥ هـ وتوفى سنة ٢٩١ هـ ؛ ينظر: غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ج ٢ ص ١٦٥ .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾^(١) يبيّن القراءات واللغات التي ترجع إليها في كلمة ﴿حِجُّ﴾ فيقول^(٢): "وقرأ حفص وحمزة والكسائي بكسر الحاء وهي لغة نجد ، وقرأ الباقر بالفتح وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد ."

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾^(٣) يبين اللغات التي ترجع إليها القراءات في "كذابا" ؛ فيقول^(٤): " وقرأ "كذابا" غير الكسائي بالتشديد أى: تكذيبًا ، قال الفراء^(٥): وهي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فَعَالٍ. وقال الزمخشري^(٦): وَفَعَالٌ فِي بَابِ فَعَّلَ كُلُّهُ فَاشٍ فِي كَلَامِ فُصْحَاءَ مِنَ الْعَرَبِ لَا يَقُولُونَ غَيْرَهُ، وسمعتني بعضهم أفسر آية فقال: لقد فسرتها فسارًا ما سُمع بمثله. وقرأ الكسائي بالتخفيف مصدر كَذَبَ ؛ بدليل قول الشاعر :

والمَرءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ^(٧) .

فَصَدَّقَتْهَا وَكَذَّبَتْهَا

- 1 - سورة آل عمران: جزء من آية ٩٧ .
- 2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٣٦٧ .
- 3 - سورة النبأ: آية ٢٨ .
- 4 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٢٣٧، ص ٢٣٨ .
- 5 - ينظر معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ١٤٤ هـ - ٢٠٧ هـ ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ط . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الثالثة ج٣ ص ٢٢٩ .
- 6 - ينظر: الكشاف ج٤ ص ٢٠٩ .
- 7 - البيت من مجزوء الكامل ، وهو للأعشى في لسان العرب مادة : صدق ج١ ص ١٩٣ ، ولم أجده في ديوان الأعشى ، وبلا نسبة في شرح المفصل للعلامة يعيش ابن علي بن يعيش النحوي المتوفى ١٤٣ هـ . ط عالم الكتب بيروت ج٦ ص ٤٤ ، وشرح شواهد الكشاف ج٤ ص ٣٤٨ .

وثمة آيات أوضح الخطيب الشربيني أن القراءات فيها ترجع إلى لغات ولم يبيّنهما:

● ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَهَا ﴾^(١) إذ يقول عن القراءات الواردة في "كرها"^(٢): " وقرأ حمزة والكسائي بضم الكاف، والباقون بفتحها قال الكسائي"^(٣): وهما لغتان، وقال الفراء^(٤): الكره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم المشقة".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ لَا بَيْتِينَ فِيهَا ﴾^(٥) يقول^(٦): "وقرأ حمزة "لا بيتين فيها" بغير ألف بين اللام والباء الموحدة والباقون بألف وهما لغتان والأولى أبلغ قاله البيضاوي"^(٧).

وتلك بعض أمثلة من مواضع كثيرة بيّن فيها الخطيب الشربيني اللغات التي ترجع إليها القراءات ، فله معرفة واسعة بلغات العرب وما يروى عنهم. وقد نقل كثيراً من لغاتهم واستدل بها على صحة القواعد التي تكلم فيها، وقد أوضحت ذلك بالأمثلة في المباحث التي تناولت فيها استشهاده بالشعر وتوظيفه الدلالات اللغوية في التفسير.

1 - سورة النساء: جزء من آية ١٩ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٥٢ .

3 - ينظر: معاني القرآن للكسائي ج١ ص ١١٢ .

4 - لم أجد الفراء ذكره في كتابه معاني القرآن عند تفسيره للآية نفسها ، وكذا في المواضع التي ذكر فيها الكره والكره ؛ ينظر: معاني القرآن للفراء ج١ ص ٢٢٥ ، ٢٥٩ ، ٤١ ، ج٢ ص ٦١ ، ٢٥١ ، ولعله نقله عن أبي حيان الذي نسبه للفراء في البحر المحيط ج٣ ص ٢١٢ .

5 - سورة النبأ: جزء من آية ٢٣ .

6 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٢٣٦ .

7 - ينظر: حاشية زاده علي البيضاوي ج٨ ص ٤٧٦ .

٦- بيّن (الأداء الصوتي) للقراءات:

عنى الخطيب الشربيني بإيضاح الأداء الصوتي (الظاهرة الصوتية) للقراءات بكافة صورها : الإبدال ، والزيادة والنقصان ، والإمالة ، والهمز والتخفيف ، والإدغام والوقف وغيرها ، ويتضح ذلك بالأمثلة الآتية:

* الإبدال^(١):

ويكون فى كلمة واحدة بصيغة واحدة وبمعنى واحد، تنطق أو تؤدى بطريقتين من حيث إقامة حرف مكان آخر فى الكلمة ، ويقع الإبدال بين الصوامت كما يقع بين الحركات:

● ومثال الإبدال فى الصوامت:

ما قاله الشربيني فى قراءة "تتراً" عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(٢) فقال^(٣): " وقرأ "تترا" ، ابن كثير وأبو عمرو فى الوصل بتنوين الراء على أنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالاً، والباقون بغير تنوين".
" فأبدلت التاء من الواو بأن جعله مصدرًا من قولك: وتَرَ يَتِرُ وتَرًا كما أبدلت فى قولهم "التكلان" من الوكالة و "تجاه" من وجاء ؛ ودليل ذلك كتابتها فى السواء ألفاً ، وكذلك الوقوف عليها بألف^(٤).

● ومثال الإبدال بين الحركات:

الإبدال بين الضم والكسر فى قراءة "وقالت" فى الوصل ، لالتقاء

¹ -الإبدال: هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢١.

² - سورة المؤمنون: جزء من آية ٤٥.

³ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٤١.

⁴ - مستقى من اليزيدى القارئ النحوى ، دراسة نحوية قرآنية للدكتور محمد أحمد على سحلول ، ط.مطبعة الحسين الإسلامية، الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م ، ص ١٩٥، ١٩٤.

الساكنين؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْنَا ﴾^(١) يقول^(٢): " وقرا أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي بكسر التاء في الوصل، والباقون بالضم ، وأما الابتداء فجميع القراء يبتدئون الهمزة بالضم " .

* الزيادة والنقصان:

● ومثاله تخفيف الفتح في قوله - تعالى - : ﴿ فَرَضْنَاهَا ﴾^(٣) فيقول الخطيب الشربيني^(٤): " وقراً ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء ؛ لكثرة الفروض، والباقون بالتخفيف " .

* الإمالة^(٥):

● ومثال ذلك ما ذكره في قراءة ﴿ أَبْصَارِهِمْ ﴾^(٦) فيقول^(٧): " وأمال أبو عمرو ألف "أبصارهم" وكذا كل ألف بعدها راء مكسورة متطرفة . وإنما جاز إمالتها مع الصاد ؛ لأنّ الراء المكسورة تقلب المستعلية ؛ لما فيها من التكرير " .

* الهمز والتخفيف:

● ومثاله ما ذكره عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - :

﴿ أَنْذَرْتُهُمْ ﴾^(٨)

- 1 - سورة يوسف: جزء من آية ٣١ .
- 2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٦٥ .
- 3 - سورة النور: جزء من آية ١ .
- 4 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٦٥ .
- 5 - وهو أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً ؛ ينظر: شرح طيبة النشر ص ١١٥ .
- 6 - سورة البقرة: جزء من آية ٧ .
- 7 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٧ .
- 8 - سورة البقرة: جزء من آية ٦ .

فيقول^(١): ” تنبيه: ها هنا همزتان مفتوحتان من كلمة ؛ فقالون^(٢) وأبو عمرو
يسهّلان الثانية ويدخلان بينهما ألفاً وكذا ورّش^(٣) وابن كثير إلا أنهما لم
دخلا

ألفاً بينهما ولورش وجه آخر وهو أن يبدل الثانية حرف مدّ ، وهشام^(٤) له
وجهان: تسهيل الهمزة الثانية وتحقيقها مع إدخال ألف بينهما، والباقون
بالتحقيق والقصر، وجميع القراء يحققون الأولى.“

* الإدغام^(٥):

● ومثال ذلك عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ ﴾^(٦)
يقول الخطيب الشربيني^(٧): وقرأ الكسائي وهشام بإدغام اللام فى الثاء
والباقون بالإظهار.“

1 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٦.

2 - هو عيسى بن مينا الزرقى ، لقبه نافع بقالون لجودة قراءته ؛ لأنها بلغة الروم جيّد،
وكان قارئ المدينة ونحوها ، ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفى سنة ٢٢٠ هـ ؛ ينظر: طبقات
القراء لابن الجزرى جـ ١ ص ٦١٥.

3 - هو أبو سعيد عثمان بن سعيد القبطى المصرى ، ولد سنة ١١٠ هـ ، ولقب بورش
لشدة بياضه ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر ، ومات سنة ١٩٧ هـ ؛ ينظر: المرجع
السابق جـ ١ ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

4 - هو أبو الوليد هشام بن عمّار بن نصير بن ميسرة السلمى الدمشقى ، قاض ، إمام
أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم ، ولد سنة ١٥٣ هـ ومات ٢٤٥ هـ ؛
ينظر: طبقات القراء لابن الجزرى جـ ٢ ص ٣٥٤ والأعلام للزركلى جـ ٩ ص ٨٦.

5 - حقيقة الإدغام أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك ، فتصيرهما حرفاً واحداً،
مشدداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعاً واحدة ، وهو بوزن حرفين ؛ ينظر: سراج القارئ
المبتدئ للفاصح البغدادى ص ٢٣.

6 - سورة المطففين: جزء من آية ٣٦.

7 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٩١.

* الوقف^(١):

● يهتم الخطيب الشربيني ببيان طرق الأداء الصوتي في حالة الوقف، ومثال ذلك التنبيه الذي ذكره عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾^(٢) إذ قال^(٣): " تنبيه: إذا وقف حمزة وهشام على شيء فلهما أربعة وجوه: السكون، والرؤم^(٤)، والإدغام، والروم معه، وسكن حمزة قبل الهمزة بخلاف عن خلاد في الوصل وأدغم أبو عمرو الكاف في القاف بخلاف عنه " .

● كما يهتم ببيان التناسب الإيقاعي والصوتي في حالة الوقف ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾^(٥) فيقول^(٦): " وقرأ نافع وابن عامر " الظنونا طهنا و"الرسولا" و"السبيلا" في آخر السورة بإثبات الألف في الثلاثة وقفاً ووصلاً ، وأبو عمرو وحمزة بحذف الألف وقفاً ووصلاً، قال الزمخشري^(٧): وهو القياس . والباقون في الوقف دون الوصل زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية قال:

1 - سمي الوقف وقفاً لأنه ترك الحركة ، فهو مأخوذ من قولهم وقف عن كذا إذا لم تأت به. وإنما كان الأصل فيه السكون لأن الوقف يقتضى السكون والابتداء يقتضى الحركة، وحد الوقف قطع الصوت آخر الكلمة ؛ ينظر: شرح طيبة النشر ص ١٤١ وسراج القارئ المبتدئ ص ٧٦ .

2 - سورة البقرة: جزء من آية ١١٣ .

3 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٣٨ .

4 - هو أن يسمع الحرف المحرك ، احترازاً من الساكن في الوصل ؛ ينظر: سراج القارئ المبتدئ للقاصح البغدادي ص ٧٦ .

5 - سورة الأحزاب: جزء من آية ١٠ .

6 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٣٢٦، ٣٢٥ .

7 - هذا مضمون كلام الزمخشري لا نصه ، يراجع: الكشاف ج٣ ص ٢٥٤، ٢٥٣ .

أقلَى اللوم عادل والعتابن^(١)

ورسم الثلاثة بالألف “.

فالخطيب الشربيني هنا بيّن أن زيادة الألف في الثلاثة وفقاً متفق عليه بين القراء لمراعاة الفاصلة تحقيقاً للتناسب الصوتي والإيقاعي.

* المد^(٢):

يهتم الخطيب الشربيني بإخراج المدود الواردة في قراءة الآية القرآنية الكريمة وبيان مراتبها عند القراءة السبعة:

● ومثال ذلك التنبيه التالي: يقول الخطيب الشربيني^(٣): ”تنبيه: “اجتمع في قوله تعالى: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤): أربع مدات، الأولى: أنبئوني، والثانية بأسماء، والثالثة، والرابعة هؤلاء إن، فالأول مد بدل، والثاني مد متصل، والثالث مد منفصل، والرابع مخير لا متصل قطعاً ولا منفصل قطعاً عند من يقول بإسقاط إحدى الهمزتين، فأما الأول فلورش فيه المد والتوسط والقصر، وأما الثاني فبالمدّ للجميع لأنه متصل، وأما الثالث ففيه المد والقصر، كما تقدم لأنه منفصل، وأما الرابع

¹ - صدر بيت وعجزه " وقولى إن أصبت لقد أصابن "، وهو من الوافر لجريير فى خزنة الأدب جـ ١ ص ٦٩، ولم أجده فى ديوان جريير، وشرح شواهد الكشف جـ ٤ ص ٣٣٩، ومغنى اللبيب جـ ٢ ص ٣٩٥.

² - المد : هو زيادة مطّ فى حروف المد ولا يكون إلا لسبب ، والسبب إما لفظى وهو همز أو سكون ، وإما معنوى وهو قصد المبالغة فى النفى ، وحرف المد هو الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، ينظر شرح طيبة النشر لابن الجزرى ص ٧١، ٧٢ .

³ - سورة البقرة: جزء من آية ٣١.

⁴ - ينظر السراج المنير: جـ ١ ص ٨١.

وهو "أولاء إن" ففيه همزتان مكسورتان من كلمتين ؛ فقالون والْبَزَى^(١) يسهلان الأولى مع المد والقصر، وورش وقنبل يسهلان الثانية . ويجعلانها حرف مد ، وأبو عمرو يسقط الأولى والثانية فمن قال بإسقاط الأولى مدّ وقصر، ومن قال بإسقاط الثانية فبالمد فقط ، وباقي القراء يحققون الهمزتين وهم على مراتبهم في المد".

* مخارج الحروف^(٢):

كما اهتم الخطيب الشرييني بشرح قواعد الأداء الصوتي للحروف من مخارجها.

● ومثال ذلك ما شرحه عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾^(٣) يقول^(٤): " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالطاء المشالة من الظنّة، وهي التهمة ، أي : فليس بمتهم ، والباقون بالضاد موافقةً للمرسوم من الضنّ وهو البُخل ، أي: فليس ببخيل بالوحي فيزوي بعضه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه ، كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه خلوأناً ، وهو في مصحف عبد الله بالطاء، وفي مصحف أبي بالضاد، وكان ﷺ يقرأ بهما.

¹ - هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع ابن أبي بزة المكي كان إماماً في القراءة محققاً ضابطاً لها ثقة قيماً ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة وكان مؤذن المسجد الحرام ، ولد سنة مائة وسبعين ومات سنة مائتين وخمسين ، ينظر: طبقات القراء لابن الجزري جـ ١ ص ١١٩.

² - مخارج : جمع مخرج : وهي عبارة عن موضع خروج الحرف من الفم ؛ ينظر: شرح طيبة النشر ص ٢٧ .

³ - سورة التكوير: آية ٢٤ .

⁴ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٧٤، ٢٧٣.

قال الزمخشري^(١): وإتقان الفصل بين الضاد والطاء واجب ، ومعرفة مخرجيهما مما لا بدّ منه للقارئ ، فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقاً غير صواب ، وبينهما بؤنٌ بعيد ، فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره ، وكان عمر بن الخطاب أضبط ، يعمل بكتنا يديه ، وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه ، وهي أحد الأحرف الشجرية^(٢) أخت الجيم والشين ، وأما الطاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وهي أحد الأحرف الذوقية^(٣) أخت الذال والطاء ، ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان ، واختلاف بين جبليين من جبال العلم والقراءة ، ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب.

فإن قلت فإن وضع المصلى أحد الحرفين مكان صاحبه، قلت: هو كوضع الذال مكان الجيم والطاء مكان السين ؛ لأن التفاوت بين الضاد والطاء كالتفاوت بين أخواتهما أ.هـ كلامه بحروفه .

وتلك بعض الأمثلة التي تبين عناية الخطيب الشربيني الفائقة بقواعد الأداء الصوتي للكلمات القرآنية، فالمطالع لتفسيره يجد بين يديه الكثير منها شاملاً كل هذه القواعد التي أرساها علماء القراءات.

1 - ينظر: الكشاف ج ٤ ص ٢٢٦، ٢٢٥.

2 - هي الجيم والشين والياء ، وتسمى الحروف الشجرية ؛ لخروجها من شجر الفم وهو منفتح ما بين اللحيين ، قال ابن الجزري : " والوسط فجيم الشين يا " ؛ أى وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم ثم الشين ثم الياء ؛ ينظر: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ص ١٢ .

3 - الحروف المذلة ستة يجمعها لفظ " فر من لب " ، والذلق لغة الطرف سميت حروفه مذلة لخروج بعضها من ذلق اللسان وبعضها من ذلق الشفة أى طرفيها ؛ ينظر: المرجع السابق ص ١٧ .

إتجاهاته في أسباب النزول

أنزل الله - عز وجل - القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ منهاجاً ليهتدى به الناس إلى الحق المبين والخير الجزيل في الدنيا والآخرة؛ فاشتمل على العقيدة والمعاملات والأخلاق والنبوة والبعث والنشور .

وليبيان هذه المسائل نزل القرآن الكريم على قسمين :

القسم الأول نزل ابتداءً غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق .

والقسم الثاني نزل عقب واقعة أو سؤال وجه إلى النبي ﷺ من المسلمين على سبيل الاستفسار، أو من غيرهم علي سبيل الجدل والعتاد .

” فسبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ، أو سؤال وجه إليه؛ فنزلت الآية أو الآيات من الله - تعالى - ببيان ما يتصل بتلك الحادثة ، أو بجواب هذا السؤال“^(١).

وقد ذكر العلماء لأسباب النزول فوائد عديدة ، أهمها :

” أ - معرفة وجوه الحكمة من تشريع الحكم ، فإن كان الدارس مؤمناً ازداد إيماناً وحرصاً على العمل بكتاب الله، وتطبيق أحكامه لما يظهر له من أسرار ومصالح من أجلها نزل القرآن الكريم شريعة ومنهاجاً للناس، وإن كان غير مؤمن تحمله هذه الحكم علي الإيمان إن كان منصفاً ، وأدرك أن التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، خاصة إذا تبين له تدرج التشريع في معالجة الموضوع الواحد؛ ومثاله تحريم الخمر ” فقد روى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر قال: نزل في الخمر ثلاث آيات؛ فأول

¹ - ينظر: مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ ص ١٠٦ .

شئء ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(١) الآية؛ فقيل: حرمت الخمر؛ فقالوا: يارسول الله ، دعنا ننتفع بها كما قال الله؛ فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(٢) فقيل حرمت الخمر ؛ قالوا: يارسول الله ، لا نشربها قرب الصلاة ؛ فسكت عنهم. ثم نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾^(٣) فقال رسول الله ﷺ: (حرمت الخمر)^(٤).

ب - الاستعانة على فهم الآية ورد ما يعرض فيها من الإشكال؛ قال الواحدى^(٥): "هي أوفى ما يجب الوقوف عليها و أولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"^(٦).

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢١٩.

2 - سورة النساء: جزء من آية ٤٣.

3 - سورة المائدة: جزء من آية ٩٠.

4 - أخرجه الترمذى - كتاب تفسير القرآن - باب : ومن سورة المائدة جـ ٥ ص ٩٨ ح ٣٠٤٩ وقال أبو عيسى: وقد روى عن إسرائيل هذا الحديث مرسل . وأبو داود فى سننه - كتاب : الأشرية - باب : فى تحريم الخمر جـ ٣ ص ١٥٨٩ ح ٣٦٧٠ . والنسائى - فى الأشرية ، باب : تحريم الخمر جـ ٤ ص 686 ح ٥٥٥٥ .

5 - هو على بن أحمد بن على بن متويه أبو الحسن الواحدى النيسابورى ، كان إماماً فى العربية والتفسير، من مؤلفاته : أسباب النزول ، والتفاسير الثلاثة ؛ البسيط والوسيط والوجيز توفى ٤٦٨ هـ ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداودى جـ ١ ص ٣٩٤.

6 - ينظر : أسباب النزول الإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى (٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م) ، تعليق وتخرىج الدكتور مصطفى ديب البغا ، ط. دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، الثالثة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ص ٧ .

وقال ابن دقيق العيد^(١): "بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معاني القرآن"

وقال ابن تيمية^(٢): "معرفة سبب النزول يعين علي فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"

وقال السيوطي - رحمه الله تعالى - في معرض ذكره فوائد معرفة أسباب النزول: "منها: معرفة الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال"^(٣)

وقد اعتنى المفسرون بمعرفة أسباب النزول وأفردوا فيه تصانيف أشهرها: "أسباب النزول للواحدى" و "باب النقول فى أسباب النزول للسيوطى".

وقد أكثر الخطيب الشربيني من ذكر أسباب النزول ؛ فلا يكاد يترك آية من آيات القرآن الكريم نزلت على سبب إلا ويذكره أو يذكر عدة أسباب، وهو حين يفعل ذلك يبذل جهده فى جمع ما يستطيع من أسباب النزول ، ويعرضها إما معزوة إلى قائلها أو دون عزوها إلى قائلها، وقد يذكر السبب مبتدأً به كتفسير للآية.

¹ - هو على بن وهب بن مطيع ،أبو الفتح تقي الدين القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد،قاضى مجتهد ،من كتبه: إحكام الأحكام وتحفة اللبيب فى التقريب، توفى ٧٠٢هـ - ينظر: الأعلام للزركلى ج٦ ص ٢٨٣ .

² - هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى الحرانى الدمشقى الحنبلى ، أبو العباس ، ولد ٦٦١ هـ وتوفى ١٣٢٨ هـ ، من تصانيفه : الجوامع فى السياسة الشرعية ،والفتاوى ، والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ،رفع الملام عن الأئمة الأعلام؛ ينظر : الأعلام للزركلى ج١ ص ١٤٤ .

³ - مستقى من الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى ج٢ ص ٦٧ ، والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ج١ ص ٢٦ ، ومناهل العرفان للزرقانى ج١ ص ١٠٦ - ص ١١٢ .

ويتضح ذلك في اتجاهاته التي استخلصتها من كتابه السراج المنير،
والتي أعرض لها فيما يلي مع ذكر أمثلة لكل منها :

١- الإطالة في ذكر أسباب النزول وعزوها الي قائلها:

كثيراً ما يستفيض الخطيب الشريبي في ذكر الاختلاف في أسباب
النزول دون أن يعلق عليها بالصحة أو غيرها، فالفارىء لتفسيره يجده
حريصاً على جمع ما ورد من روايات متعددة ومختلفة في أسباب نزول الآية
التي يتناولها بالتفسير دون أن يتعقبها ببيان بطلان بعضها، ويعزو هذه
الروايات إلى قائلها.

● كما كتب عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾^(١)

فقال^(٢): " واختلف في سبب نزول قول جبريل للنبي ﷺ : "وما ننزل إلا بأمر ربك" فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: (يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا) فنزلت الآية^(٣)، وقال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ليلة فقال لعلى: أبطأت قال: قد فعلت، قال: ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون ولا تقصون أظفاركم ولا تتقون براجمكم ،وقال "وما ننزل إلا بأمر ربك" فنزلت^(٤)،

1 - سورة مريم: آية ٦٤ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ١٣٠، ص ١٣١ .

3 - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : سورة مريم (قوله :وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا) ، وكتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة- صلوات الله عليهم - ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١٣ ص ٣٣١، ٣٣٢، ح ٤٧٣١، ج٩ ص ٤٦٩ ح ٣٢١٨ ..

4 - ذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٢٥٣ والجوزى في زاد المسير في علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى المتوفى سنة=

وقال قتاده والكلبي^(١): احتبس جبريل ﷺ عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح، وسبب سؤالهم في ذلك ما روى أن قريشاً بعثت خمسة رهط إلى يهود المدينة يسألونهم عن صفة النبي ﷺ، وهل يجدونه في كتابهم؛ وسألوا النصارى فرعموا أنهم لا يعرفونه، وقالت اليهود نجده في كتابنا وهذا زمانه، وقد سألنا رحمن اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فسلوه عنهن فإن أخبركم عن خصلتين فاتبعوه؛ فسألوه عن قصة أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب، فوعدهم أن يجيبهم غداً، ولم يقل: إن شاء الله؛ فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً؛ فشق ذلك عليه مشقة عظيمة، وقال المشركون: ودعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل - عليه السلام - قال له النبي ﷺ: أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك، قال إني إليك أشوق، ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست؛ فنزلت هذه الآية، وأنزل قوله - تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا {23} إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٤] و [سورة الضحى] (٢)“.

= ٥٩٧ هـ ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : احمد شمس الدين ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م الأولى ج٥ ص ١٨٤.

^١ - ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفي سنة ٥٤١ هـ ، ط. دار ابن حزم بيروت لبنان ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ج٤ ص ٢٤، والبيغوي في معالم التنزيل؛ ينظر: تفسير الخازن المسمى لبياب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن المتوفى ٧٢٥ هـ وبهامشه تفسير البيغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسن بن مسعود الفراء البيغوي المتوفى ٥١٦ هـ، ط. دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ج١ ص ٢٥٣، والجوزي في زاد المسير ج٥ ص ١٨٤، وأبو حيان في البحر المحيط ج٦ ص ١٩١ .

^٢ - أخرجه الطبري في تفسيره ج٥ ص ٢٢٨، وذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٢٥٣.

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(١) ذكر الخطيب الشربيني في سبب نزولها عدة روايات ؛ فقال^(٢) :
 "روى سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهما- : "أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن الذى تدعو له لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة"^(٣) فنزلت هذه الآية. وروى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس: "أنها نزلت في وحشى قاتل حمزة - رضى الله تعالى عنهما - حين بعث إليه النبي يدعو إلى الإسلام ؛ فأرسل إليه كيف تدعونى إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقى أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة؟! وأنا قد فعلت ذلك كله؛ فأنزل الله سبحانه - وتعالى - : ﴿ إِيَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [مريم: ٦٠] فقال وحشى: هذا شرط شديد على لا أقدر عليه؛ فهل غير ذلك؟ فأنزل الله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ فقال وحشى: أرانى بعد فى شبهه؛ فلا أدري أيعفر لى أم لا ؛ فأنزل الله - تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الآية قال: نعم هذا ماجاء فأسلم ؛ فقال المسلمون: هذا له خاصة قال: بل للمسلمين عامة"^(٤).

1 - سورة الزمر: آية ٥٣.

2 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٢٧٠، ٢٧١.

3 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب التفسير، باب : سورة الزمر (قوله تعالى: يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم... الآية) ؛ ينظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ٥٠٨ ح ٤٨١٠، وأخرجه مسلم - فى صحيحه كتاب الإيمان ، باب : كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ج١ ص ١١٩ ، ١٢٠ ح ١٢٢.

4 - أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ج١١ ص ١٥٧، ١٥٨، ح ١١٤٨٠، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد- كتاب: التفسير، باب: فى سورة الزمر ج٧ ص ٢٢٤ =

وروى عن ابن عمر قال: "نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا، وكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً قد أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه؛ فأنزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بيده، ثم بعثها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا"^(١).

وروى عن ابن مسعود أنه دخل المسجد وإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال؛ فقام على رأسه فقال: "يا مذكر لم تقنط الناس، ثم قرأ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾"^(٢) وعن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي)^(٣)

= ٢٢٥ ح ١١٣١٤، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبي.

- 1 - ذكره الواحدى عن ابن عمر - رضى الله عنه - ص ٣٠٧ .
- 2 - أخرجه عبد الرزاق فى المصنف - كتاب الجامع ، باب : الرخص والشدائد؛ ينظر: المصنف للحافظ الكبير لأبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ومعه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدى رواية الإمام عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمى ، ط.المكتب الإسلامى - لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م الثانية جـ ١١ ص ٢٨٧ ح ٢٠٥٥٨ ، وأخرجه الطبراني فى المعجم الكبير جـ ٩ ص ١٢٧ ح ٨٦٣٥ ، وأورده الهيثمي فى مجمع الزوائد - كتاب العلم ، باب : القصص جـ ١ ص ٤٥٣ ح ٩١٧ وعزاه إلى الطبراني فى الكبير، وقال : رجاله ثقات ، ولكن الأعمش لم يدرك ابن مسعود .
- 3 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزمر جـ ٥ ص ٢١٠ ح ٣٢٣٧ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر ابن حوشب ، قال : وشهر بن حوشب يروى عن أم سلمة الأنصارية ، وأم سلمة الأنصارية هى أسماء بنت يزيد .

وروى الطبراني: "أنه ﷺ قال: (ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها ؛ أى: بهذه الآية ؛ فقال رجل: يا رسول الله ، ومن أشرك ؟ فسكت ساعة ، ثم قال: إلا من أشرك ثلاث مرات) (١)".

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: (كان في بنى إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل، فإذا راهب يسأله فقال: هل لي توبة، فقال: لا فقتله وجعل يسأل ؛ فقال رجل: انتت قرية كذا ، فأدركه الموت ، فنأى بصدرة نحوها؛ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله - تعالى - إلى هذه أن تقربى وإلى هذه أن تباعدى، وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر؛ فغفرله). وفي رواية: (فقال له: إنى قتلت تسعة وتسعين نفساً فهل لي من توبة ؟ فقال: لا؛ فقتله فكمل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم؛ فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال: نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة؛ انطلق إلى أرض كذا إلى أن قال: فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة) (٢).

وعن ابن عمر: قال كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهى مقبولة حتى نزلت ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣] فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذى يبطل أعمالنا؛ ف قيل لنا: الكبائر والفواحش ؛ فكنا إذا رأينا من أصاب منها

¹ -أخرجه أحمد فى مسنده مسند ثوبان رضى الله عنه جـ١٦ ص ٢٨٤، ٢٨٥، ح ٢٢٢٦٢ ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد - كتاب التفسير، باب: سورة الزمر جـ٧ ص ٢٢٤ ح ١١٣١٣ ونسبه إلى الطبراني فى الأوسط ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف ، وحديثه حسن.

² - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب: رقم ٥١ "بدون ترجمة" ح ٣٤٧٠ ؛ ينظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ ص ٢٩١-٢٩٤، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب: التوبة ، باب: قبول القاتل وإن كثر قتله جـ ٤ ص ٤٢٤ ح ٢٧٦٦ .

شيئاً خفنا عليه، ومن لم يصب منها شيئاً رجونا له ؛ فأُنزل الله - تعالى - :
﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾^(١).

● وكذلك فعل الخطيب الشربيني عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللِّبَاسِ وَالْعَدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾^(٢) فقال^(٣): " واختلف في سبب نزول قوله تعالى: " ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى" فقيل: في اليهود ، وقيل: في المنافقين، وقيل في فريق من الكفار، وقيل في فريق من المسلمين ؛ لما روى أبو سعيد الخدري قال: "كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال ﷺ: (ما هذه النجوى ؟ فقلنا تبنا إلى الله - تعالى - يا رسول الله ؛ إذ كنا في ذكر المسيح ؛ يعني: الدجال فرقا منه؛ فقال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بما هو أخوف عندي منه ؟ قلنا: بلى يا رسول الله ؛ قال: الشرك الخفى ؛ أن يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل)^(٤) ذكره الماوردي.

وقال ابن عباس: "نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون

¹ - ذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسيره للآية ٣٣ من سورة محمد ، مع اختلاف النص عن ابن عمر إذ جعلها سبب نزول الآية "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " [النساء : ٤٨] بدلا من الآية ٥٣ من سورة الزمر؛ ينظر: الدر المنثور للسيوطي ج٥ ص ٥٥ .

² - سورة المجادلة: جزء من آية ٨.

³ - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٣٤١.

⁴ - أخرجه أحمد في مسنده ، مسند أبي سعيد الخدري ح ١١١٩١ ج١٠ ص ٩٨ ، وقال محققه حمزة أحمد الزين : إسناده حسن ، وأخرجه ابن ماجه بنحوه ج٣ ص ٥٠٢ ح ٤٢٠٤ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب : الصلاة ، باب : في النوم قبلها والحديث بعدها ج٢ ص ٦٢ ، ٦٣ ح ١٧٦٤ ونسبه الهيثمي إلى أحمد عن أبي سعيد ، ورجاله ثقات.

فيما يسوءهم ؛ فيحزنون لذلك ، ويقولون: ما نراهم إلا وقد بلغهم من إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة؛ فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك عليهم وأثر شكوا إلى رسول الله ﷺ؛ فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم؛ فأنزل الله — تعالى —: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ﴾^(١) .“

● ثم يبين سبب نزول قوله — تعالى —: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ ﴾^(٢) فيقول^(٣): ” وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويقولون: السام عليك. والسام: الموت ، وهم يوهمون أنهم يقولون: السلام عليك ، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول: وعليكم ؛ فقالت السيدة عائشة. السام عليكم ولعنة الله و غضبه عليكم، فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا عائشة ، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ؛ فقالت: أو لم تسمع ما قالوا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (أولم تسمعي ما قلت، رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم في) ^(٤) وقال النبي ﷺ عند ذلك: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليك ما قلت)^(٥) فأنزل الله — تعالى —: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ .“

1 - ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣٣٨ .

2 - سورة المجادلة : جزء من آية ٨ .

3 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص٣٤٢ .

4 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : الأدب ، باب : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متعشاً ؛ ينظر: فتح البارى ج ١٦ ص ٣٢٩ ، ، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب: السلام ، باب : النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ج٤ ص ٨ ، ٩ ح ٢١٦٥ .

5 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب :التفسير ، باب : ومن سورة المجادلة ج٥ ص ٢٤٤ ح ٣٣٠١ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الأدب ، باب : رد السلام على أهل الذمة ج ٣ ص ٣٠٦ ح ٣٦٩٧ ، وأخرجه ابن أبى شيبه بنحوه فى المصنف - كتاب : الأدب ، باب : رد السلام على أهل =

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (١) جمع الخطيب الشريبي ما استطاع من أسباب النزول ؛ فقال (٢): " واختلف فى سبب نزول سورة "قل أعوذ برب الفلق" فقال ابن عباس وعائشة -رضى الله عنهما - : كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ فدنت إليه اليهود فلم يزلوا به؛ حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه وأعطاهها اليهود، فسحروه فيها، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود؛ فنزلت هذه "قل أعوذ برب الفلق" فيه (٣).

وعن عائشة -رضى الله عنها- : (أن النبي ﷺ طب؛ أى: سحر؛ حتى كأنه يخيل إليه أنه صنع شيئاً وما صنعه وأنه دعا ربه، ثم قال: أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه، فقالت عائشة -رضى الله عنها- : وما ذاك: يا رسول الله ؟ قال: جاءنى رجلان فجلس أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل ؟ فقال الآخر: مطبوب، قال: من طبه ؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا ؟ قال: فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال : فى ذروان، وذروان بئر بنى زريق، قالت عائشة -رضى الله عنها-: فأناها الرسول ﷺ ثم رجع إلى عائشة؛ فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين، قالت :

=الذمة؛ ينظر: الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار للإمام الحافظ أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبه الكوفى العيسى المتوفى ٢٣٥ هـ ضبطه وصححه ورقمه محمد عبد السلام شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م الثانية ج-٥ ص ٢٥١ ح ٢٥٧٥١ .

١ - سورة الفلق: آية ١ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج-٨ ص ٤٦٩ .

٣ - ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣٨١ .

-٢٠٣-

فقلت: يا رسول الله، هل أخرجته؟ قال أما أنا فقد شفاني الله، وكرهت أن أثير على الناس منه شراً^(١).

وعن زيد بن أرقم قال: (سحر النبي ﷺ رجلٌ من اليهود؛ فاشتكى ذلك أياماً وأتاه جبريل - عليه السلام - فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً في بئر كذا وكذا. فأرسل رسول الله ﷺ علياً فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقل، قال: فما ذكر ذلك اليهودى ولا أرى وجهه قط)^(٢) وروى: (أنه كان تحت صخرة في البئر، فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فإذا فيها مشاطة من رأسه ﷺ وأسنان مشطه)^(٣). وعن مقاتل والكلبي^(٤): كان ذلك في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة، وقيل^(٥): كانت مغروزة بالإبرة؛ فأنزل الله

1 - أخرجه البخارى فى صحيحه - ، كتاب: بدء الخلق ، باب: صفة إبليس وجنوده ، وكتاب: الطب، باب: السحر وكتاب: الأدب، باب: قوله - تعالى - (إن الله يأمر بالعدل والإحسان .. الآية ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٩ ص ٥٢٥ ح ٣٢٦٨، جـ ١٦ ص ٤٥ - ٥٣ ح ٥٧٦٣، جـ ١٦ ص ٣٦٢، ٣٦٣ ح ٦٠٦٣، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب: السلام ، باب: السحر جـ ٤ ص ٢١، ٢٢، ح ٢١٨٩.

2 - أخرجه النسائى فى سننه - كتاب: تحريم الدم ، باب: سحرة أهل الكتاب جـ ٤ ص ٣١ ح ٤٠٩١، وقال محققوه: صحيح ، وأخرجه أحمد فى مسنده ، مسند زيد بن أبى أرقم جـ ١٤ ص ٤٢٥ - ٤٢٧ ح ١٩١٦٣ ، ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد - كتاب: الحدود ، باب: ما جاء فى الساحر جـ ٦ ص ٤٣٦ ح ١٠٦٩١، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح .

3 - ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣٨١ .

4 - أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ، باب الرقية بكتاب الله ؛ ينظر : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبى بكر بن الحسين البيهقى ٣٨٤ - ٤٥٨ هـ ، تحقيق : عبد العاطى قلجى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م جـ ٧ ص ٩٤ من رواية عائشة .

5 - ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣٨١ .

فأنزل الله هاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية؛ سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات، كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها؛ فقام ﷺ كأنما نشط من عقال. وروى: أنه لبث فيه ستة أشهر اشتد عليه بثلاث ليال فنزلت المعوذتان. وروى^(١): أنه كان يخيل له أنه يطأ زوجاته، وليس بواطئ؛ قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر.

وعن أبي سعيد الخدري: (أن جبريل - عليه السلام - أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم؛ قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، والله يشفيك باسم الله أرقيك)^(٢) .“

وهكذا نجد الشيخ الخطيب الشربيني عند شرحه لكثير من الآيات القرآنية يرصد ما يستطيع جمعه من أسباب النزول فينقلها لنا معزوة إلى قائلها دون ترجيح أحدها أو مناقشتها وتصحيحها.

٢- ذكر الأسباب دون عزوها إلى قائلها:

المنتبغ لتفسير الخطيب الشربيني يجده يذكر أسباباً لنزول الآية القرآنية دون عزو هذه الأقوال إلى قائلها؛ ومن أمثلة ذلك:

● ما كتبه عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾^(٣) إذ يقول في سبب نزولها^(٤):

¹ -أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : الطب ، باب : هل يستخرج السحر ؟ جزء من رواية عن عائشة ؛ ينظر فتح البارى جـ١٦ ص ٥٦ ح ٥٧٦٥ ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣٨١ .

² -أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى جـ٤ ص ٢٠ ح ٢١٨٦ .

³ -سورة الأنفال : جزء من آية .

⁴ - ينظر : السراج المنير جـ٢ ص ٣٣٣ .

نزلت في الْمُطْعَمِينَ يوم بدر ، وكانوا إثني عشر رجلاً منهم : أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وكلهم من قريش ، وكان يطعم كل واحد منهم أيام بدر عشر جزائر ، أو في أبي سفيان ؛ استأجر يوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش أي : اتخذ جيشاً، وأنفق عليهم أربعين أوقية ، والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً ، أو في أصحاب العير ؛ فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم : أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعنا ندرك ثأرنا ففعلوا^(١).

● وحينما تناول بالتفسير قوله - تعالى: ﴿ وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) قال الخطيب الشربيني^(٣): " نزلت هذه الآية في سعد ابن أبي وقاص الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس: "روى أنها لما سمعت بإسلامه قالت له: يا سعد بلغني أنك قد صبأت؛ فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح - وهو بكسر الضاد المعجمة وبحاء مهملة - : الشمس والريح، وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب أولادها إليها فأبي سعد وليثت ثلاثة أيام لا تنتقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب فلم يطعها سعد ، بل قال: والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد ﷺ ثم جاء سعد إلى النبي ﷺ وشكا إليه

¹ - ذكر الواحدى الأسباب الثلاثة في أسباب النزول ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، نسب الأول لمقاتل والكلبي، والثاني لسعيد بن جبير ، والثالث لمحمد بن اسحاق.

² - سورة العنكبوت: آية ٨.

³ - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ١٨٤ ، ص ١٨٥.

فنزلت هذه الآية، وهى التى فى لقمان والتى فى الأحقاف ؛ فأمره ﷺ أن يداريها ويترضاها بالإحسان^(١) .“

● وفى تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِيَ بَنَاتَهُ ﴾^(٢) قال الخطيب الشربيني^(٣): ” وقيل نزلت فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة خال الأحنس بن شريق الثقفى ” وذلك أن عدياً أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد حدثنى عن القيامة متى تقوم؟ وكيف أمرها وحالتها؟ فأخبره النبى ﷺ بذلك ؛ فقال^(٤): لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام بعد تفرقتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب ، وبعدما نسفتها الرياح وطيرتها فى أباعد الأرض؟! ولهذا كان النبى ﷺ يقول: اللهم اكفنى جارىِ السوء عدى بن ربيعة و الأحنس بن شريق“. وقيل نزلت فى عدو الله أبى جهل ؛ أنكر البعث بعد الموت وذكر العظام .“

وهكذا فى مواضع عديدة يستفيض الخطيب الشربيني فى ذكر أسباب النزول دون أن يعزو ما يذكره من آراء إلى قائلها أو يناقشها أو يصححها أو يرجح أحدها.

٣- ذكره لمن أخرج أسباب النزول من أصحاب كتب السنة:

وقد يذكر الخطيب الشربيني أحياناً أسباب النزول معزوة إلى من خرّجها من أصحاب كتب السنة؛ ومثال ذلك:

1 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فى فضل سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - بلفظ آخر فى حديث طويل فيه أربع قصص لأربع آيات نزلت فى سعد بن أبى وقاص ، ج٤ ص ١٨٢، ١٨٣، ح ١٧٤٨ .

2 - سورة القيامة: آية ٣ .

3 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٦٧، ٦٨ .

4 - ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣٦٤ .

● قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّكَ لَأَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(١) عند ذكره لسبب نزول الآية الكريمة ؛ قال الخطيب الشربيني^(٢) :
” وفي مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ : (أمره بالتوحيد ؛ فقال : لولا أن
تعيرني قريش ؛ تقول : إنما حملة على ذلك الجزع - لأقررت بها عينك ؛
فأنزل الله - تعالى الآية) (٣) “

● وقوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾^(٤) عند ذكره
لأسباب النزول ؛ قال^(٥) : ” وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : ”مطر
الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : أصبح من الناس شاكر ومنهم
كافر ؛ فقال بعضهم : هذه رحمة الله - تعالى - وقال بعضهم : لقد صدق نوء
كذا ؛ قال : فنزلت هذه الآية ﴿ فَلَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَتَجْعَلُونَ
رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾^(٦) “ .

1 - سورة القصص: آية ٥٦ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص١٥٧ ، ص١٥٨ .

3 - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على صحة إسلام من
حضره الموت ما لم يشرع في النزاع وهو الغرغرة ، ونسخ جواز الاستغفار للمشركين ،
والدليل على أن من مات على الشرك فهو في أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء
من الوسائل ج١ ص٦٢ ح (٢٥) .

4 - سورة الواقعة: آية ٨٢ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص٣٠٠ .

6 - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب : بيان كفر من قال : مطرنا
بالنوء ج١ ص٩١ ح ٧٣ .

● وقوله - تعالى -: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) ففي ذكر سبب نزولها قال^(٢): " روى البخارى عن زيد ابن أرقم قال: كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن أبى بن سلول يقول: لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى يفضوا، وقال: لئن رجعت إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل؛ فذكرت ذلك لعمري؛ فذكره عمى لرسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبى و أصحابه فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبنى؛ فأصابنى همّ لم يصبنى مثله؛ فجلست فى بيتى، فأنزل الله - عز و جلّ - "إذا جاءك المنافقون" إلى قوله تعالى "هم الذين يقولون لا تتفقوا على من عند رسول الله" و قوله (ليخرجن الأعرز منها الأذل) فأرسل إلى رسول الله ﷺ ثم قال: (إن الله قد صدقك)^(٣).

و روى الترمذى عن زيد بن أرقم قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ، و كان معنا أناس من الأعراب نبتدر الماء ، و كان الأعراب يسبقونا فيسبق الأعرابي أصحابه فيملاً الحوض، و يجعل حوله حجارة و يجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه، فانترع حجراً ففاض الماء؛ فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصارى فشجّه، فأتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين و أخبره و كان من أصحابه ؛ فغضب عبد الله بن أبى، ثم قال: لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى يفضوا من حوله، يعنى: الأعراب و كانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله: إذا انفضوا من عند محمد فانتوا محمد بالطعام ، فليأكل هو و أنا ردف عمى فسمعت عبد الله بن أبى

1 - سورة المنافقون: آية ٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٤٤٠، ٤٣٩ .

3 - أخرجه البخارى - كتاب : التفسير، باب : قوله: سورة المنافقين ج ١٤ ص ٣٧-٤٠ ح ٤٩٠٠ ، وأخرجه مسلم بنحوه فى كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم ج٤ ص ٤٤٦ ح ٢٧٧٢ .

فأخبرت عمى فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف و جحد، قال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله و كذلك المنافقون، قال: فوقع على من جراتهم ما لم يقع على أحد، قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر قد خفقت رأسى من الهم، إذا أتانى رسول الله ﷺ فعرك أذنى، و ضحك فى و جهى فكان ما يسرنى أن لى بها الخلد فى الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقنى فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال لى شيئاً إلا أنه عرك فى أذنى و ضحك فى وجهى، فقال: أبشر، ثم لحقنى عمر؛ فقلت له مثل قولى لأبى بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين^(١) قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح .

٤- تصحيح سبب النزول:

و أحياناً يذكر الخطيب الشربينى سبب النزول ثم يصححه.

● ومثال ذلك ما كتبه فى تفسيره لقوله - تعالى - : **وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**^(٢) قال الخطيب الشربينى^(٣): " قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن النبى ﷺ قال ذات يوم: (ليت شعرى ما فعل أبو أبى)^(٤) فنزلت هذه الآية؛ فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة و الاهتمام بأعداء الله - تعالى - لكن الخبر ضعيف و المختار أنها نزلت فى كفار أهل الكتاب " .

¹ - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المنافقين جـ ٥ ص ٢٥١ ح ٣٣١٢ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب : التفسير ، باب: تفسير سورة المنافقين جـ ٢ ص ٥٣١ ح ٣٨١٢، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

² - سورة البقرة: من آية ١١٩ .

³ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ١٤١، ص ١٤٢ .

⁴ - ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣٣ .

● و أيضاً يصحح سبب نزول قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(١) إذ يقول^(٢): " واختلف في سبب نزول قوله - تعالى - : "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً" فقال البيضاوي^(٣): نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة و الملابس ؛ أي: لا على وجه التورع كما فعله الصوفية ؛ وما قاله قول مرجوح ؛ كما قاله شيخنا القاضي زكريا، والمشهور أنه نزلت فيهم آية المائدة وهي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة ٨٧] وأما هذه الآية - يقصد آية البقرة - فإنها نزلت في الكفار الذين حرّموا البحائر و السوائب و الوصائل و نحوها و من ثم عبر هنا - أي في آية البقرة - بيا أيها الناس و ثم - يقصد في آية المائدة - بيا أيها الذين آمنوا^(٤).

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا مَآئِمَةً مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٥) يذكر سبب نزول هذه الآية فيقول^(٦): " روى أنه - عليه الصلاة و السلام - بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة، ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها (عناق) وكانت خليلته في الجاهلية، فأنته و قالت: يا مرثد ألا تخلو ، فقال لها: نعم ،

1 - سورة البقرة: آية ١٦٨ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص١٧٦ بتصرف.

3 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي ج٢ ص٤١٣ .

4 - أورده الواحدى في أسباب النزول ص٣٤-٤٤ ح١٦٨ ، من طريق الكلبي .

5 - سورة البقرة: آية ٢٢١ .

6 - ينظر : السراج المنير ج١ ص٢٢٦ .

ولكن أستأمر رسول الله ﷺ، فلما رجع إليه ؛ قال: يا رسول الله أيجلّ لى أن أتزوج بها ؟ فأُنزلت هذه الآية^(١).

ثم يشير الخطيب الشربيني إلى أن ما ذكره هو الصحيح فى سبب نزول الآية ، ويرد ما رواه أبو داود و غيره ؛ فيقول^(٢): ” هذا ما أورده الواحدى^(٣) وغيره، ولكن الذى رواه أبو داود وغيره أنه سبب فى نزول آية النور: ﴿الزَّانِي لَأَنكِحَ إِذَا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] الآية، والآية إن كانت شاملة للكتابات ، لكنها مخصوصة بغيرهن بقوله : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة ٤٥] وقد تزوج عثمان بنصرانية ؛ فأسلمت ، وتزوج حذيفة بيهودية ، وطلحة بن عبيد الله بنصرانية “.

¹ -أخرجه أبو داود فى سننه - كتاب : النكاح ، باب : قوله تعالى : الزانى لاينكح إلا زانية جـ٢ ص ٨٧٦ ح ٢٠٥١ ، وأخرجه الترمذى - كتاب : تفسير القرآن ،باب:ومن سورة النور جـ٥ ص ١٧٣،١٧٢ ح ٣١٧٧ وقال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب: النكاح جـ٢ ص ١٨٠ ح ٢٧٠١ ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

² - ينظر: السراج المنير جـ١ ص ٢٢٦ .

³ - أسباب النزول للواحدى ص ٥٩ ، ٦٠ .

موقفه من الأحكام الفقهية

يتضمن القرآن الكريم الأحكام الفقهية بمصالح العباد فى دنياهم وأخراهم، وكان المسلمون على عهد رسول الله ﷺ يرجعون إليه ﷺ لفهم ما أشكل عليهم منها، ولما توفى ﷺ جَدَّت للصحابه حوادث تتطلب أحكاماً شرعية، فكان أول ما يرجعون إليه لاستنباط هذه الأحكام هو القرآن الكريم، ثم إلى سنة رسول الله ﷺ ، فإن لم يجدوا فيها حكماً اجتهدوا وأعملوا رأيهم فى ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة وما سمعوه ونقلوه عن النبى ﷺ، ونَهَج التابعون نَهَج الصحابة ؛ فجمعوا أقوالهم وأضافوا إليها استنتاجاتهم التى عالجوا بها ما حدث فى عصرهم من قضايا وأحداث، وظل الأمر على هذا إلى أن ظهر الأئمة الأربعة وغيرهم.

” وقد عُنَى المفسرون بالأحكام الفقهية التى تضمنتها الآيات القرآنية ومنهم من أفرد لها مصنفات ذكر فيها الأحكام الفقهية فقط مع بيان أدلتها، وترجيح أدلة مذهبه والانتصار له ، كما فعل أبو بكر الرازى^(١) من الحنفية المعروف بالجصاص فى كتابه (أحكام القرآن)، ومن الشافعية أبو الحسن الطبرى^(٢) المعروف بالكيا الهراسى فى كتابه (أحكام القرآن)، وأبو بكر بن

¹ - هو أحمد بن على الرازى أبو بكر الجصاص ، فاضل من أهل الرىّ سكن بغداد ومات فيها انتهت إليه رئاسة الحنفية وخطب فى أن يلى القضاء فافتتح وألف كتاب أحكام القرآن وكتاباً فى أصول الفقه ، توفى عام ٣٧٠ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج١ص ١٧١ .

² - هو على بن محمد بن على أبو الحسن الطبرى ، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسى ، فقيه شافعى ، مفسر ولد فى طبرستان ، وسكن بغداد ، من كتبه : أحكام القرآن، توفى عام ٥٠٤ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج٤ ص ٣٢٩ .

العربي^(١) من علماء المالكية في كتاب (أحكام القرآن)،^(٢).
وبعض المفسرين يعرضون أقوال الفقهاء أثناء تفسيرهم لآيات الأحكام
ويبدعون بأقوال السلف التي تتناسب مع أقوال إمام مذهبهم ، وينتصرون لهذا
المذهب وبطيلون بذكر أدلته، والرد على المذاهب الأخرى وإبطال أدلتهم،
كما فعل الألوسي^(٣) في تفسيره (روح المعاني) والفخر الرازي في تفسيره
(مفاتيح الغيب) والقرطبي^(٤) في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) وغيرهم.

والخطيب الشربيني من المفسرين الذين اهتموا بالأحكام الفقهية في
تفسيرهم للقرآن الكريم لكنه لا يتوسع في عرضها ولا يستفيض في عرض
ومناقشة الاختلافات بين المذاهب الفقهية إلا قليلا، وإنما يتناول المسائل
الفقهية بما يعين على فهم المراد من الآية الكريمة ؛ فعندما تتبعت آيات
الأحكام في تفسيره وجدته يعرض الآراء الفقهية أحيانا دون عزوها إلى
قائلها، وأحيانا يناقش الآراء ويرجح أحدها ، وكثيرا ما يقتصر على الرأي

1 - هو محمد بن عبد الله بن محمد الأسيبي المالكي ، أبو بكر بن العربي ، قاضٍ ، من
حفاظ الحديث، برع في الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، من مصنفاته أحكام=
القرآن والناسخ والمنسوخ والإنصاف في مسائل الخلاف ، توفي عام ٥٤٣هـ ؛ ينظر:
الأعلام للزركلي ج٦ ص ٢٣٠.

2 - مستقى من مقدمة أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي
٤٦٨ - ٥٤٣هـ - ط . دار الفكر بيروت لبنان ، الجزء الأول ص/ز، ح بتصرف.

3 - هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، شهاب الدين أبو الثناء ، مفسر، محدث،
أديب ، من كتبه روح المعاني في التفسير ومقامات في التصوف والأخلاق ، توفي سنة
١٢٧ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج٧ ص ١٧٦ .

4 - هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله،
القرطبي من كبار المفسرين ، من أهم كتبه: الجامع لأحكام القرآن ويعرف بتفسير
القرطبي، توفي سنة ٦٧١ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج٥ ص ٣٢٢.

الذى يختاره، وغالبا ما يكون رأى أصحابه ؛ فهو يميل لمذهبه الشافعى^(١)،
وتتبلور رؤيته للأحكام الفقهية فى تفسيره على النحو التالى :

- ١- يميل لمذهبه الشافعى.
 - ٢- لا يتوسع فى عرض المذاهب الفقهية.
 - ٣- يعرض الأقوال ويناقشها.
 - ٤- يعرض الأقوال ويناقشها ويرجح أحدها.
- وفيما يلى أتناول هذه الاتجاهات بالأمثلة من تفسيره:

١- يميل لمذهبه الشافعى:

الخطيب الشريبنى شافعى المذهب ، يعتمد فى الفقه والأحكام على
المذهب الشافعى بصورة رئيسة ؛ فإذا أتى على الآيات التى تتناول أحكاما
اهتم بعرض رأى الشافعى ، وقد يقتصر عليه ، وقد يعرض أقوال أهل العلم
فى معناها ، وما يتعلق بها من قضايا فقهية ولكنه يقدم رأى الشافعى ،
وأحيانا يحقق الأقوال ويرجح ويقارن ، ولكنه فى اختياراته يميل غالبا
للمذهب الشافعى وينضح هذا من الأمثلة الآتية:

أ- القرء:

يقول الخطيب الشريبنى فى تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَالْمُطَلَّاتُ
يُتْرَبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾^{(٢)(٣)} : "تمضى من حين الطلاق ، جمع قرء
بفتح القاف وضمها ، وهو يطلق للحيض لقوله - عليه الصلاة والسلام -

1 - المذهب الشافعى هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة الكبرى فى العالم
الإسلامى، وسمى بالمذهب الشافعى نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعى رحمه
الله؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٢٥ .

2- سورة البقرة : جزء من آية ٢٢٨ .

3 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٣٢٢ .

كما رواه أبو داوود وغيره : (دعى الصلاة أيام أفرائك) ^(١) وللطهر
الفاصل بين حيضتين وهو المراد فى الآية ؛ لأنه الدال على براءة الرحم لا
الحيض كما قال العلماء“.

فالخطيب الشريبي هنا فسّر القرء فى الآية بالطهر كما هو مذهب
الإمامين مالك ^(٢) والشافعى ، لا بالحيض كما هو مذهب الإمامين أبى حنيفة
وأحمد“.

ب- الرشد:

يرى الخطيب الشريبي أن المراد بالرشد فى آية النساء صلاح العقل
والدين والأموال ، فيقول عند تفسيره قوله - تعالى - : ﴿ فَإِنْ آتَسْتُمْ ﴾ ^(٣)
أى: "أبصرتم،" منهم رشداً" وهو صلاح الدين والمال ؛ أما صلاح الدين فلا
يرتكب محرماً يسقط العدالة من كبيرة أو إصرار على صغيرة ويعتبر فى
رشد الكافر فى دينه ، وأما صلاح المال فلا يضيعه بإلقائه فى بحر أو
يصرفه فى محرّم أو باحتمال الغبن الفاحش فى المعاملة ونحوه، وليس
صرفه فى الخير بتبذير، ولا صرفه فى الثياب والأطعمة النفيسة وشراء
الجوارى والاستمتاع بهن ؛ لأن المال يتخذ لينتفع به" ^(٤).

1 - أخرجه مسلم فى كتاب : الحيض ، باب : المستحاضة وغسلها وصلاتها جزء من
حديث ٣٣٣ ج ١ ص ٢٧٢، ٢٧٣ بلفظ " فإذا أقيلت الحيضة فدعى الصلاة" ، وأبو
داود فى سننه - كتاب: الطهارة ،باب : من قال تغتسل من طهر إلى طهر ج -
ص ١٥٦ ح ٢٩٧ .

2 - هو الإمام مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى المدنى ، إمام دار الهجرة ، أحد
أئمة المذاهب المتبعة ، من تابعى التابعين توفى سنة ١٧٩ هـ ؛ ينظر: سير أعلام
النبلاء للحافظ الذهبى شمس الدين ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط. مؤسسة الرسالة -
بيروت السابعة ج ٦ ص ١٥٩ .

3 - سورة النساء: جزء من آية ٦ .

4 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٤١ .

فالخطيب هنا يميل أيضاً للشافعية في هذه المسألة، وهذا بخلاف قول الأحناف ؛ فالمقصود بالرشد عندهم العقل.

ج- حد الزنا:

يقول الخطيب الشربيني في تفسيره قوله - تعالى - : ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾^(١)(٢): "أى طريقاً إلى الخروج منها ، أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل الله لهن سبيلاً بجلد البكر مائةً وتغريبها عاماً ورجم المحصن ، وفى الحديث لما بين الحدّ قال : (خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً)^(٣) رواه مسلم".

وعلى هذا نجده يقتصر على مذهب الشافعيّ ؛ لأنه هو الذى زاد فى غير المحصن تغريب عام للحديث.

د- اشتراط الإيمان فى الرقبة:

" ويقول فى كفارة الظهار عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٤) (٥): أى فعلهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير "رقبة" مؤمنة فلا تجزئ كافرة، قال - تعالى - فى كفارة القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٦) وألحق بها غيرها قياساً عليها بجامع حرمة سببهما من القتل والظهار، أو حملاً للمطلق على المقيد كما فى حمل المطلق فى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا

1 - سورة النساء: جزء من آية ١٥.

2 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٤٩، ٤٥٠.

3 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب: الحدود ، باب: حد الزنا ج ٣ ص 172 ح ١٦٩٠.

4 - سورة المجادلة: جزء من آية ٣.

5 - ينظر: السراج المنير ج ٧ ص ٣٣٥.

6 - سورة النساء: جزء من آية ٩٢.

شَهِيدِينَ مِنْ رَجَالِكُمْ ﴿١﴾ عَلَى الْمُقِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (٢) .“

وهكذا يشترط فيها الإيمان قياساً على كفارة القتل على رأى الشافعى.

هـ- نصيب قرابة الرسول ﷺ فى الفىء:

كما يأخذ الخطيب الشربيني برأى الشافعى فى عدم إسقاط حق قرابة رسول الله ﷺ بوفاته ولو كانوا أغنياء ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ (٣) يقول (٤): ” ولذى القربى أى: منه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى عبد المطلب ؛ لاقتصاره فى القسّم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى عمهم نوفل وعبد شمس له ولقوله ﷺ: (أما بنو هاشم وبنو عبد المطلب فشيء واحد، وشبك بين أصابعه) (٥) فيعطون ولو أغنياء لأنه ﷺ أعطى العباس وكان غنياً .“

وهذا رأى الشافعى فى قسّم الفىء إذ يرى إعطاء قرابة النبى ﷺ بعد وفاته ولو كانوا أغنياء.

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢ .

2 - سورة الطلاق: جزء من آية ٢ .

3 - سورة الحشر: جزء من آية ٧ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص٣٦٧ .

5 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : فرض الخمس ، باب : ومن الدليل على أن الخمس للإمام وأنه يعطى بعض قرابته دون بعض ، ما قسّم النبى ﷺ لبنى المطلب وبنى هاشم من خمس خيبر ؛ ينظر : فتح البارى ج٩ ص٣٢٩ - ٣٣٢ ح ٣١٤٠ بلفظ آخر .

٢- لا يتوسع في عرضه للمذاهب الفقهية:

المتتبع لآيات الأحكام في تفسير الخطيب الشربيني يجده لا يتوسع في عرض المذاهب الفقهية ، ولا يكثر من ذكر الفروع ، فكثيراً ما يتناول الحكم الفقهي بما يعين على فهم الآية فقط ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾^(١) يقول^(٢): " أى ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهذا على عمومه بإجماع .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾^(٣)

يقول^(٤): وبيّنت السنة^(٥) أن دية الخطأ مائة، من الإبل عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢١ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٢٧ .

3 - سورة النساء: جزء من آية ٩٢ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥٠٦ .

5 - أخرج الترمذى فى سننه - كتاب : الديات ، باب : ما جاء فى الدية كم هى من الإبل ج٣ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ح ١٣٨٦ ، عن ابن مسعود ، قال : قضى رسول الله ﷺ فى دية الخطأ عشريّن بنت مخاض ، وعشريّن بنى مخاض ذكوراً ، وعشريّن بنت لبون ، وعشريّن جذعة ، وعشريّن حقة " وقال أبو عيسى : حديث ابن مسعود لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد روى عن عبد الله موقوفاً ، وأخرجه أبو داود فى سننه - كتاب الديات ، باب : الدية كم هى ؟ ج٤ ص ١٩٤٨ ح ٥٤٥٤ ، وأخرج البخارى فى صحيحه - كتاب : الديات ، باب : جنين المرأة - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : اقتتلنت امرأتان من هذيل رمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلها وما فى بطنها ، فاختصموا إلى النبى ﷺ ففضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة ، وقضى أن دية المرأة على عاقلتها ؛ ينظر : فتح البارى ج١٨ ص ٣٥٣ ح ٦٩١٠ .

جذعة، وأن عاقلة القاتل تتحملها عنه وهم عصبته لا أصله وفرعه موزعة عليهم على ثلاث سنين على الفتى منهم نصف دينار والمتوسط ربع دينار كل سنة فإن لم يفوا فبیت المال“.

● وعندما بين كفارة اليمين في قوله - تعالى - : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ﴾^(١) يقول^(٢): "أى: لكل مسكين مدٌّ عندنا ونصف صاع عند أبي حنيفة^(٣) رحمه الله“.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾^(٤) يقول^(٥): "ويؤخذ من ذلك أن إجابته ﷺ بالقول: لا تقطع الصلاة وهو كذلك، بل ولا بالفعل الكثير كما قال بعض أصحابنا وهو ظاهر الحديث^(٦) أيضاً“.

1 - سورة المائدة: جزء من آية ٨٩.

2 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٢٥.

3 - هو النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي ولد سنة ٨٠ هـ، كان إماماً في الفقه والقياس، توفي سنة ١٥٠ هـ؛ ينظر: شذرات الذهب ج١ ص ٢٢٧ .

4 - سورة الأنفال: جزء من آية ٢٤.

5 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٢٥.

6 - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب: التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلى فقال: ألم يقل الله - استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم - ثم قال لى: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن. قبل أن تخرج من المسجد. ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني. والقرآن الذي أوتيته " وفي كتاب: التفسير أيضاً، باب: "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون" =

فهو هنا يقتصر على رأى أصحابه الشافعية.

● وكذلك عند شرحه لحد الزنا فى قوله - تعالى - : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾^(١) يقول^(٢): " أى ضربة ؛ يقال: جلده إذا ضرب جلدة ، ويزاد على ذلك تغريب عام ، والرقيق على النصف مما ذكر ، ولا رجم عليه لأنه لا ينتصف " .
وهكذا كثيراً ما نجد الخطيب الشربيني يذكر الحكم الشرعى باختصار ؛ فلا ينسب الأقوال ، ولا يفصل الآراء.

٣- يعرض الأقوال ولا يناقشها:

أحياناً يعرض الخطيب الشربيني الآيات دون أن يناقشها أو يرجح أحدها، ويكتفى فقط بسرد الأقوال المتعلقة بتلك المسألة الفقهية ، ومن أمثلة ذلك:

● عندما فسّر قوله - تعالى - : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾^(٣) يقول^(٤): " فمن فرض " على نفسه "فيهن الحج" بالإحرام به عندنا أو بالتلبية أو بسوق الهدى عند أبى حنيفة ، وفيه دليل على أن من أحرم بالحج فى غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج ، وهو قول ابن عباس وجماعة من

=الرواية نفسها بتقديم وتأخير ، ينظر : فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٥٥ - ٤٥٩ ح ٤٤٧٤ ، جـ ١٣ ص ١١٤ ح ٤٦٤٧ .

1 - سورة النور: جزء من آية ٢ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٣٦٥ .

3 - سورة البقرة: جزء من آية ١٩٧ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٠٦، ٢٠٥ .

الصحابة ، وإليه ذهب الأوزاعي^(١) والشافعي ، وقال : ينعقد إحرامه عُمرَةً ؛ لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها ، فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه تعالى علق الصلاة بالمواقيت ، ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لم ينعقد إحرامه عن الفرض ، وإنما انعقد عمرة لأن الإحرام شديد التعلق ، وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة ، أما العمرة فجميع السنّة وقت لها إلا أن يكون عليه بقية من أعمال الحج كالرمي .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) يعرض الآراء في مسألة وقوع الطلاق بعد انتهاء مدة الإيلاء^(٣) فيقول^(٤) : " وإن عزموا الطلاق " أى صمّموا عليه بأن لم يفئوا فليوقوه ، فإن الله سميع لقولهم "عليم" بعزمهم أى: ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفينة أو الطلاق ، ففيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضيّ المدة ما لم يطلقها زوجها؛ لأنه شرط العزم وقال: فإن الله سميع فدل على أنه يقتضى مسموعاً، والمقول هو الذى يُسمع ، وقال بعض العلماء: إذا مضت أربعة أشهر يقع عليه طلاقه بائنة ، وهو قول ابن عباس وأصحاب الرأى^(٥) ، وقال

¹ - هو عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأوزاعي الدمشقى ، ولد سنة ٨٨ هـ ببغداد وهو من فقهاء المحدثين ، أقام بدمشق ثم تحول إلى بيروت فسكنها مرابطاً إلى أن توفى بها ١٥٧ هـ ؛ ينظر : معجم المؤلفين ج ٥ ص ١٦٣ .

² - سورة البقرة: آية ٢٢٧ .

³ - هو اليمين على ترك وطء المنكوحه مدة ؛ مثل والله لا أجامعك أربعة أشهر ؛ ينظر : التعريفات للجرجاني ص ٥٩ ، ٦٠ .

⁴ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٢٣٢ .

⁵ - ذكره الطبرى فى تفسيره للآية نفسها عن ابن عباس وعلى وابن مسعود وقتادة - رضى الله عنهم ج ٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

سعيد بن المسيب والزهرى^(١): يقع عليه طلقة واحدة رجعية ، ولو حلف ألا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مؤلّياً ، بل حالفاً ، إذا وطئها قبل مضي تلك المدة وجبت عليه كفارة يمين إذا كان الحلف بالله ، ولا يختص الإيلاء بالحلف بالله تعالى ، فلو قال لزوجته: إن وطئتك فعبدى حر ، أو ضررتك طالق ، أو لله على عتق رقبة أو صوم أو صلاة ، فهو مولٍ ؛ لأن المولى من يلزمه أمر يمتنع بسببه من الوطء .“

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾^(٢) يعرض الآراء الفقهية فى مسألة الشهادة فيقول^(٣): "شاهدين" أى شاهدين "من رجالكم" أى البالغين الأحرار والمسلمين دون الصبيان والعبيد والكفار ، وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض "فإن لم يكونا" أى: الشاهدان "رجلين فرجل" أى : فليشهدوا و المستشهد رجل "وامرأتان".

وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال فى الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين، واختلفوا فى غير الأموال ؛ فذهب جماعة إلى أنه يجوز شهادتان مع الرجال فى غير العقوبات وهو قول سفيان الثورى^(٤) وأصحاب الرأى ، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين، وذهب الشافعى إلى أن ما يطلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع

1 - المرجع السابق ص ٢٦٠ .

2 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢ .

3 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٩٦، ٢٩٥ .

4 - هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بنى عبد مناه أمير المؤمنين فى الحديث ، كان رأساً فى التقوى طلبه المنصور ثم المهدي ليلى الحكم فتوارى منهما سنين ، مات بالبصرة مستخفياً ، ولد سنة ٩٧ هـ وتوفى سنة ١٦١ هـ ، من مصنفاته: الجامع الكبير والجامع الصغير فى الحديث ؛ ينظر الأعلام للزركلى ج٣ ص ١٠٤ .

والثيوبه والبكاره ونحوها تثبت بشهادة رجل وامرأتين وشهادة أربع نسوة، وانفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة فى العقوبات“.

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾^(١) فيعرض آراء العلماء فيها إذا كان أحد الزوجين رقيقاً فيقول^(٢): ” تنبيه: اختلف العلماء فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً، فذهب الأكثر ومنهم الشافعى - رضى الله تعالى عنه - إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج ؛ فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث طلاقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلا طلقتين. وذهب الأقل ومنهم أبو حنيفة - رضى الله تعالى عنه - إلى أن الاعتبار بالمرأة فى عدد الطلاق كالعدة، فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلاقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا طلقتين“.

٤- يعرض الآراء ويناقشها ويرجح أحدها:

نادراً ما يناقش الخطيب الشربينى فى تفسيره الآراء المتعلقة بالمسائل الفقهية ويختار أحدها، ومن هذه المواضع النادرة ما يأتى:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾^(٣) يذكر خلاف الشافعى وأبى حنيفة فى بلوغ الهدى محله ، ويرد على ما ذهب إليه أبو حنيفة من قول الشافعى الذى اختاره فيقول^(٤): ” ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله“ أى: لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم ”يبلغ محله“: أى مكانه الذى يجب أن يُذبح فيه،

1 - سورة البقرة : جزء من آية ٢٢٩ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٢٣٤.

3 - سورة البقرة : جزء من آية ١٩٦ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٢٠٤.

وحمل الأولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلاً كان أو حرماً، لكن يندب إرساله إلى الحرم خروجاً من خلاف أبي حنيفة. واقتصره تعالى على الهدى دليل عدم القضاء كما قاله الشافعي، وذهب أبو حنيفة إلى وجوب القضاء، ولا بد من نية التحلل عند الذبح، أو الحلق أو التقصير بعده مع نية التحلل، وبذلك يحصل التحلل . والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان“.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (١) يرُدُّ على أهل الظاهر القائلين بأنه يجب على المسافر أن يفطر كما يجب عليه قصر الصلاة في السفر ويصوم عدة من أيام أُخَرَ، فيقول الخطيب الشربيني: (٢) ”واختلفوا هل الفطر في السفر أفضل أو الصوم؟ والأصح أنه إن شق عليه الصوم فالفطر أفضل و إلا فالصوم. وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين أنهم قالوا: لا يجوز الصوم في السفر، ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقول النبي ﷺ: (ليس من البرِّ الصيام في السفر) (٣) وأجاب الأول عن الحديث بأنه محمول على مَنْ يشق عليه الصوم فقول جابر بن عبد الله - رضى الله - تعالى - عنه - أن

1 - سورة البقرة: جزء من آية ١٨٥.

2 - ينظر السراج المنير: ج١ ص ١٩٠.

3 - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب : الصوم ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن ظلل عليه واشتد الحر "ليس من البر الصوم في السفر" ؛ ينظر فتح البارى ج٦ ص ٣٣١ - ٣٣٦ ح ١٩٤٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الصيام ، باب : جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم ولمن يشق عليه أن يفطر ج٢ ص ٢١٧ ح ١١١٥.

رسول الله ﷺ كان في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال: ما هذا؟ قالوا : هذا صائم فقال ﷺ: (ليس من البرّ الصيام في السفر) ، والدليل على جواز الصوم في السفر قول أبي سعيد - رضى الله - تعالى - عنه - : " كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنّا الصائم ومنّا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم" (١).

● ومن المواضع التي يناقش المسألة الفقهية فيها أيضا ويدل على الرأي الراجح ما قاله عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ (٢) حيث يتناول مسألة الخلع (٣) فيقول بعد انتهائه من تفسير الآية (٤): " تنبيه: ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق، ولا بجميع ما ساق الزوج إليها، فضلا عن الزائد، ويؤيد ذلك قوله ﷺ كما رواه البيهقي: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس - أى: ضرر - فحرام عليها رائحة الجنة) (٥) وما روى أنه ﷺ قال لجميلة: (أتردين

١ - أخرجه الإمام البخارى في صحيحه - كتاب : الصيام ، باب : لم يعب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم بعضاً في الصوم و الإفطار ؛ ينظر : فتح البارى ج٦ ص٣٣٧ ح ١٩٤٧، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الصوم ، باب : جواز الصوم و الفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان فى سفره مرحلتان فأكثر وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم ولمن يشق عليه أن يفطر ج٢ ص٢١٨ ح ١١١٦ .

٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٩.

٣ - هو إزالة ملك النكاح بأخذ المال ، ينظر التعريفات للجرانى ص ١٣٥ .

٤ - ينظر السراج المنير: ج١ ص٢٣٦.

٥ - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : الطلاق واللعان، باب: ما جاء فى المختلعات ج٣ ص ٣٢٠ ح ١١٨٧ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود فى سننه - كتاب : الطلاق ، باب: فى الخلع ج٢ ص٢٧٥،٢٧٦ ح ٢٢٢٦ ، وأخرجه

عليه حديقته؟ فقالت: أردّها وأزيد عليها، فقال عليه الصلاة والسلام: أما الزائد فلا^(١) فالجمهور استكروها الخلع، ولكن نفذوه فإن المنع عن العقد لا يدل على فسادِه وإنه يصح بلفظ المفاداة فإنه سماه افتداءً.“

ابن ماجه فى سننه - كتاب: الطلاق ، باب : كراهية الخلع للمرأة - ج ١ ص ٦٦٢ ح ٢٠٥٥ ، وأخرجه الدارمى فى سننه - كتاب : الطلاق ، باب : النهى عن أن تسأل المرأة زوجها طلاقها - ج ٢ ص ٨ ح ٢٢٧٠ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب: الطلاق - ج ٢ ص ٢١٨ ح ٢٨٠٩ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

^١ - أخرجه البخارى فى - كتاب : الطلاق ، باب : الخلع وكيف الطلاق فيه ح ٥٢٧٣ ينظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١٥ ص ٣٨.

موقفه من النسخ

تعريف النسخ:

النسخ في اللغة:

” النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه . وفى التنزيل: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ (١) والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة.

والنسخ : نقل الشيء من الشيء وهو غيره.

والنسخ : نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو .

ونسخ الشيء بالشيء ينسخه وانتسخه: أزاله به وأداله، والشيء ينسخ

الشيء نسخاً ؛ أى : يزيله ويكون مكانه.

والنسخ أن تزيل أمراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره “ (٢)

النسخ فى الاصطلاح:

” رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى.

ومعنى رفع الحكم الشرعى: قطع تعلقه بأفعال المكلفين إما على سبيل

الطلب أو الكف أو التخيير، وهذا هو الحكم التكليفي . و”رفع جنس من

التعريف: خرج عنه ما ليس برفع؛ كالتخصيص” (٣) فإنه لا يرفع الحكم، بل

يقصره على بعض أفراده.

1 - سورة البقرة: جزء من آية ١٠٦ .

2 - لسان العرب لابن منظور ج٣ ص ٦١ .

3 - التخصيص: هو قصر العام على بعض منه بدليل مستقل مقترن به، واحتراز

”بالمستقل“ عن الاستثناء والشرط والغاية والصفة فإنها وإن لحقت العام لايسمى

مخصوصاً . ويقوله: ”مقترن“ عن النسخ ؛ نحو: خالق كل = شيء ؛ إذ يعلم ضرورة

أن الله - تعالى - مخصوص منه ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٧٥، ٧٦ .

والحكم الشرعى: قيد أول خرج به ابتداءً إيجاب العبادات فى الشرع ، فإنه يرفع العقل ببراءة الذمة ؛ وذلك كإيجاب الصلاة؛ فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها ، ومع ذلك لا يقال نسخ.

وبدليل شرعى : قيد ثان ، خرج به رفع حكم شرعى بدليل عقلى؛ وذلك سقوط التكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفاته “ (1).

أهمية النسخ:

من رحمة الله – تعالى – بالأمة الإسلامية أن يتدرج بها فيما يشرع لها من أحكام حتى يصل بالناس إلى الهداية والرخاء شيئاً فشيئاً ، فيتدرج بهم إلى الكمال وفقاً لما يجد من أحداث ، فتتنزل الأحكام وفق اختلاف الزمان والمكان والأحوال ، فإذا شرع حكم فى وقت وحال معين فمن الحكمة أن ينسخ بحكم آخر يوافق الحال والوقت الآخر؛ فتقوم به المصلحة.

وقد أخبر القرآن الكريم بوجود النسخ فى الآية الكريمة : ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢) فهذه الآية ومثيلاتها وجهت العلماء إلى البحث فى المسائل المختلفة المتعلقة بالنسخ، ومن أهمها بيان الآيات المنسوخة والناسخ لها ؛ فاهتم علماء الصحابة والتابعين ببيانها والحث على معرفتها.

” قال على بن أبى طالب لقاصّ : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : الله أعلم قال : هلكت وأهلكت “ (٣)

” وقال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ “ (٤)

1 - ينظر: مناهل العرفان للزرقانى جـ ٢ ص ١٧٦، ١٧٧ .

2 - سورة البقرة: آية ١٠٦ .

3 - ينظر: البرهان فى علوم القرآن للزركشى جـ ٢ ص ٢٩ .

4 - ينظر: الاتقان للسيوطى جـ ٢ ص ٤٤ والبرهان للزركشى جـ ٢ ص ٢٩ .

وذكره الذهبي في العلوم التي يحتاج إليها المفسر؛ فقال^(١): " وبه يعلم المحكوم من غيره ،ومن فقد هذه الناحية (يقصد الناسخ والمنسوخ) ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال ، وقد أفردته بالتصنيف خلائق لا يحصون ؛ منهم وأبو داوود السجستاني^(٢)، وأبو جعفر النحاس^(٣)، وابن الأنباري^(٤)، هبة الله بن سلامة^(٥)، ومكي^(٦)، وآخرون ".^(٧)

- 1 - ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢٧٦ .
- 2 - هو سليمان بن الأشعث بن إسحق بن داوود السجستاني ، صاحب السنن توفي ٢٧٥ هـ من مؤلفاته: السنن ، الناسخ والمنسوخ ، القدر، المراسيل ؛ ينظر: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٣ .
- 3 - هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري أبو جعفر، المعروف بالنحاس ، أحد أئمة العلم واللغة بمصر توفي عام ٣٢٧ هـ ؛ من تصانيفه: معاني القرآن ، إعراب القرآن ، والناسخ والمنسوخ ؛ ينظر: معجم المؤلفين ج ١ ص ٢٥١ .
- 4 - هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان ، أبوبكر، ابن الأنباري ؛ نحوي ، لغوي ، أديب ، محدث ، مفسر ، من كتبه: الناسخ والمنسوخ ، والمشكل فى معاني القرآن وإنباه الرواة ، توفي سنة ٣٢٨ هـ ؛ ينظر : معجم المفسرين لعادل نويهض ج ٢ ص ٦٠٤ .
- 5 - هو هبة الله بن سلامة بن أبي القاسم البغدادي ، توفي عام هـ ٤١٠ هـ ، مفسر، ضرير، له كتب ؛ منها: الناسخ والمنسوخ فى القرآن ، والناسخ والمنسوخ من الحديث ، والمسائل المنثورة فى النحو ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج ٨ ص ٧٢ .
- 6 - هو مكيّ بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسى القيسى المقرئ المتوفى ٤٣٧ هـ ؛ من مصنفاته : مشكل إعراب القرآن ، وكتاب الإيجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه ، والكشف عن وجوه القراءات وعللها ؛ ينظر : الأعلام للزركلى ج ٧ ص ٢٨٦ .
- 7 - يراجع : الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ٤٤ ، والبرهان للزركشى ج ٢ ص ٣٨ .

موقف العلماء من النسخ:

اختلف العلماء فى قضية النسخ بين منكر له بالكليّة كأبى مسلم الأصفهانيّ وغيره ، ومسرف فيه فيقول بالنسخ فى كل ما ظاهره التعارض حتى أدخلوا فى النسخ ما ليس منه كأبى جعفر النحاس فى كتابه "الناسخ والمنسوخ" وهبة الله بن سلامة وغيرهما ، ومقتصد يقول بالنسخ فيقفون به موقف الضرورة التى يقتضيها وجود التعارض الحقيقى بين الأدلة مع معرفة المتقدم فيها والمتأخر.

أما المفسرون:

فقد أكثر بعضهم من الوقوف على الآيات المنسوخة وبيان ناسخها ؛ كالتبرى والقرطبى والفخر الرازى.

وقد أفردوا مباحث تناولوا فيها الناسخ والمنسوخ، ليس محلها علم التفسير، بل محلها علوم أخرى ؛ كالأصول وعلوم القرآن؛ فتناولوا حقيقة النسخ الشرعى وأقسامه وما اتفق عليه منه ، وما اختلف فيه ، وفى جوازه عقلاً ووقوعه شرعاً، وبماذا ينسخ ، وغير ذلك من أحكام النسخ.

أما الخطيب الشربيني فقد تناول تعريف النسخ لغة واصطلاحاً وفرّق بينه وبين التخصيص ، كما أوضح رأيه فى قضية النسخ ، وذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١) فيقول^(٢): " ما ننسخ من آية" فبيّن وجه الحكمة فى النسخ بهذه الآية، والنسخ فى اللغة شيئان ؛ أحدهما: بمعنى التحويل والنقل ؛ ومنه نسخ الكتاب ؛ وهو أن يحوّل من كتاب إلى كتاب ؛ فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ ؛ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ. والثانى: بمعنى الرفع ؛ يقال: نسخت الشمس الظل أى: ذهبت عنه وأبطلته ؛ فعلى

¹ - سورة البقرة: آية ١٠٦.

² - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٣٤، ١٣٥.

هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً وهو المراد من الآية ؛ وهذا على وجوه: أحدها: أن تثبت التلاوة وينسخ الحكم كآية الوصية للأقارب وآية عدة الوفاة بالحوول. والثاني: أن ترفع التلاوة ويبقى الحكم كآية الرجم. والثالث: أن يرفع الحكم والتلاوة كما روى: أن قوماً من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ فغدوا إلى النبي ﷺ ؛ فأخبروه ؛ فقال ﷺ: تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها، وقيل: كانت سورة الأحزاب قبل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكماً. ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نسخت الميراث ، وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومصابرة الواحد للعشرة بمصابرتة للاثنتين. قال البغوي^(١): والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الإخبار أ.هـ.

والنسخ اصطلاحاً: رفع تعلق حكم شرعيّ ، بدليل شرعيّ ويفارق التخصيص ؛ بأنّ التخصيص لا يرد إلا على متعدد وبأنه غير مشروط بالنص ، بخلاف النسخ فيهما، وبأنه يفيد عدم إرادة المخرج في الأصل والنسخ يفيد إرادة المنسوخ في الأصل لكن غير مستمر.

"أو ننسها" أي: نوّخرها فلا ننزل حكمها ولا نرفع تلاوتها ، أو نوّخرها في اللوح المحفوظ . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون الأولى وفتح السين وهمزة ساكنة بعد السين ولم يبدل هذه الهمزة أحد من السبعة ، وقرأ الباقون بضم النون وكسر ولا همزة بعد السين ؛ أي: ننسها؛ أي: نمحها من قلبك، وقال ابن عباس - رضى الله - تعالى - عنه - : نتركها لا ننسخها قال - تعالى - : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: تركوه فتركهم. وجواب الشرط "نأت بخير منها" أي: بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر

¹ - ينظر : تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل ج١ ص ٩٤ .

لأجركم ، وإن كان كلام الله كله خيراً "أو مثلها" فى التكليف والثواب والمنفعة ، وتكون الحكمة فى تبديلها بمثلها الاختبار "ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير" فيقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير. والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الإنزال؛ إذ الأصل اختصاص أن وما يتضمنها بالأمور المحتملة؛ وذلك: لأن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلاً من الله ورحمة ، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش، فإن النافع فى عصر قد يضر فى غيره. واحتج بها من منع النسخ بلا بدل أو ببذل أثقل، ومن منع نسخ الكتاب بالسنة ؛ فإن الناسخ هو المأتى به بدلاً ، والسنة ليست كذلك ؛ قال البيضاوى^(١): والكل ضعيف ؛ إذ قد يكون عدم الحكم، والأثقل أصلح ، والنسخ قد يعرف بغيره ، والسنة ما أتى به الله. واستدل بهذه الآية المعتزلة على حدوث القرآن؛ فإن التغير والتفاوت من لوازم الحدوث ؛ وأجاب أهل السنة بأنهما من عوارض الأمور المتعلقة بها المعنى القائم بالذات القديم لا من عوارض هذا المعنى.،،

وهكذا نجد الخطيب الشربيني يقول بجواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً، ويردّ على من ينكره.

والخطيب الشربيني من المفسرين الذى اعتدلوا فى إيضاح الآيات المنسوخة وبيان ناسخها، وباطلاعى على ما كتبه فى تفسيره وجدت أن الآيات التى شملها هذا البحث (الناسخ والمنسوخ) فى تفسيره بلغت ما يقرب من الخمسين آية من بينها الإحدى والعشرون آية التى ذكرها السيوطى فى الإتقان واعتبرها من قبيل النسخ.

وقد اتجه الخطيب الشربيني فى تناوله للنسخ عدة اتجاهات؛ أهمها:

١- يذكر الآية المنسوخة ويبين ناسخها.

^١ - ينظر: حاشية زاده على البيضاوى جـ ٢ ص ٢٢٤، ٢٢٥ .

٢- يذكر آراء العلماء دون التعليق عليها.

٣- يذكر آراء العلماء ويوجهها.

٤- يبيّن الآيات التي تحتل النسخ باعتبار والإحكام باعتبار آخر .

٥- يرّد القول بالنسخ.

٦- يذكر النسخ في الآية بصيغ أخرى .

وتفصيل ذلك الآتي:

١- ما يذكر فيه أن الآية منسوخة ويبيّن ناسخها ؛ وله في ذلك عدة أمثلة أذكر منها:

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا لَمْ يَكُنْ يَدِينُهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(١) يقول الخطيب الشربيني^(٢): " وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله - تعالى - : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾^(٣) ."

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾^(٤) يقول^(٥): " ولم تحل الغنائم لأحد قبل الإسلام ، بل كانت الأنبياء إذا غنموا مالا جمعوه؛ فتأتى نار من السماء تأخذه ، ثم

1 - سورة البقرة: آية ٢١٧ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٥٠ .

3 - سورة التوبة: جزء من آية ٥٢ .

4 - سورة الأنفال: آية ٤١ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٣٦ .

أحلت للنبي ﷺ ، وكانت في صدر الإسلام له خاصة ؛ لأنه كالمقاتلين كلهم نصرَةً وشجاعة بل أعظم، ثم نسخ ذلك واستقل الأمر على أنها تجعل خمسة أقسام متساوية .“

● ومثال ذلك أيضا قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾^(١) فبعد انتهائه من شرح الآية يقول^(٢): ”قال البغوي^(٣): وهذا منسوخ بآية القتال“.

● وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ {٢} نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا {٣} أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا^(٤) يقول^(٥): ” وأو للتخيير؛ فكان ﷺ مخيرا بين هذه المقادير الثلاثة، وكان ﷺ يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض أصحابه، واشتد ذلك عليهم حتى انتفضت أقدامهم ، وقد تقدم أن ذلك نسخ بإيجاب الصلوات الخمس ؛ فصار قيام الليل تطوعا“.

٢- ما يذكر فيه آراء العلماء دون التعليق عليها:

أحيانا يذكر الخطيب الشربيني أقوال العلماء دون أن يعلق عليها بشيء يكشف ما يرتضيه من النسخ أو الأحكام.

● ومثال ذلك قوله – تعالى –: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٦) يقول^(١): ” فاعفوا“ أى: اتركوهم

1 - سورة الأحزاب: آية ٤٨ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص٣٦٨ .

3 - ينظر: تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن ج٣ ص٢٦٧ ، وذكره هبة الله بن

سلامة في الناسخ والمنسوخ ص ٢٥٨ .

4 - سورة المزمل: من آية ٢ إلى آية ٤ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص١٤٤ .

6 - سورة البقرة: جزء من آية ١٠٩ .

و"اصفحوا" أى: أعرضوا عنهم فلا تجاوزوهم . وكان هذا قبل آية القتال؛ ولهذا قال - تعالى - "حتى يأتي الله بأمره" فيهم من القتال ، وقد أذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم، وروى عن ابن عباس وابن مسعود أن هذا منسوخ بقوله - تعالى -: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِأَيُّومِ الْآخِرِ ﴾^(٢) ^(٣)، وأبى النسخ جماعة من المفسرين والفقهاء واحتجوا بأن الله تعالى لم يأمر بالعفو والصفح مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية ، وما بعد الغاية يخالف ما قبلها ، وما هذا سبيله لا يكون من باب النسخ بل ، يكون الأول قد انقضت مدته والآخر يحتاج إلى حكم آخر ."

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ أَوْ آخِرَانَ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾^(٤) يقول الخطيب الشربيني^(٥): " عطف على "اثنان" ومن فسّر "غيركم" بأهل الذمة جعله منسوخاً؛ فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعاً، وقد اتفق الأكثرون على أنه لا نسخ فى سورة المائدة، وعن مكحول نسخها قوله -

1 - ينظر: السراج المنير ج١ ص١٣٦، ص١٣٧.

2 - سورة التوبة: جزء من آية ٢٩.

3 - أخرجه البغوى فى تفسيره ج١ ص٩٦ ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ؛ ينظر: تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبد الرزاق للإمام أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى "٢١١:١٢٦هـ" تحقيق د.عبد المعطى أمين قلجعى ، دار المعرفة بيروت، لبنان الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ م ، ج١ ص٧٥ ، وذكره ابن حاتم فى تفسيره عن ابن عباس وأبى العالية وقال : وروى عن قتادة والسدى والربيع بن أنس نحو ذلك ج١ ص٢٠٦.

4 - سورة المائدة: جزء من آية ١٠٦.

5 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص٨٥.

تعالى :- ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾^(١) وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر^(٢) .“

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ فَأَرِزُوهُمْ مِنْهُ ﴾^(٣) يبين اختلاف العلماء في نسخ هذه الآية بآية المواريث ، فيقول^(٤) : ” واختلف العلماء في حكم هذه الآية ؛ فقال قوم: هي منسوخة بآية المواريث كالوصية. وعن سعيد بن جبيرة أن ناساً يقولون: نسخت؛ والله ما نسخت ، ولكنها مما تهاون به الناس^(٥) .“

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾^(٦) يبين اختلاف العلماء في نسخها؛ فقال^(٧) : ” واختلفوا ؛ هل هذه الآية منسوخة أو لا ؟ فقال مجاهد وعكرمة^(٨) : هي منسوخة

1 - سورة الطلاق: جزء من آية ٢ .

2 - ينظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ١٥٦ ، ١٥٧ ، وزاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، تحقيق أحمد شمس الدين، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ج٢ ص ٢٧١ وقال :”هو قول زيد بن أسلم ، وإليه يميل أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي“ .

3 - سورة النساء: جزء من آية ٨ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٣ .

5 - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: التفسير، باب: ” وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين “ الآية ، عن ابن عباس قال: هي محكمة وليست منسوخة تابعه سعيد بن جبيرة ؛ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٢ ص ٥٩٨ .

6 - سورة الأنفال: جزء من آية ١ .

7 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٠٨ .

8 - أخرجه البغوي في تفسيره معالم التنزيل (على هامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل) ج٣ ص ٤ ، ٣ ، وذكره هبة الله بن سلامة في الناسخ والمنسوخ؛ ينظر: أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ تأليف : الشيخ الإمام =

بقوله - تعالى - : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾^(١) فكانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ فنسخها الله - تعالى - بالخمسة . وقال بعضهم: هي ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه ؛ وذلك أن الغنائم كانت حراماً على الأمم الذين من قبلنا في شرائع أنبيائهم، وأباحها الله - تعالى - بهذه الآية لهذه الأمة ، وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا، ثم نسخت بآية الخمس . وقال عبد الله بن زيد بن أسلم^(٢): هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله وللرسول يضعها حيث أمره الله - تعالى - وقد بين الله - تعالى - مصارفها في - قوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾^(٣) الآية .

٣ - يذكر أقوال العلماء ويوجهها:

ونادراً ما يناقش الخطيب الشربيني أقوال العلماء في النسخ ويوجهها أو يرجح الأظهر منها؛ ومن هذه المواضع النادرة ما يأتي:

● قال عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَت يَمِينُكَ ﴾^(٤) إذ بيّن أنه استثناء من النساء ؛ لأنه يتناول الأزواج والإماء؛ فقد ملك بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات ، ثم يشير إلى اختلاف الأقوال في النسخ ؛ فيقول^(٥): ” واختلفوا ؛ هل أبيع له النساء من بعد؟ قالت عائشة: (ما مات

=المحقق أبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر، مكتبة الدعوة - القاهرة - ص ١٧٥، ١٧٦ .

1 - سورة الأنفال: آية ٤١ .

2 - ذكره الطبري في تفسيره ج ٩ ص ١١٤ .

3 - سورة الأنفال: جزء آية ٤١ .

4 - سورة الأحزاب: جزء من آية ٥٢ .

5 - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٣٧٩ .

رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء^(١) أى: ففسخ ذلك وأبيح له أن ينكح أكثر منهن بآية ﴿إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾^(٢) فإن قيل : هذه الآية متقدمة وشرط الناسخ أن يكون متأخراً؟ أجيب بأنها مؤخرة فى النزول مقدمة فى التلاوة، وهذا أصح الأقوال .“

● ما قاله عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) فبعد إنتهائه من تفسيرها يقول^(٤): ” وهذا منسوخ بآية المواريث وبقوله ﷺ: (إن الله أعطى كل ذى حق حقه، ألا لا وصية لوارث)^(٥) بناء على الأصح من أن الكتاب ينسخ بالسنة وإن لم تتواتر وبذلك ظهر ما فى قول بعضهم أن الكتاب ينسخ بالسنة وأن الحديث من الآحاد .“

1 - أخرجه الترمذى فى صحيحه - كتاب : تفسير القرآن ، باب: ومن سورة الأحزاب ج ٣٢١٦ - ٥ ص ٩٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ،وأخرجه أحمد فى مسنده ج ١٧ ص ٢٤٠ ، ٢٤٠ ، ٦٠٥ ، ح ٢٤٠١٩ ، ٢٥٣٤٣ وقال محققه: صحيح ، والنسائى فى سننه - كتاب : النكاح، باب: ما افترض الله - عز وجل - على رسوله عليه السلام وحرّمه على خلقه ليزيده إن شاء الله فربة إليه ح ٣٢٠٤ ج ٣ ص ٣٦٥ ، والدارمى فى سننه - كتاب : النكاح ، باب : قول الله - تعالى - : (لايحل لك النساء من بعد) ج ١ ص ٦٤١ ح ٢٢٤١ .

2 - سورة الأحزاب: جزء من آية ٥٠ .

3 - سورة البقرة: آية ١٨٠ .

4 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ١٨٦ .

5 -أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء لا وصية لوارث ج ٤ ص ١٨٧، ١٨٨ ح ٢١٢٠ وقال أبو عيسى: وهو حديث حسن صحيح ،وأخرجه أبو داود فى سننه - كتاب : الوصايا، باب : ما جاء فى الوصية للوارث برقم (٢٨٧٠) ج ٣ ص ١٢٥٣ ، وابن ماجة فى سننه - كتاب : الوصايا، باب : لا وصية لوارث برقم (٢٧١٣ - ٢٧١٤) ج ٢ ص ٤٧٥ ، وقال محققه : (قال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح ومحمد بن شعيب وثقه رحيم وأبو داود وباقي رجال الإسناد على شرط البخارى).

وهذه من المواضع النادرة التي يناقش فيها الخطيب الشربيني أقوال العلماء في النسخ ، ويوجهها ، ويختار الأظهر منها.

٤ - يبين الآيات التي تحتمل النسخ باعتبار والإحكام باعتبار آخر:

● فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١) يبين اختلاف العلماء في نسخها؛ فيقول^(٢): " واختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها؛ فذهب أكثرهم إلى أنها منسوخة ؛ وهو قول ابن عمر وسلمة ابن الأكوع^(٣) وغيرهما؛ وذلك أنهم كانوا في صدر الإسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا، وإنما خيرهم الله - تعالى- لأنهم كانوا لم يتعودوا الصيام ، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله - تعالى - : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ قال ابن عباس^(٤): إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد، فإنها باقية بلا نسخ في حقهما، وذهب جماعة منهم إلى أن لفظة "لا" مقترة في الآية ؛ أي: وعلى

1 - سورة البقرة: آية ١٨٤ .

2 - ينظر السراج المنير: ج١ ص١٨٨ .

3 - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: الصوم، باب: "وعلى الذن يطيقونه فدية طعام مسكين" ح ١٩٤٨ ؛ ينظر: فتح الباري ج٦ ص ٣٣٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: الصيام ، باب: بيان نسخ - تعالى - : (وعلى الذين يطيقونه فدية) بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ج٢ ص ٢٣٥ .

4 - ذكره الطبري في تفسيره ج١ ص ١١٤ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ج١ ص ٣٠٧ .

الذين لا يطبقونه لكبر أو مرض لا يرجى برؤه - فدية؛ وهو قول سعيد بن جبير^(١) وجعل الآية محكمة .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَكُلُّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾^(٢) يقول^(٣): "وكان ذلك ثابتاً في ابتداء الإسلام؛ فذلك قوله -تعالى- : ﴿فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] أى: أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله - تعالى - : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥، الأحزاب: ٦]

وقال مجاهد^(٤): أراد: فآتوهم نصيبهم من النصر والرغد ولا ميراث؛ وعلى هذا الآية غير منسوخة؛ لقوله - تعالى - : ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] وقوله ﷺ في خطبته يوم فتح مكة: (لا تحدثوا حلفاً في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به؛ فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة)^(٥).

قال الزمخشري^(٦): وعند أبي حنيفة - رحمه الله - تعالى - لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالة، خلافاً للشافعيّ - رحمه الله - تعالى - أ.هـ.

1 - ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد جـ ١ ص ٣٠٧ .

2 - سورة النساء: آية ٣٣ .

3 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٦٧، ٤٦٨ .

4 - ذكره الطبري في تفسيره جـ ٥ ص ٣٥ .

5 - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: فضائل الصحابة، باب: مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه - رضى الله عنهم - جـ ٤ ص ٢٦٦ ح ٢٥٣٠ بلفظ "لا حلف فى الإسلام، وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة".

6 - ينظر: الكشاف جـ ١ ص ٥٢٣ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(١) يقول الخطيب الشربيني^(٢): "يبتغون فضلاً من ربهم" وهو الثواب "ورضواناً" أى: وأن يرضى عنهم ، والجملة فى موضع الحال من المستكن فى آمين ؛ أى: لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم ؛ تعظيماً لهم واستنكاراً أن يتعرض لمثلهم، وقيل: معناه يبتغون من الله رزقاً بالتجارة ورضواناً بزعمهم ؛ لأنهم كانوا يظنون ذلك ؛ فوصفوا به بناء على ظنهم ، ولأن الكافر لا نصيب له فى الرضوان ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] قال ابن عباس - رضى الله - تعالى - عنهما^(٣): كان المسلمون والمشركون يحجون جميعاً ؛ فنهى الله تعالى المسلمين أن يمنعوا أحداً عن حج البيت بقوله تعالى "لا تحلوا شعائر الله" فعلى الأول الآية محكمة ؛ قال الحسن^(٤): ليس فى المائدة منسوخ. وعلى الثانى ؛ قال البيضاوى^(٥): " فالآية منسوخة ؛ أى: لما فيها من حرمة القتال فى الشهر الحرام، ومن حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام ، والأول منسوخ بقوله - تعالى - : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] والثانى بقوله - تعالى - : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة: ٢٨] فقوله: منسوخ منزل

1 - سورة المائدة: آية ٢ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٧ .

3 - ذكره الطبرى فى تفسيره جـ ٥ ص ٣٦ .

4 - لم أقف عليه فى كتب الحديث التى اطلعت عليها وكذا التفسير .

5 - هذا قول البيضاوى ، وقد أضاف إليه قول شيخ زاده فى حاشيته؛ ينظر: حاشية زاده على البيضاوى جـ ٣ ص ٤٦٩، ٤٦٨ .

على هذا، لكن إذا قلنا بشمول " آمين " للمسلمين والمشركين – إنما يكون النسخ في حق المشركين خاصة ، وهو في الحقيقة تخصيص لا نسخ ؛ ففي تسميته نسخاً تسمح .“

وهذه من المواضع القليلة التي يذكر فيها الخطيب الشربيني وجهين لتفسير الآية ؛ فيجعل الآية محكمة على أحدهما ومنسوخة على الآخر.

٥ - يرد القول بالنسخ:

رد الخطيب الشربيني القول بالنسخ في مواضع قليلة في تفسيره:

● ومثال ذلك عند انتهائه من تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(١) يقول^(٢):
”تنبيه: ليس في الآية ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كما قيل؛ لأن الزكاة لا تعطى للوالدين ولا للأقربين من الأولاد وأولاد الأولاد ؛ فالآية محمولة على الإنفاق على من ذكر تطوعاً ، أو على الإنفاق على الفقراء من الوالدين والأولاد وأولاد الأولاد. وذلك ليس بمنسوخ“.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(٣) يقول^(٤): ”أى: أردتم القيام إليها كقوله – تعالى –: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] عبّر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها ؛ للإيجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة، وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثاً، لكن صدّ عنه الإجماع ؛ لما روى

1 - سورة البقرة: آية ٢١٥.

2 - ينظر السراج المنير: ج١ ص ٢٢١.

3 - سورة المائدة: جزء من آية ٦.

4 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ١٤، ١٥.

أنه ﷺ صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح ؛ فقال له عمر: صنعت شيئاً لم تكن تصنعه ؛ فقال: عمداً فعلته ؛^(١)، فقيل هو مطلق أريد به التقييد ؛ والمعنى: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين. وقيل : الأمر فيه للندب وقيل: كان ذلك أول الأمر ثم نسخ ؛ قال البيضاوى^(٢): وهو ضعيف ؛ لقوله ﷺ: (المائدة آخر القرآن نزولاً؛ فأحلوا حلالها وحرموا حرامها)^(٣) .“

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾^(٤) يقول^(٥): ” قال بعضهم: إن قوله - تعالى - : ”وإن عاقبتم“ إلى ”هو خير للصابرين“ منسوخ بآية السيف ؛ قال الرازى^(٦): وهذا فى غاية البعد ؛ لأن المقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب فى كيفية الدعوى إلى الله - تعالى - وترك التعدى وطلب الزيادة ، ولا تعلق لهذه الأشياء بآية السيف .“

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٧)

1 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب: الطهارة ،باب : جواز الصلوات كلها بوضوء واحد ، ح ٢٧٧ ج ١ ص ٢٤٢ ..

2 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى ج ٣ ص ٤٨٢ .

3 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء أنه يصلى الصلاة بوضوء واحد برقم (٦١) ج ١ ص ٤٣ ، ط . دار الحديث . والنسائى - كتاب : الطهارة ، باب : الوضوء لكل صلاة برقم (١٥٣) ج ١ ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، ط . دار الفكر .

4 - سورة النحل: آية ١٢٦ .

5 - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

6 - ينظر: التفسير الكبير للرازى ج ٢٠ ص ١١٥ .

7 - سورة الفرقان: جزء من آية ٦٣ .

ردّ ما ذهب إليه أبو العالية^(١) من نسخها بآية القتال ؛ فقال الخطيب الشربيني^(٢): ” ولا حاجة إلى ادعاء النسخ بآية القتال ولا غيرها؛ لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة، أسلم للعرض والورع. “

وهذه بعض من المواضع النادرة التي ردّ فيها الخطيب الشربيني القول بالنسخ.

٦- يذكر النسخ في الآية بصيغ أخرى:

وأحيانا ينبه على النسخ في الآية بصيغ أخرى مختلفة ؛ مثل: قبل الإباحة ، أو قبل الأمر، ومثال ذلك:

● قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾^(٣) أوضح أنه - تعالى - كنى عن الجماع ؛ استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة ؛ فيقول^(٤): ” وكنى عن الجماع هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١] استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة، ولذلك سماه فيما يأتي خيانة ؛ قال ابن عباس - رضى الله - تعالى - عنهما^(٥): إن الله - تعالى - حبيُّ كريم يكنى كل ما

^١ - هو رفيع بن مهران اليربوعي، مولاهم، أبو العالية، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين ، وهو من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير ، روى عن علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ، وكانت وفاته سنة ٩٠ هـ وقيل سنة ٩٦ هـ ؛ ينظر طبقات القراء لابن الجزري ج١ ص ٣٨٤ هـ .

^٢ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٤٧٥ .

^٣ - سورة البقرة: جزء من آية ١٨٧ .

^٤ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٩٤ .

^٥ - ذكره الطبري في تفسيره ج٢ ص ١٠٥ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ج١ ص ٣١٧ .

ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول. فالرفث إنما عنى به الجماع. وقال الزجاج^(١): الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء؛ قال أهل التفسير: كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حلّ له الطعام والشراب والنساء إلى أوان العشاء الآخرة، أو يرقد قبلها؛ فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة القابلة “

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾^(٢) يقول^(٣): ” أى: لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم ؛ فإنّ ذلك ترك للدعاء إلى الله - تعالى - وكان هذا قبل الأمر بالقتال، فإنه ﷺ منع في أول الاسلام من قتال الكفار، وأمر هو وأصحابه بالصبر على أذاهم بقوله - تعالى - : ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٦] الآية، ثم أمر به ؛ ابتدؤوا بقوله - تعالى - : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٠] ثم أبيع له ابتداءه في غير الأشهر الحرم، ثم أمر به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله - تعالى - : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَّفْتُمُوهُمْ ﴾ [البقرة: ١٩١] “

وهكذا نجد الخطيب الشربيني لم يستخدم تعبير المنسوخ أو الناسخ فى بيان النسخ فى الآيات الكريمة السابقة ؛ فى الآية الأولى عبر عن النسخ بالإباحة ، وفى الآية الثانية والثالثة أشار إلى المنسوخ بـ "قبل الأمر" والناسخ "بالأمر" "ثم أمروا" وبالإباحة "ثم أبيع لهم".

وهذه مواضع قليلة استخدم فيها الخطيب الشربيني تعبيرات مغايرة للإشارة إلى الناسخ والمنسوخ فى الآيات الكريمة.

1 - ينظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج ج١ ص ٢١٢ .

2 - سورة المزمل: آية ١٠ .

3 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ١٥١ .

منهج في التفسير العلمي

تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات الكونية التي تناولها المفسرون بالشرح والبيان، وتوضيح أسرارها ودقائقها ، وإبراز ما تنطوي عليه من مظاهر قدرة الخالق – عز وجل – والإقرار بواحدنيته.

وقد اختلفت اتجاهات المفسرين في بيان هذه الآيات من خلال التفسير، تبعاً لتقافة المفسر؛ فمنهم من اكتفى بنقل المأثور من أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين في المعنى المراد من هذه الآيات ؛ كالطبري والقرطبي وابن كثير، ومنهم من أضاف إلى ذلك عرض مذاهب الفلاسفة والحكماء والطبيعيين وعلماء الفلك ، مع ذكر حججهم ومناقشتها والرد عليها ؛ كما فعل الفخر الرازي والنيسابوري والألوسي.

أما الخطيب الشربيني فقد اتخذ اتجاهها وسطاً ؛ فذكر ما ورد في الأثر فيها، واعتمد على الدلالات اللغوية في بيان المراد منها ، وكان يذكر أقوال العلماء ولكن بقلّة ؛ ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● فمثلاً عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾⁽¹⁾ وجدته يتناول مسألة كروية الأرض ؛ فيقول: " ومعنى جعلها فراشاً: أن جعل بعض جوانبها بارزاً عن الماء مع ما في طبع الماء من الإحاطة بها ، وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط ، وذلك لا يستدعي كونها مسطحة ؛ لأن كُرْبِيَّةَ شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الفراش عليها؛ فليس في ذلك إلا أن الناس يفتشونها كما يفعلون بالمفاريش ، وسواء كانت على شكل السطح أو على شكل الكرة"⁽²⁾

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٦٢.

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ ﴾⁽¹⁾ يقول الخطيب الشربيني⁽²⁾: " قال العلماء: الغذاء يصير جزءاً من جوهر المتغذى ، ولا بد أن يحصل للمتغذى أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلًا فى الغذاء ، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المنهيات ، فحرم أكله على الإنسان ؛ لئلا يتكيف بتلك الكيفية ، ولذلك إن الفرنج لما واطبوا على أكل لحم الخنزير أورتهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة فى المنهيات ، وأورتهم عدم الغيرة ؛ فإنّ الخنزير يرى الذكر من الخنازير ينزو على الأنثى التى له ولا يتعرض له ؛ لعدم الغيرة "

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾⁽³⁾ يبين منازل القمر؛ فيقول⁽⁴⁾: " فائدة: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، وأسماءها: السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعوّاء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعام، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، وبطن الحوت. وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهى اثنا عشر برجاً: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس والجدى، والدلو، والحوت؛ فلكل برج منزلان وثلاث، فينزل القمر فى كل ليلة منها منزلاً، فيستقر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين؛ فليلة واحدة، فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل، ويكون مقام الشمس فى كل منزلة ثلاثة عشر

1 - سورة المائدة: جزء من آية ٣.

2 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص٨.

3 - سورة يونس: جزء من آية ٥.

4 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٨ ، ٩.

يوماً، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها . وانتفاع الخلق بضوء الشمس، وبنور القمر عظيم ؛ فالشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، وبحركة الشمس تنفصل السنة إلى هذه الفصول الأربعة، وبالفصول الأربعة تنتظم مصالح هذا العالم، وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل، والنهار يكون زمانا للتكسب والطلب، والليل يكون زمانا للراحة “

● ومن الآيات الكونية التي شرحها بالأثر - الرعد؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى:- ﴿ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾⁽¹⁾ يقول⁽²⁾: ” قال ابن عباس: (أقبلت يهود على النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة، موكل بالسحاب ، معه مخاريق⁽³⁾ من نار يسوق بها السحاب)⁽⁴⁾ “

● وكذلك تناول آيات الله - عز وجل - في خلق التين والزيتون عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾⁽⁵⁾ يقول⁽⁶⁾: ” أقسم بهما؛ لأنها عجيبتان من بين أصناف الأشجار المثمرة ؛ روى أنه: (أهدى للنبي ﷺ طبق من تين؛ فأكل منه، وقال لأصحابه: كلوا ، فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم ، فكلوها؛ فإنها تقطع

1 - سورة الرعد: جزء من آية ١٣.

2 - ينظر: السراج المنير ج-٣ ص ٢٢٠، ٢٢١.

3 - مخاريق: آلة تضرب بها الملائكة السحاب وتسوقه ، جمع مخراق ، وهو فى الأصل عند العرب ثوب يلف به الصبيان بعضهم بعضاً ؛ ينظر: لسان العرب لابن منظور ج-١٠ ص ٧٦ .

4 - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : التفسير باب" ومن سورة الرعد" برقم ٣١١٧ ج-٥ ص ١٨٣ ، وقال: هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه أحمد فى مسنده "مسند عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما" ج-٣ ص ١٢٨، ١٢٩، ح ٢٤٨٣ بتقديم وتأخير، وفيه زيادة وقال محققه أحمدشاکر: إسناده صحيح .

5 - سورة التين: آية ١.

6 - ينظر: تفسير السراج المنير ج-٨ ص ٣٧٦.

البواسير، وتنفع من النقرس) (1) ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به ، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة ؛ يطيب الفم ، يذهب بالحفرة) وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي) (2). وعن ابن عباس-رضى الله تعالى عنهما- : هو تينكم هذا الذى تأكلون ، وزيتونكم هذا الذى تعصرون منه الزيت. وقال عكرمة: هما جبلان من الأرض المقدسة ، يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا؛ لأنهما منبتا التين والزيتون“

¹ -أورده الإمام السيوطى فى الجامع الصغير"فيض القدير"جـ ٥ ص٤٣ ح٦٣٩٣ ونسبه إلى ابن السنى وأبى نعيم والديلمى، وأشار إليه بالضعف. وأورده الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة جـ ١ ص١٩٨ ح١٦٥ وأشار إليه بالضعف ، وقال: يغلب على الظن أن هذا الحديث موضوع فإنه ليس عليه نور النبوة ، وقال : الشيخ العجلونى فى كشف الخفاء : جميع ما ورد فى الفاكهة من الأحاديث موضوعة ؛ ينظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى المتوفى ١٠٦٢ هـ . ط. مؤسسة الرسالة بيروت لبنان جـ ١ ص٤٢٣ .

² -أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط باب من اسمه أحمد بن على ؛ ينظر: المعجم الأوسط للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ٢٦٠ ت ٣٦٠ هـ ، تحقيق : صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ، ط. دار الحديث القاهرة ١٤١٧ هـ — ١٩٩٦ م جـ ١ ص٢٨٨ ح ٦٨٢ ، وأورده الهيئى فى مجمع الزوائد — كتاب: الصلاة، باب : بأى شيء يستاك جـ ٢ ص ١٠٠ وعزاه إلى الطبرانى فى الأوسط ، وأورده العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس جـ ٢ ص٤٢٣ ونسبه إلى الطبرانى فى الأوسط عن معاذ بن جبل — رضى الله عنه .

الفصل الثانى : الجانب العقائدى فى تفسيره

جاء النبى ﷺ وسلم بالعقيدة الصحيحة ، وظلت هى السائدة بين المسلمين حتى ظهرت الفرق و نشأت المذاهب المتعددة ، وافترقت الأمة فرق عديدة ، يدافع علماء كل فرقة عن مذهبهم و عقائدهم، و يؤيدونها بتفسير النصوص الشرعية (قرآن - سنة) وكلما ظهرت فرقة سميت باسم خاص ، وبقى أصحاب العقيدة الصحيحة هم أهل السنة و الجماعة

” وأهل السنة و الجماعة هم الذين على هدى الرسول ﷺ أصحابه علماءً واعتقاداً ، وقولاً ، عملاً ، وأدباً ، وسلوكاً ، وهم سلف الأمة من الصحابة و التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة . وعلى أئمتهم و أئمة الهدى المتبعين لهم و كل من سلك سبيلهم فى الإعتقاد و القول والعمل والسلوك إلى يوم الدين ؛ مثل الأئمة الأربعة ، وسفيان الثورى ، والأوزاعى ، وابن المبارك^(١)، وابن تيمية ، وابن القيم^(٢) ، ومن سار على دريهم ، وهم الذين استقاموا على الاتباع و جانبوا الإبتداع فى كل زمان ومكان ؛ فهم باقون ظاهرون منتصرون إلى يوم القيامة ؛ قال ابن حزم^(٣) فى الفصل : ” وأهل السنة الذين نذكرهم أهل

¹ - هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلى ، التميمى ، المروزي ، أبو عبد الرحمن: الحافظ ، شيخ الإسلام ، جمع الحديث والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر وفصاحة العرب وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، من كتبه :تفسير القرآن ؛ ينظر: معجم المفسرين جـ ١ ص ٣٢٠ .

² - هو محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقى ، أبو عبد الله ، شمس الدين ، المعروف بابن قيم الجوزية : من كبار فقهاء الحنابلة ، محدث ، مفسر ، متكلم جدلى ، ولد بدمشق ولازم ابن تيمية ونشر علمه ،توفى سنة ٧٥١ هـ ،من كتبه : تفسير المعوذتين ، وتفسير الفاتحة والتفسير القيم ؛ ينظر : معجم المفسرين جـ ٢ ص ٥٠٣ .

³ - هو أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمد الأندلسى القرطبى، الإمام الأوحدي البحر ذو الفنون والمعارف، الفقيه، الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، نائب=

الحق، ومن عداهم فأهل البدعة . فأهل الحق هم الصحابة - رضى الله عنهم - وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين - رحمة الله عليهم - ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ،ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها - رحمة الله عليهم - كما يطلق عليهم السلف الصالح ، وأهل الحديث، والفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وأهل الاتباع ، وأهل الجماعة ، وبهذا المعنى الخاص فإن مصطلح السلفية الذى نشأ عندما تنازعت الفرق الكلامية وأهل الأهواء مصطلح أهل السنة وتسموا به " الخافية " فبرز مصطلح السلفية للتمييز و الدلالة على المتمسكين بالأمر الأول " (١).

" ويسمون بأهل الكتاب والسنة ؛ لأنهم يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد وبهذا سمو أهل الكتاب و السنة " (٢).

وقد علل ابن تيمية - رحمه الله - هذه التسمية بقوله: " وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة - وإن كان لفظ

=أمير المؤمنين عمر على دمشق، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفي ٤٦٥ هـ، من كتبه: الإيصال إلى فهم الخصال ، المحلى ، الفصل فى الملل والنحل ، الرد على من اعترض على الفصل ؛ ينظر: سير أعلام النبلاء ج١٨ ص ١٨٤- ٢١٢ .

¹ - ينظر: الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهنى - ط . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض ، الثالثة ١٤١٨ هـ ، ج ٢ ص ١١٣ .

² - ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القاسمى النجدى الحنبلى وابنه محمد ، الطبعة الثانية ١٢٩٩ هـ ص ١٥٧ .

الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين "و الإجماع" هو الأصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين"^(١).

ويقول أيضاً : " فمن قال بالكتاب و السنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة "^(٢).

وقد اهتم المفسرون ببيان مسائل العقيدة التى لها علاقة بالآيات القرآنية، و توسع بعضهم فى عرض آراء الفرق والرد عليهم و إبطال حججهم و دفع شبههم ؛ كما فعل الفخر الرازى ، والنيسابورى ، والألوسى ، وغيرهم ممن عنوا بمباحث العقيدة .

والمطالع لتفسير السراج المنير يلحظ حرص الخطيب الشربيني على بيان العقيدة التى يلزم أن يعقد المؤمن قلبه عليها حتى يكون مؤمناً حقاً ، بعيداً عن الزيغ و البدع المضلة فى الاعتقاد ؛ فيتناول العقيدة بمباحثها المختلفة: الإلهيات ، النبوات ، والغيبيات ، وينهج منهج أهل السنة والجماعة، و يتصدى عند تفسيره لبعض الآيات لتفنيد آراء الفرق الأخرى خاصة المعتزلة،^(٣) مقرأً لمذهب أهل السنة والجماعة فى نقاط النزاع بينهم، لكنه لا يستفيض كغيره من المفسرين فى المباحث العقلية ؛ وإنما يكتفى

1 - ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ٣ ص ١٥٧ .

2 - ينظر: المرجع السابق ج ٣ ص ٣٤٦ .

3 - المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء الغزالي ؛ اعتزل عن مجلس حسن البصرى، وهم فرقة إسلامية نشأت فى أواخر العصر الأموى وازدهرت فى أواخر العصر العباسى ، وقد اعتمدت على العقل المجرد فى فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى إنحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها المعتزلة ، والقدرية ، والعدلية ، وأهل العدل والتوحيد والمقتصد ، والوعيدية ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٨٢ ، والموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ج ١ ص ٦٩ .

بعرض آراء الفرق و بيان أن الآية لا تصلح دليلاً لهم ، مستدلاً بما ظهر من الآية ، وقد ينقل مناقشة غيره ؛ ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

١ - الإلهيات

• صفات الله :

تعرض الخطيب الشربيني للآيات التي تتحدث عن صفات الله والتي توهم التشبيه ؛ كاليد ، والوجه ، والاستواء ، وتناول ما تعرض له العلماء من تأويل لها أو نفى لمعناها أو تفسير أو شرح ، فالمطالع لنفسيره يجده يثبت الصفات لله - عز وجل - ويعرض آراء السلف و الخلف على النحو التالي :

• اليد :

في تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١) يقول^(٢) : ” يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدي المتابعين ؛ قال البقاعي^(٣) : فلعنة الله على من حمله على الظاهر من أهل العناد ببدعة الاتحاد ، وعلى من تبعهم على ذلك من الذين شاقوا الله ورسوله ﷺ وسائر الأئمة الأعلام ، ورضوا لأنفسهم بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين ، وناهيك به من ضلال مبين .هـ- وقد مر أن التأويل في الآيات المتشابهات مذهب الخلف ، ومذهب السلف السكوت عن التأويل و إمرار الصفات على ما جاءت و تفسيرها وقراءتها والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكبير ولا تعطيل“ .

1 - سورة الفتح : جزء من آية ١٠ .

2 - ينظر: السراج المنير ج ٧ ص ٦٧ .

3 - ينظر: نظم الدرر للبقاعي ج ٧ ص ١٩٤ .

• العين:

وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ (١) يقول (٢) :
” أى : محفوظة من أن تدخل بحر الظلمات ، أو يأتى عليها غير ذلك من
الآفات بحفظنا على ما لنا من العظمة - حفظ من ينظر الشيء بأعين كثيرة
ولا يغيب عنه أصل ، وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء .“

• الوجه :

يرى الخطيب الشربيني إثبات الوجه لله - عز وجل - فى تفسيره
لقوله - تعالى - : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٣) يقول (٤) : ” أى : ذاته ؛
فإن الوجه يعبر عن الذات ؛ قال أبو العالية : إلا ما أريد به وجهه . و قيل
إلا ملكه .“

وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لُوجِهِهِ
اللَّهِ ﴾ (٥) يقول (٦) : ” لوجه الله ؛ أى : لذات الملك الذى استجمع الجلال والإكرام
لكونه أمرنا بذلك، و عبر بالوجه ؛ لأن الوجه يستحى منه و يرجى و يخشى
عند رؤيته .“

• العلم :

أثبت الخطيب الشربيني لله - عز وجل - العلم ، فعند انتهائه من
تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ

1 - سورة القمر : جزء من آية ١٤ .

2 - ينظر : السراج المنير جـ ٧ ص ٢٢٢ .

3 - سورة القصص : جزء من آية ٨٨ .

4 - ينظر : السراج المنير جـ ٥ ص ١٧٩ .

5 - سورة الإنسان : جزء من آية ٩ .

6 - ينظر : السراج المنير جـ ٨ ص ٢٠٦ .

مِنْهَا لَمَّا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿١﴾
يقول (٢): " فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى ؟ أجب بأن الله يفهمه و يلهمه فيخشى بالهامه، قال البغوى (٣): ومذهب أهل السنة أن الله - تعالى - علماً فى الجمادات و سائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره؛ فلها صلاة و تسبيح ؛ كما قال - جل ذكره - : "و إن من شىء إلا يسبح بحمده" [الإسراء، ٤٤] وقال - تعالى - : " و الطير صافات كل قد علم صلاته و تسبيحه" [الإسراء ٤٤][النور ٤١] وقال - تعالى - : " ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات و من فى الأرض و الشمس و القمر" [الحج ١٨] الآية فيجب على المرء الإيمان به و بكل علمه إلى الله - سبحانه و تعالى - .

• قضية الجبر و الاختيار :

عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾ (٤) يقول الخطيب الشربيني (٥) : "أرادوا أن يجعلوا قولهم: "لو شاء الله ما أشركنا" حجة لهم على إقامتهم على الشرك ، و قالوا: إن الله قادر على أن يحول بيننا و بين ما نحن فيه حتى لا نفعله فلو أنه رضى ما نحن فيه و أرادنا منا و أمرنا به لحال بيننا و بين ذلك؛ فقال الله تعالى تكذيباً لهم : "كذلك كذب الذين من قبلهم" أى: كفار الأمم الماضية "حتى

1 - سورة البقرة : جزء من آية ٧٥ .

2 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ١١٤، ١١٥ .

3 - ينظر: تفسير البغوى على هامش الخازن ج ١ ص ٧٤ .

4 - سورة الأنعام : جزء من آية 148 .

5 - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ١٦٧ .

ذاقوا بأسنا "أى: عذابنا. و يستدل أهل القدر^(١) بهذه الآية يقولون: إنهم لما قالوا: "لو شاء الله ما أشركنا" كذبهم الله ورد عليهم؛ فقال: "كذلك كذب الذين من قبلهم" و أجاب أهل السنة: "بأن التكذيب ليس فى قولهم: إن الله أمرنا بها و رضى ما نحن عليه كما أخبر- تعالى - عنهم فى سورة الأعراف" وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها "الأعراف ٢٨] فالرد عليهم فى هذا كما قال - تعالى - : "قل إن الله لا يأمر بالفحشاء" [الأعراف ٢٨] و الدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا فى قولهم: "لو شاء الله ما أشركنا" قوله - تعالى - : "كذب الذين من قبلهم" بالتشديد ولو كان (كذلك) خبراً من الله عن كذبهم فى قولهم: "لو شاء الله ما أشركنا" لقال: "كذب الذين من قبلهم" بالتخفيف، وكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب. وقال الحسين بن الفضل: لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله - تعالى - ومعرفة منهم لما غلبهم بذلك؛ لأن الله - تعالى - قال: "و لو شاء الله ما أشركوا" [الأنعام ١٠٧] وقال - تعالى - : "وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله" [الأنعام ١١١] والمؤمنون يقولون ذلك و لكن المشركين قالوا تكذيباً و تحريضاً و جدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون. نظيره قوله - تعالى - "وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم" [الزخرف ٢٠] وقد علم من ذلك أن أمر الله - تعالى - بمعزل عن مشيئته وإرادته فإنه يريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد وعلى العبد أن يتبع أمره و ليس له أن يتعلق بمشيئته؛ فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد."

^١ - أهل القدر: هم إحدى الفرق الكلامية المنتسبة إلى الإسلام، ذات المفاهيم والآراء الإعتقادية الخاطئة فى مفهوم القدر حيث قالوا: بإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم وأنه ليس لله تعالى عن قولهم دخل فى ذلك ولا قدرة ولا مشيئة ولا قضاء كما أنكروا علم الله تعالى السابق، وقد وجدت طائفة منهم تثبت العلم والكتاب وتنكر المشيئة؛ ينظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب للجهنى ج٢ ص ١١٢٤، ١١٢٥.

وعند تفسيره لقوله - تعالى - : " ﴿ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) يقول (٢) : نطبع ؛ أى : نختم "على قلوب المعتدين" فى كل زمان لكل من تعمد العدول فيما لا يحل له ؛ فلا يقبل الإيمان لانهماكهم فى الضلال واتباعهم المألوف ، وفى أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة بقدر الله - تعالى - وكسب العبد .

• رؤية الله:

يقول الخطيب الشربيني بحصول رؤية الله عز وجل فى الآخرة ؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٣) يقول (٤): " إلى ربها" أى: المحسن إليها خاصة؛ باعتبار أن عد النظر إلى غيره كلا نظر، "ناظرة" أى: دائما هم محدقون أبصارهم لا غفلة لهم عن ذلك، فإذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم ؛ بدليل التعدى بالى، وذلك النظر جهة من غير اكتتام ولا تضام ولا زحام ؛ كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، وأكثر المفسرين، وجميع أهل السنة، وروى عن النبي ﷺ فى الأحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة، وتكون الرؤية كما مثلت فى الأحاديث كما يرى القمر ليلة البدر؛ أى: كل من يريد رؤيته من بيته يراه مجليا له، هذه وجه الشبه، إلا أنه فى جهة ولا فى حالة لها شبيهه - تعالى - الله الكريم عن التشبيهه.

فمن تلك الأحاديث ما روى عن جرير بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال ﷺ: (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة

1 - سورة يونس : جزء من آية ٧٤ .

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٤٧ .

3 - سورة القيامة: آية ٢٣ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ١٩٠ .

قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)، ثم قرأ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾^(١) [طه: ١٣٠].

وفى كتاب النسائي عن وهب قال: "ينكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر ولا أقر لأعينهم"^(٢).

ورد الخطيب الشربيني على المعتزلة في إنكارهم الرؤية؛ فقال عند تفسيره الآية نفسها السابقة^(٣)(٤): "وأنكر الرؤية المعتزلة واحتجوا بقوله - تعالى - : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ويقولون: النظر المقرون بإلى ليس إسمًا للرؤية بل لمقدمة الرؤية؛ وهي تغليب الحدقة نحو المرئى التماساً لرؤيته، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة وكالإصغاء بالنسبة إلى السمع، ويدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فأثبت النظر حال عدم الرؤية، فنكون الرؤية غاية النظر، وأن النظر يحصل والرؤية غير حاصله. قالوا: ويمكن أن يكون معنى قوله - تعالى -: "ناظرة" فتتظره؛ كقولك أنا أنظر إليك في حاجتى"

1 - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب: التفسير ، باب: قوله تعالى "سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقيل الغروب" ح ٤٨٥١ ، والترمذى فى سننه - كتاب: صفة الجنة ، باب: ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى جـ ٤ ص ٣٩٨ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

2 - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب: الإيمان ، باب: إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح ١٨١ جـ ١ ص ١٧١ .

3 - " إلى ربها ناظرة " القيامة " آية ٢٣ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ١٩٠ ، ١٩١ .

وأجيب عن استدلالهم: " بقوله - تعالى -: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ بأنه لا تدركه بالإحاطة والجهة ؛ فلا يكون ذلك مانعا للرؤية على هذا الوجه .
وعن بقية استدلالهم بما ذكروه بجوابين:

أحدهما: أن نقول: النظر هو الرؤية لقول موسى - عليه السلام -:
﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو
المرئى لافتضت الآية إثبات الجهة والمكان، ولأنه أحر النظر عن الإرادة فلا
يكون تقليب الحدقة.

الجواب الثانى: إذا سلمنا ما ذكرتموه من أن النظر تقليب الحدقة ؛ تعذر
حملة على الحقيقة ؛ فيجب حملة على الرؤية إطلاقا لاسم السبب على
المسبب وهو أولى من حملة على الانتظار لعدم الملازمة؛ لأن تقليب الحدقة
كالسبب للرؤية، ولا تعلق بينه وبين الانتظار.

وأما قولهم بحمله على الانتظار فأجيب عنه: بأن الذى هو بمعنى
الانتظار فى القرآن غير مقرون بإلى، كقوله - تعالى -: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
أَنْ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] والذى ندعيه أن النظر المقرون بإلى ليس إلا بمعنى
الرؤية؛ لأن وروده بمعنى الرؤية ظاهر؛ فلا يكون بمعنى الانتظار؛ دفعا
للاشتراك.

كلام الله:

يثبت الخطيب الشربيني صفة الكلام لله - عز وجل - ويرى أنها صفة
أزلية قديمة، وأن كلام الله - عز وجل - ليس بمخلوق؛ فيقول عند تفسيره
لقوله - تعالى -: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١) (٢) : "هو منتهى مراتب
الوحي ؛ أى: كلمه على التدرىج شيئا فشيئا بحسب المصالح بغير واسطة

¹ - سورة النساء: جزء من آية ١٦٤.

² - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٥٤٣ ، ٥٤٤.

مَلَكٌ، فلا فرق في الوحي بين ما كان بواسطة ، وما كان بلا واسطة ،
وخص به موسى من بين سائر الأنبياء غير نبينا ، وأما نبينا ﷺ فقد فضله الله
بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم“ .

وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾^(١) يقول الخطيب الشربيني^(٢): " دللت الآية الكريمة على أنه - تعالى -
كلم موسى - عليه السلام - والناس مختلفون في كلام الله ؛ قال
الزمخشري في كشافه^(٣): " وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم المَلَك . وهذا
مذهب المعتزلة ، ولا شك في بطلانه وفساده لأن ذلك الجرم كالشجرة لا
يقول: أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ؛ فثبت بذلك بطلان
ما قالوه . وذهب بعض الحنابلة والحشوية^(٤) إلى أن كلام الله - تعالى -

1 - سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣ .

2 - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٢٥٠ .

3 - ينظر: الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١١١ .

4 - هذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع ولا في اللغة ولا في العرف العام
ولكن يذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمر بن عبيد حين ذُكر له عن ابن عمر رضي
الله عنه ما يخالف مقولته فقال: كان ابن عمر حشويًا ، وأصل ذلك أن كل طائفة قالت
قولًا تخالف به الجمهور والعامة ينسب إلى أنه قول الحشوية ، أي الذين هم حشو في
الناس ليسوا من المتأهلين عندهم ، فالمعتزلة تسمى من أثبت القدر حشوية ، والجهمية
يسمون مثبت الصفات حشوية والرافضة يسمون قول أهل السنة والجماعة قول الجمهور
وكذلك الفلاسفة تسمى ذلك قول الجمهور فقول الجمهور وقول العامة من جنس
واحد، وأخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء لما استأذن ابن أبي داود على الجاحظ
قال: من أتى؟ قال رجل من أصحاب الحديث فقال: أو ما علمت أني لا أقول بالحشوية،
والجاحظ متكلم معتزلي يرى أن أهل الحديث والأثر حشوية؛ ينظر: فتاوى ابن تيمية
ج ١٢ ص ١٧٦ ، منهاج السنة النبوية لإبن تيمية العباس تقى الدين أحمد بن
عبدالحليم، تحقيق د. محمد رشاد سلم ط. مكتبة بن تيمية - القاهرة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
الثانية ج ٢ ص ٥٢٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٣٥٠ .

حروف وأصوات منقطعة وأنه قديم، قال الإمام الرازي: (١) "وهذا القول أخس من أن يلتفت إليه العقل. والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن كلام الله - تعالى - صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات، وأن موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الأزلية؛ قالوا: كما أنه لا يبعد رؤية ذاته مع أن ذاته ليست جسماً ولا عرضاً؛ كذلك لا يبعد سماعه كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفاً ولا صوتاً. وفيما يروى أن موسى - عليه السلام - كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة - تنبيه على أن سماع كلامه - تعالى - القديم ليس من جنس كلام المحدثين".

ويرد الخطيب الشربيني القول بأن القرآن مخلوق عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) إذ يقول (٣): " تنبيه: احتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي؛ نحو: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ [نوح: ١] على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضي سابقة المخبر عنه، والقديم يستحيل أن يكون مسبقاً بغيره؛ فأجاب أهل السنة: بأن ما جاء فيه بلفظ الماضي مقتضى تعلق الحكم بالخبر عنه، وحدث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث المخبر عنه؛ فلا يستلزم حدوث كلام الله؛ كما في عمله - تعالى - فإنه قديم ومقتضى تعلقه بغيره حادث؛ والحاصل أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق - وهو الكلام اللفظي - حدوث الكلام النفسي.

١ - ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ج١ ص ١٤٤ - ١٨٦ .

٢ - سورة البقرة: آية ٦ .

٣ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٥، ٤٦ .

٢ - النبوات

النبوات من المسائل الرئيسية فى العقيدة ؛ وذلك لأن اتصال السماء بالأرض بتبليغ رسالة من رسالات الله - عز وجل - لا يمكن أن يكون إلا بواسطة، وهذه الوساطة هى الرسول أو النبى؛ لذا نرى أن مباحث النبوات تلى مباحث الإلهيات.

ومن هنا جاء اهتمام المفسرين ببيان ما يتعلق بالنبوات من مسائل، والقارىء لتفسير " السراج المنير" الذى نحن بصدده يلحظ أيضا عناية المفسر بمسائل النبوات ؛ ومن أهم المسائل التى تناولها الخطيب الشربيني فى تفسيره الآية:

١ - الشفاعة:

يقول الخطيب الشربيني بالشفاعة لعصاة المسلمين يوم القيامة ، ويرد على من ينكرها عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾^(١) يقول^(٢): " تنبيه: قول البيضاوى^(٣) وإبراده أى: شيئاً منكراً مع تنكير النفسين للتعظيم والإقناط الكلى - تبع فيه "صاحب الكشاف"^(٤) وهو جارى على مذهب المعتزلة من أنهم ينكرون الشفاعة للعصاة ، وسيأتى الجواب على مذهبه "ولاتقبل" بالتاء على التأنيث كما قرأ به ابن كثير وأبو عمرو، و بالياء على التذكير كما قرأ به الباقر "منها شفاعة" أى: من النفس الثانية ؛ لقوله - تعالى - : "ولا يؤخذ منها عدل" أى: فداء " ولا هم ينصرون" أى: يمنعون من عذاب الله ؛ إذ الضمير فى الجملتين للنفوس

١ - سورة البقرة آية ٤٨ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٩٤ .

٣ - ينظر: حاشية زاده على البيضاوى ج ٢ ص ٣٩ .

٤ - ينظر: الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٢٧٩ .

العاصية ، ويصح رجوعه للنفس الأولى ؛ لأنها المحدث عنها فى قوله - تعالى - : " لا تجزى نفس عن نفس " والثانية مذكورة على سبيل الفضلة لا العمدة وتذكير ضمير " ولا هم ينصرون " مع أن الضمير راجع للنفوس ، وكان المناسب هنّ بالتأنيث - لأنه بمعنى العباد أو الإناث ؛ كما تقول ثلاثة أنفس " بالتاء " مع تأنيث النفس ؛ بتأويل النفوس بالأشخاص أو الرجال . والنصرة أخص من المعونة ؛ لاختصاصه بدفع الضرر . وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ؛ وأجاب أهل السنة عن ذلك بأجوبة ؛ منها : أن الآية مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة فى الشفاعة ؛ ويؤيد هذا أن الخطاب معهم ؛ وعلى هذا يتمشى قول البيضاوى المار ؛ ويكون المراد حينئذ أنه ليس لها شفاعة فتقبل ؛ كما قال - تعالى - حاكيا عنهم : ﴿ مَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٠] .

ومنها : أن الآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم .
ومنها : أنها لا تشفع إلا بإذن الله .

٢ - المعجزة :

قررّ الخطيب الشربيني ما جاء به القرآن الكريم من معجزات الأنبياء عند تفسيره للآيات القرآنية التى تشملها ، واعترض على من ينكر هذه المعجزات .

● فعند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١) يقول (٢) : " من أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله - تعالى - وقلته تدبره فى عجائب صنعه ، فإنه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يخلق

1 - سورة البقرة : آية ٦٠ .

2 - ينظر : السراج المنير ج١ ص ١٠٤ .

الشعر؛ كالنورة ، ويجذب الحديد ؛ كالمغناطيس ، وينفر الخل ؛ كالهربان ؛ فإنه إذا وضع فى إناء لا يحصل الخل فى ذلك الإناء — لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب الأربعة ويصيره ماء بقوة التدبير، ونحو ذلك .“

● وأيضاً يؤكد أن المعجزة من دلائل النبوة التى تصدق النبى و تشهد له عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (١) فيقول (٢): ” فإن قيل: ما كانت معجزته إذ لم تذكر له معجزة؟ أجيب: بأنه قد وقع العلم بأنه كان له معجزة لقوله: ”قد جاءتكم بينة من ربكم“ ولأنه لا بدّ لمُدعى النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه ؛ وإلا لم تصح دعواه ، وكان متنبئاً لا نبياً، غير أن معجزته لم تذكر فى القرآن ؛ كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا محمد ﷺ .“

وقد تعرّض الخطيب الشربيني بالشرح والبيان لكل ما ورد فى القرآن الكريم من معجزات للأنبياء .

● فعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ (٣) يقول (٤): ” أى علامة على صدقى ، أو "آية" نصبت على الحال ؛ عاملها ما دلّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ؛ كأنه قال: أشير إليها آية . و"لكم" بيان لـ"من" هى له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود ؛ لأنهم عابنوها ؛ وسائر الناس أخبروا ؛ وليس الخير كالمعائن ؛ كأنه قال لكم خصوصاً ؛ وإنما أضيفت إلى الله — تعالى — تعظيماً لها وتفخيماً لشأنها ؛

1 - سورة الأعراف: جزء من آية ٨٥ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٢٢٢ .

3 - سورة الأعراف: جزء من آية ٧٣ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٢١٦ .

كما يقال: بيت الله ؛ ولأنها جاءت من عند الله - تعالى - بلا وسائط وأسباب معهودة ؛ ولذلك كانت آية ﴿ فَذَرُوهَا ﴾ أى: اتركوها ﴿ تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ أى: العشب ؛ فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات إنباتكم ﴿ وَلَا تَمْسُوْهَا بِسَوْءٍ ﴾ أى: بشيء من أنواع الأذى ؛ لا بعقر ولا بغيره . وقوله ﴿ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى: بسبب أذاها - جواب النهى - .

● كما أشار إلى معجزات عيسى - عليه السلام - عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) فيقول ^(٢): " قد جئتكم بآية " أى: علامة " من ربكم " تصدق قولى، وإنما قال بآية وقد أتى بآيات؛ لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه فى الرسالة ... "أخلق" أى: أصور "لكم من الطين كهية الطير" أى: مثل صورته فيصير طيرا كسائر الطيور، وحيًا طيارًا "فأنفخ فيه" الضمير للكاف أى: فى ذلك المماثل للطير؛ أى: فى فيه "فيكون طيرا بإذن الله" أى: بإرادته، نبه بذلك على أن إحياءه من الله - تعالى - لا منه ... "وأبرئ" أى: أشفى "الأكمه" وهو الذى ولد أعمى أو ممسوح العينين، ... "والأبرص" وهو الذى به برص وهو بياض شديد يبقع الجلد ويذهب دمويته ، وإنما خص هذين المرضين بالذكر؛ لأنهما أعيا الأطباء ، وكان الغالب فى زمن عيسى الطب ؛ فأراهم المعجزة من جنس ذلك ... وإنما قال ، ثانيًا "وأحى الموتى بإذن الله" وكرر "بإذن الله" دفعا لتوهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية ... "وأنبئكم" أى: أخبركم "بما تأكلون" بما لم أعينه "وما تدخرون" أى: تخبئون للعشاء حتى

¹ - سورة آل عمران: آية ٤٩ .

² - السراج المنير: ج ١ ص ٣٣٩، ٣٤٠ باختصار .

تأكلوه ؛ فكان يخبر الرجل بما أكل البارحة ، وبما أكل اليوم ، وبما ادخره للعشاء .“

وهذه بعض من أمثلة كثيرة تتبع فيها الخطيب الشريبي معجزات الأنبياء^(١).

٣ - العصمة:

يقول الخطيب الشريبي بعصمة الأنبياء بعد النبوة ، ويرد على من ينكرها، لكنه لا ينكر صدور المعصية عنهم قبل النبوة:

● فعند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٢) يقول^(٣): ” واستدل بعض الخوارج كالحشوية - وهم قوم جوزوا الخطاب بما لا يفهم بها على عدم عصمة الأنبياء بوجوه: الأول: أن آدم - عليه السلام - كان نبياً وارتكب المنهى ، والمرتكب له عاص. والثاني: أنه جعله بارتكابه من الظالمين، والظالم ملعون ؛ لقوله - تعالى - : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] والثالث: أنه أسند إليه العصيان والغى ؛ وقال: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١] والرابع: أنه - تعالى - لقنه التوبة ؛ وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه. والخامس: اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله له؛ بقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] والخاسر من يكون ذا كبيرة. والسادس: أنه لو لم يذنب ما جرى عليه ما جرى.

^١ - ينظر السراج المنير: ج٢ ص١٢٧، ١٢٣، ٢٣٢، ج٣ ص٣٩٥، ٣٩٤، ج٥ ص٤٣، ٤٤، ج٧ ص٢٢٠، ٢٣٢.

^٢ - سورة البقرة: آية ٣٩.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج١ ص٨٨ .

وأجيب عن ذلك بوجوه:

الأول: أنه لم يكن نبيا حينئذ ، والمدعى مطالب بالدليل ولا دليل.

الثاني: أن النهي للتنزيه، وإنما سمي ظالماً وخاسراً ؛ لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى ، وإنما أجرى الله - تعالى - ما جرى ؛ معاتبته على ترك الأولى ووفاء بما قاله - تعالى - للملائكة قبل خلق آدم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] ولا يكون خليفة في الأرض إلا بالإهباط إليها. وأمر بالتوبة تلافياً لما فاتته.

الثالث: أنه فعله ناسياً ؛ لقوله - تعالى -: ﴿ فَنَسِيَ وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عِزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ولكن عوقب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ؛ إذ رفع الإثم بالنسيان من خصائص هذه الأمة ؛ كما ثبت في الأخبار الصحيحة ؛ كخبر الشيخين: (رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان)^(١)

وروى الترمذى وصححه: (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) رواه الحاكم بلفظ (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون)^(٢).

الرابع: أنه - عليه الصلاة والسلام - أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظنّ أن النهي للتنزيه أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها، وكان المراد بالإشارة الإشارة إلى النوع لا إلى شجرة معينة كما

¹ - سبق تخريجه ص ٧٦ .

² - أخرجه الترمذى في سننه - كتاب : الزهد، باب : ما جاء في الصبر على البلاء جـ ٤ ص ٣٢٨ ح ٢٣٩٨ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في - كتاب: الفتن ، باب : الصبر على البلاء جـ ٣ ص ٤٢٧ ح ٤٠٢٣ برقم (٢٣٩٨) والدارمى فى الرقاق، باب: فى أشد الناس بلاءً جـ ٢ ص ٢٠٦ ح ٢٧٨٣ . وأحمد فى مسنده جـ ٢ ص ٢٢٧ ح ١٤٨١. والحاكم فى المستدرک - فى كتاب: معرفة الصحابة ، باب : محبة أبى ذررضى الله عنه جـ ٣ ص ٣٨٦ ح ٥٤٦٣ وسكت عنه الحاكم.

روى أبو داوود وغيره، أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريراً وذهباً بيده وقال: (هذان حرام على ذكور أمتي حلّ لإناثها) (١).

فإن قيل: المجتهد إن أخطأ لا يؤاخذ؛ أجب: بأنه إنما عوتب على ذلك؛ تعظيماً لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده “

● وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) يقول (٣): ” وقد استدل من يرى صدور الذنب من الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – بهذه الآية، وردّ بأن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله – تعالى – في أعلى الدرجات، ولكن يؤاخذون بما لم يؤاخذ به غيرهم ، وأنهم ربما عوتبوا بأمر صدرت منهم على سبيل التأويل ؛ فهم بسبب ذلك خائفون وجلون . وهى ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة إلى كمال طاعتهم ، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم؛ ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله – تعالى – ذنوب بالنسبة إلى أحوالهم؛ فقالا ذلك على عادة المقرّبين فى استعظام الصغير من السيئات وتحقير العظيم من الحسنات . وقد تقدّم الكلام على ذلك فى سورة "البقرة" ومن جملة ذلك إنما أكل الشجرة قبل النبوة “.

١ - أخرجه النسائي فى سننه - كتاب: الزينة ج٤ ص512 ح ٥١٥٩ . وابن ماجه فى سننه - كتاب: اللباس، باب: لبس الحرير والذهب للنساء ج٣ ص٢٧١ ح ٣٥٩٥ من طريق أبى أفلح بلفظ (إن هذين حرام على ذكور أمتي حلّ لإناثهم). وأبو داوود فى سننه - كتاب: اللباس، باب: فى الحرير للنساء ج٤ ص١٧٤١ برقم (٤٠٥٧) بلفظ (إن هذين حرام على ذكور أمتي) وقال محققوه: صحيح .

٢ - سورة الأعراف: آية ٢٣ .

٣ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص١٨٦، ١٨٧ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ
مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمِّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ﴾^(١) يقول الخطيب
الشربيني^(٢): "أى: أولاده ؛ وهذا يقتضى حصول تمام النعمة لآل يعقوب،
وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مرّ ؛ فلزم حصولها لآل يعقوب ،
وأيضاً أن يوسف - عليه السلام - قال: "إني رأيت أحد عشر كوكباً "
وكان تأويله : أحد عشر نفساً لهم فضل وكمال - ويستضىء بعلمهم ودينهم
أهل الأرض ؛ لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها يهتدى، وذلك يقتضى
أن تكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلاً.

فإن قيل: كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه
في حق يوسف - عليه السلام -؟ أجيب: بأن ذلك وقع منهم قبل النبوة،
والعصمة من المعاصي إنما تعتبر بعد النبوة لا قبلها على خلاف فيه "
وهكذا نجد منهج الخطيب الشربيني في تفسيره تقرير عصمة الأنبياء
بعد النبوة والرد على من ينكرها.^(٣)

1 - سورة يوسف: جزء من آية ٦.

2 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص١٣٢، ١٣٣.

3 - ينظر السراج المنير: ج٢ ص٢٧٨، ٢٠٢، ج٣ ص٤٩٤، ٩٠،

ج٤ ص٢٠٧، ج٥ ص٢٩، ج٧ ص٦٠.

٣ - الغيبات

عدَّ أهل السلف ورجال الحديث الإيمان بالغيب جزءاً من أصول الدين يستوى مع الإيمان بالله وكتبه ورسله، ولا أستطيع ذكر كل الامور السمعية التي يجب على المسلم الإيمان بها؛ لأن المقام يضيق عن ذكرها، ولكنني سأتناول أظهرها باختصار .

فقد حرص الخطيب الشربيني على إقرار الغيب:

فعدت تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾^(١) يقول^(٢):
"أى يصدقون بما غاب عنهم من البعث ، والجزاء ، والجنة ، والنار ،
والصراط ، والميزان"

ومن أهم المسائل السمعية التي نبه عليها الخطيب الشربيني في تفسيره:

البعث:

فعدت تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾^(٣)
يقول^(٤): "أى: على سبيل التجديد كما تشاهدون: وأشار إلى تعظيم الإعادة
بأداة التراخي ؛ فقال "تم يعيده" أى: بعد الموت للبعث"

ويرد على منكرى البعث عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ
اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَمْ يَغِي بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ
الْمُوتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٥) فيقول^(٦): " على أن يحيى " أى: على

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٣ .

2 - ينظر السراج المنير: ج١ ص 42 .

3 - سورة الروم: جزء من آية ٢٧ .

4 - ينظر السراج المنير: ج٥ ص ٢٣٩ .

5 - سورة الأحقاف: آية ٣٣ .

6 - ينظر السراج المنير: ج٧ ص ٣١ .

سبيل التجديد مستمرًا "الموتى" وأسهل صنعًا ، وأجاب بقوله - تعالى -
"بلى" لأن هذا الاستفهام الإنكارى فى معنى النفى؛ أى: قد علموا أنه قادر
على ذلك علما هو فى إيقانه كالبصر؛ لأنهم يعلمون أنه المخترع لذلك، وأن
الإعادة أهون من الابتداء فى مجارى عاداتهم، ولكنهم عن ذلك غافلون ؛
لأنهم عنه معرضون. وقوله - تعالى - : "إنه على كل شىء قدير" تقدير
للقدرة على وجه عام ، يكون كالبرهان على المقصود ؛ كأنه لما صدّر
بتحقيق المبدأ أراد ختمها بإثبات المعاد".

الحشر:

يشير الخطيب الشربيني إلى الحشر عند تفسيره لقوله - تعالى -:
﴿وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾
(١) فيقول(٢): "وحشرناهم" أى: الخلائق قهراً إلى الوقت الذى تتشكف فيه
المخبات، وتظهر القبائح والمغيبات ، ويقع الحساب فيه على النقيير والقطمير،
والناقد فيه بصير "فلم نغادر" أى: نترك "منهم" أى: الأولين والآخرين "أحدا"
لأنه لا ذهول ولا عجز. ونظيره ﴿قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
{49} لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩ ، ٥٠] فإن قيل: لم
جىء فحشرناهم ماضيا بعد "نسير" و"ترى" ؟ أجيب: بأن ذلك يقال للدلالة
على أن حشرهم قبل التسيير وقبل اليوم ليعاينوا تلك الأهوال العظام ؛ كأنه
قيل: وحشرناهم قبل ذلك ."

1 - سورة الكهف: آية ٤٧ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٥١ .

الحساب:

فعدت تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ {7} ﴾
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿^(١) يقول (٢): " فأما من أوتى كتابه" أى:
كتاب عمله الذى كتبه الملائكة. "بيمينه" أى: من أمامه وهو المؤمن المطيع،
"فسوف يحاسب" أى: يقع حسابه بوعده لا خلف فيه، وإن طال الأمد لإظهار
الجبروت والكبرياء والقهر "حسابا يسيرا" هو عرض عمله عليه كما فسر فى
حديث الصحيحين ^(٣) وفيه (من نوقش هلك: وفى رواية: "من حوسب عذب".
وقالت عائشة: "أليس يقول الله - تعالى - : "فسوف يحاسب حسابا يسيرا"
فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب) وإنما حوسب حسابا
سهلاً؛ لأنه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة إلا ذهولاً؛ فلأجل ذلك
تعرض أعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها ."

الصراط:

عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ ^(٤) يقول ^(٥): " نقتبس: أى:
نستضيء "من نوركم" أى: هذا الذى نراه لكم ولا يلحقنا منه شيء ؛ كما كنا
فى الدنيا نرى إيمانكم بما نرى من ظواهركم ولا نتعلق من ذلك بشيء
﴿جَزَاءً وَفِاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] وذلك ؛ لأن الله - تعالى - يضىء للمؤمنين نوراً
على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطى المنافقين أيضاً نوراً
خديعة لهم وهو قوله - تعالى - : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] فبينما

١ - سورة الانشقاق: الآيتان ٧، ٨.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٢٩٤.

٣ - سبق تخريجه ص ٥٦ .

٤ - سورة الحديد: جزء من آية ١٣.

٥ - ينظر: السراج المنير ج ٧ ص ٣١٣، ٣١٤.

هم يمشون ؛ إذ بعث الله ريحاً وظلمة فأطفأت نور المنافقين ؛ فذلك قوله - تعالى - : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ۸] الآية، مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين. والقبس : الشعلة من النار، أو السراج .“

الميزان:

ف عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(۱) يقول^(۲): ” فمن ثقلت موازينه“ أى: بالأعمال المقبولة ؛ قال البقاعى^(۳): ولعل الجمع ؛ لأن لكل عمل ميزاناً يعرف أنه لا يصلح له غيره، وذلك أدل دليل على القدرة ”فأولئك“ أى: خاصة . قال أيضاً: ولعله جمع للبشارة بكثرة الناجى بعد أن أفرد ؛ للدلالة على كثرة الأعمال ، أو على عموم الوزن لكل فرد ”هم المفلحون“ أى: الفائزون بالنجاة والدرجات العلى “

الحوض:

عند تفسير الخطيب الشربيني لسورة الكوثر يقول^(۴): ” الكوثر“ أى: نهراً فى الجنة هو حوضه ﷺ ترد عليه أمته (كما روى عن أنس أنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسماً؛ فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: أنزل على أنفا سورة ؛ فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ إلى آخرها، ثم قال : أتدرون ما الكوثر؟ قلنا : ” الله ورسوله أعلم ؛ قال: فإنه نهر وعدنيه ربه ،

1 - سورة المؤمنون: آية ۱۰۲ .

2 - ينظر: السراج المنير ج ٤ ص ٣٥٩ .

3 - ينظر: تفسير نظم الدرر ج ٥ ص ٢٢٢ .

4 - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٤٤٢ .

خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة، أنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول ربى إنه من أمتى فيقول: ما تدرى ما أحدث بعدك^(١)

الملائكة:

عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٢) يقول الخطيب الشربيني^(٣): " والملائكة جمع ملك ، أصله ملاك ، والتاء لتأنيث الجمع ، وهو مقلوب مَأَلِك من الألوكة ؛ وهى الرسالة؛ لأنهم وسائط بين الله - تعالى - وبين الناس ؛ فهم رسل الله أو كالرسل إليهم لتوسط الأنبياء بينهم وبين الناس ، واختلف العلماء فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة عنها بأنفسها ؛ فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة شفافه ، ويعبرون عنها بنورانية ، قادرة على التشكيل بأشكال مختلفة. والجنّ قادرة على ذلك ؛ واستدلوا على ذلك بأن الرسل كانوا يرونهم أجساماً لطيفة متشكلة بأشكال مختلفة. وزعم الحكماء -يعنى الفلاسفة- أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة. وقالت طائفة من النصارى: هى النفوس الفاضلة ؛أى: المتصفة بفضائل العلم والعمل، بخلاف الشريرة فإنها عندهم: الشياطين البشرية الناطقة. قوله: البشرية وما بعده: صفة للنفوس المفارقة للأبدان ؛ يعنى: ما دامت فى الأبدان تسمى النفوس، فإذا فارقتها كانت الملائكة، والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص، وقيل ملائكة الأرض ؛ وذلك أن الله - تعالى - خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجنّ ؛ فأسكن الملائكة السماء ، وأسكن الجنّ الأرض فمكثوا فيها دهرًا طويلاً ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا فيها ؛ فبعث الله - تعالى - إليهم جنداً من الملائكة يقال له: الجنّ ؛

¹ - سيق تخريجه ص ٥٦ .

² - سورة البقرة: جزء من آية ٣٠ .

وهم خزان الجنان ، اشتق لهم اسم من الجنة، رأسهم إبليس ؛ فكان رئيسهم ومن أشدهم وأكثرهم علما؛ فهبطوا إلى الأرض ، وطرردوا الجن إلى شعوب الجبال وبطن الأودية وجزائر البحور، وسكنوا الأرض وخفف الله - تعالى- عنهم العبادة ، وأعطى الله تعالى إبليس ملك الأرض ، وملك السماء الدنيا ، وخرانة الجنة ، وكان يعبد الله تارة فى الأرض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة ؛ فدخله العجب ، وقال :ما أعطانى الله - تعالى - هذا الملك إلا لأنى أكرم الملائكة عليه؛ فقال - تعالى - له ولجنده: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .“

وهذه بعض الأمثلة التى ذكر الخطيب الشربيني الكثير غيرها فى تفسيره؛ مما يظهر اهتمامه بمسائل العقيدة⁽¹⁾ ؛ فقد جاء تفسيره للآيات التى تضمنت مسائل العقيدة مصحوباً بتعليق يوضح مذهبه العقدي وهو مذهب أهل السنة والجماعة، ولم يكتف بالأدلة النصية من القرآن والسنة ، بل تعرض للأدلة العقلية وأقوال الآخرين من العلماء والمفسرين ، مفنداً المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، وينضح بذلك أن للخطيب الشربيني فكره المتميز فى علوم العقيدة.

ينظر: السراج المنير ج ١ ص ١٣، ٤٣، ٧١، ٧٢، ٧٦، ١٢٥، ١١٨، ١٣٠، ٩٠، ١٣٤، ٢٣٠، ٣١٠، ٣١٢، ٤٨٢، ٥٠٧، ٥٣٣، ج ٢ ص ٦٣، ٦٤، ٦٥، ١٢٥، ٢٥٠، ٣٠٢، ٤٧٠، ٤٨٢، ٥٤٣، ج ٣ ص ٨، ٩، ١٠، ٤٠، ٤٤، ٤٩، ٤٧، ١٢٥، ٢١١، ٢١٤، ٢٥٧، ٤١٢، ٤١٤، ٤٤١، ج ٤ ص ٣١، ٩٣، ١٦٨، ١٩٠، ج ٥ ص ٤٣، ٤٤، ١٧٩، ج ٦ ص ٢٢٧، ٣٢٠، ٣٢١، ٢٣٢، ٣٣٩، ٤٠٨، ج ٧ ص ١٨٩، ٢٠١، ٢٤٥، ٣٠٦، ٣٥٦، ٤٥٣، ج ٨ ص ٦٥، ١٩٠، ٢٣٠.

الفصل الثالث : توظيفه علوم اللغة فى التفسير

” أجمع علماء الشريعة وفقهاؤها على أهمية الدراسة اللغوية للنص؛ للوصول إلى مراد الله – عز وجل – فاشتراط أهل العلم فى أى مجتهد أن يكون إمامه عميقاً بأسرار العربية ؛ لذلك لجأ أئمة الاستنباط إلى قواعد اللغة يستعينون بها على بيان أحكام الله ، بل جعلوها أحياناً حكماً بين الآراء ومرجعاً لبعض الأحكام ؛ فكانت مباحث الألفاظ العربية باباً رئيساً فى علم أصول الفقه“^(١).

” واشتراط العلماء فى المفسر للقرآن الكريم أن يكون متبحراً فى علوم اللغة؛ ليستطيع دراسة النص من جوانبه اللغوية المتعددة ؛ لما لها من أثر فى فهم النص القرآنى ؛ ومن أهم هذه العلوم: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم الصرف ، وعلوم البلاغة (المعانى والبيان والبديح)“^(٢).

وقد عنى المفسرون بفروع اللغة فجاءت مقولاتهم فى مقدمات تفاسيرهم تنبيهاً على أهمية التعمق فى العربية بعلومها المختلفة ؛ لفهم اللغة.

” يقول الزمخشري فى مقدمة كشافه: ” ولا يغوص على شىء من تلك الحقائق إلا رجل برع فى علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعانى وعلم البيان، وتمهل فى ارتيادهما آونة ، وتعب فى التنقيب عنهما أزمنة ... فارساً فى علم الإعراب ... متصرفاً ذا دراية بأساليب النظم والنثر ... ولقد رأيت

¹ - النحو والصرف فى خدمة النص القرآنى، أبحاث وقضايا لغوية، أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالأزهر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص ٦١٠، بتصرف.

² - يراجع الإتقان للسيوطى ج ١ ص ٣٩٧: ص ٤٠٠ ، والبرهان ج ١ ص ١٧٣، ص ١٧٤ للزركشى والتفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢٧٥، ص ٢٧٦ والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ١ ص ١٨، ص ١٩.

إخواننا فى الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية— كلما رجعوا إلىّ فى تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب ؛ أفاضوا فى الاستحسان والتعجب “ (١)

ويقول أبو حيان فى مقدمة بحره المحيط^(٢): ” فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب ”سيبويه“، فهو فى هذا الفن المعولّ عليه، والمستند فى حل المشكلات إليه “.

” وأفرد الطاهر بن عاشور المقدمة الثانية من بين عشر مقدمات لتفسيره فى استمداد علم التفسير“ أكد فيها على أهمية علوم اللغة للتفسير والمفسر “ (٣).

ومن العلماء من أفرد مصنفات تناولت النصوص القرآنية من الناحية اللغوية، منها ما اختص بإعراب القرآن ؛ مثل : ”معانى القرآن وإعرابه“ للزجاج ، ”إملاء ما منّ به الرحمن“ للعكرى، و ”إعراب القراءات الشاذة“ للعكرى، و”تأويل مشكل القرآن“ لابن قتيبة ، ومنها ما تناول الناحية البلاغية؛ مثل : ”أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز“ للإمام عبد القاهر الجرجانى.

” وفى كتب التفسير عناية كبيرة بهذه المباحث، وإن كان بعضها يركز على المباحث النحوية كما فى ”البحر المحيط“ لأبى حيان، ومنها ما يعنى بالمعانى البلاغية ؛ مثل تفسير ”الكشاف“ للزمخشري، ومنها ما يعنى بالأحكام واستنباطاتها من النص ؛ مثل ”الجامع لأحكام القرآن“ للقرطبي ، وهكذا “ (٤).

1 - الكشاف للزمخشري ج ١ ص ١٦-١٨ باختصار.

2 - ينظر : البحر المحيط لأبى حيان“ ج ١ ص ١٠١.

3 - ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ١ ص ١٨ - ٢٣.

4 - النحو والصرف فى خدمة النص القرآنى للدكتور/ محمد المختار ص ١٤ بتصرف.

والخطيب الشريبي الذي نحن بصدد تفسيره أيضا عنى عناية فائقة بمباحث اللغة ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ حرصه على توظيف الدلالات اللغوية بكل ألوانها فى استنباط المعنى المراد من الآية ؛ الدلالة المعجمية ، والدلالة النحوية ، والدلالة الصرفية ، والدلالة الصوتية ، والدلالة الإجتماعية ، والمقاصد البلاغية ؛ ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

المبحث الأول: توظيف الدلالة المعجمية فى التفسير:

يعتمد الخطيب الشريبي على التحليل اللغوى المعجمى للكلمة فى استنباط المعنى المراد بها فى سياق الآية، وقد أخذ فى تحليله عدة اتجاهات؛ فنجده يذكر المعنى المرادف للكلمة، ويبين التضاد فى الألفاظ ، والمشارك اللفظى ، أو يرجع بالكلمة عند تفسيرها إلى أصلها المادى قبل أن يعرج على استعمالها فى العرف الشائع بعد نقلها إلى أصلها، أو يفسرها بحسب المشهور من لغة العرب ويراعى عرفهم فى استعمالها قبل أن يشيع فيها اللحن ؛ مستعيناً فى ذلك بالشعر والنثر والعرف، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● عند تفسيره "افتح" من قوله - تعالى - : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾^(١) يقول^(٢): "ربنا افتح" أى: اقض وافصل واحكم ."

● وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾^(٣) يبيّن معنى "مختالاً" فيقول^(٤): "أى: متكبراً على الناس من أقاربه، وأصحابه، وجيرانه، وغيرهم ، ولا يلتفت إليهم ."

1 - سورة الأعراف: جزء من آية ٨٩ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٢٥ .

3 - سورة النساء: جزء من آية ٣٦ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٧٢ .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ ذَلِكْ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ ^(١) بيّن معنى "خزى" فيقول ^(٢): "أى: ذل وإهانة".

● كما بيّن التضاد في كلمة "القرء" عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ ^(٣) فيقول ^(٤): "جمع قرء بفتح القاف وضمها، وهو يطلق للحبض ؛ لقوله - عليه الصلاة والسلام - كما رواه أبو داود وغيره: (دعى الصلاة أيام أقرائك) وللطهر الفاصل بين حيضتين ، وهو المراد في الآية".

● وأيضاً بيّن التضاد في كلمة "أسرّوا" في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ ^(٥) فيقول ^(٦): " وقيل: معنى الإسرار: الإظهار ، وهو من الأضداد ؛ أى : أظهرُوا الندامة ".

● كما يوضح المشترك اللفظي ؛ فعند تفسيره لكلمة "يمل" في قوله - تعالى - : ﴿ وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ ^(٧) يقول ^(٨): " أى: وليكن الممّل على الكاتب من عليه الحق ؛ لأنه المقرّ المشهود عليه. والإملا والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن ، فالإملا ها هنا وهو لغة الحجاز، والإملاء قوله تعالى: ﴿ فَهِيَ تَمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان:٥] وهى لغة تميم ".

1 - سورة المائدة: جزء من آية ٣٣.

2 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٩.

3 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٨.

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٣٢.

5 - سورة سبأ: جزء من آية ٣٣.

6 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٣٩.

7 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢.

8 - ينظر : السراج المنير ج١ ص ٢٩٥.

● وكذلك يوضح المشترك اللفظي في كلمة "الضالين" عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ فَعَلَّتْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾^(١) فيقول^(٢): "أى: من جاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله، والمخطئين كمن يقتل خطأ من غير عمد للقتل. قال ابن جرير: والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال".

● ويتبع الخطيب الشربيني التطور الدلالي للكلمة فيأتي بالمعنى الأصلي الذي وضعت له ، ثم ينقلها من المعنى المادى إلى المعنى الحسى، ويبين المراد بها على المعنى القرآنى فى الآية؛ كما فعل عند تفسيره لكلمة "الكتاب" فى قوله - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^(٣) فيقول^(٤): "والكتاب مصدر سمي به المفعول للمبالغة ، أو فعال بنى للمفعول كاللباس ، ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب ؛ لأنه مما يكتب، وأصل الكتب الضمّ والجمع . سمي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى حرف . والكتاب جاء فى القرآن على وجوه؛ أحدها: الفرض قال - تعالى - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْفُصَّاصُ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣] وثانيها: الحجة والبرهان قال تعالى: ﴿ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الصافات: ١٥٧] أى: برهانكم، وثالثها: الأجل : قال - تعالى - : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ [الحجر: ٤] أى أجل، ورابعها: بمعنى مكاتبة السيد رقيقه؛ قال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ [النور: ٣٣].

1 - سورة الشعراء: آية ٢٠.

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ١٢.

3 - سورة البقرة: جزء من آية ٢.

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٠.

● وأيضاً عند تفسيره لكلمة فتنة في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ ﴾^(١) يبين أصل الكلمة وما آلت إليه؛ فيقول^(٢): "أى: ابتلاء من الله - تعالى - للناس ليمتحنهم بتعليمه . وأصل الفتنة : الاختبار والامتحان؛ من قولهم: فتنت الذهب والفضة ؛ إذا أدبتها بالنار؛ لتميز الجيد من الرديء".

● وكذلك عند تفسيره لكلمة "فاقرة" في قوله - تعالى - : ﴿ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾^(٣) يقول^(٤): " وهى الداهية العظيمة ؛ قال أبو عبيدة: سميت بذلك؛ لأنها تكسر فقار الظهر؛ يقال: فقَرته الفاقرة ؛ أى: كسرت فقار ظهره، ومنه سمي الفقير لانكسار فقاره من القل ".

● وعنى الخطيب الشريبي عند بيانه المعانى المعجمية للكلمات بالعرف السائد عند العرب فى استعمال الكلمة؛ فالمطالع لتفسيره يجده كثيراً ما يرجع إلى كلام العرب للاستشهاد على المعنى المراد بالكلمة فى الآية الكريمة ؛ كما فعل عند تفسيره لمعنى (المعاقدة) فى قوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(٥) فيقول^(٦): " والمعاقدة : المعاهدة والمخالفة. والأيمان : جمع يمين: بمعنى القسم أو اليد ؛ وذلك أنهم كانوا عند المخالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد، ومخالفتهم أن الرجل كان فى الجاهلية يعاقد الرجل؛ فيقول: دمي دمك، وثأرى ثأرك ، وحرى حربك ، وسلمى سلمك، وترثنى وأرثك ، وتطلب منى وأطلب منك ، وتعقل عنى وأعقل عنك؛ فيكون للحليف السدس من مال الحليف . وكان ذلك ثابتاً فى ابتداء

1 - سورة البقرة: جزء من آية ١٠٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٣١ .

3 - سورة القيامة: آية ٢٥ .

4 - ينظر : السراج المنير ج٨ ص ١٩٢ .

5 - سورة النساء: جزء من آية ٣٣ .

6 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٦٧ .

الإسلام فذلك قوله تعالى: ﴿ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ [النساء: ٣٣] أى : أعطوهم حظهم من الميراث “.

● وأيضا عند تفسيره لكلمة (الأزلام) فى قوله – تعالى –: ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾^(١) يقول^(٢): ” والأزلام : جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام: قدح – بكسر القاف – صغير، وهو سهم لا ريش له ولا نصل؛ وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها : أمرنى ربي، وعلى الآخر: نهانى ربي، والثالث : غفل أى: لا سمة عليه فإن خرج الأمر مضوا على ذلك ، وإن خرج الناهى تجنبوا عنه ، وإن خرج الغفل أداروها ثانيًا؛ فمعنى الاستقسام : طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام “.

● ويشير الخطيب إلى استعمال الفعل الماضى بمعنى الإرادة ، ويضرب أمثلة من استعمالات الناس ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾^(٣) فيقول^(٤): ” والذى ذهب إليه الأكثرون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار ، أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا : ومعنى الآية : إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله وتبعثهم على ذلك فلها قدرت ذلك فى الآية الكريمة. ومثل ذلك قوله – تعالى –: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦] ومثله من الكلام: إذا أكلت فسمّ ؛ أى: إذا أردت أن تأكل فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا سافرت فتأهب ؛ أى: إذا أردت السفر فتأهب “.

1 - سورة المائدة: جزء من آية ٣.

2 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ١٠.

3 - سورة النحل: جزء من آية ٩٨.

4 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٣٧٦.

• ويرجع الخطيب الشربيني إلى كلام العرب لترجيح المعنى المراد في الآية ؛ كما فعل عند تفسيره لكلمة "تخوّف" في قوله - تعالى - : ﴿ أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾^(١) فيقول^(٢): " وفي تفسير التَخَوُّفِ قولان ؛ الأول: التَخَوُّفُ : تَفَعَّلَ مِنَ الْخَوْفِ يُقَالُ: خَفْتُ الشَّيْءَ وَتَخَوَّفْتَهُ؛ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ - تعالى - لَا يَأْخُذُهُم بِالْعَذَابِ أَوْلًا، بَلْ يَخِيفُهُمْ أَوْلًا ثُمَّ يَعَذِّبُهُمْ بَعْدَهُ، وَتِلْكَ الْإِضَافَةُ هُوَ أَنَّهُ - تعالى - يَهْلِكُ قَرْيَةً فَتَخَافُ النَّاسَ تَلِيهَا فَيَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ. والثاني: التَخَوُّفُ بِمَعْنَى التَّنْقِصِ؛ أَي: أَنَّهُ تَعَالَى يَنْقُصُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ حَتَّى يَهْلِكُوا مِنْ تَخَوُّفِهِ إِذَا تَنَقَّصَهُ. وَرَوَى أَنَّ عَمْرًا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قال على المنبر: ما تقولون في هذه الآية؟ فسكتوا؛ فقال شيخ من هذيل: هذه لغتنا ؛ التَخَوُّفُ : التَّنْقِصُ؛ فقال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير:

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامَكَا قَرْدًا كَمَا تَخَوُّفُ عَوْدِ النَّبْعَةِ السَّفْنِ^(٣)

تخوّف ؛ أى: تنقص - الرحل - الرحل - أى: رحل ناقته - منها تامكا ؛ أى: سنامًا - قردًا ؛ أى: متراكمًا أو مرتفعا وهو بسكون الراء - كما تخوّف عود النبعة السفن.

والنبعة : بالضم واحدة النبع ؛ وهو شجر يتخذ منه السفن ، والسفن بفتح السين والفاء ما ينحت به الشيء ، وهو فاعل (تخوّف) ومفعول (عود). فقال

1 - سورة النحل: جزء من آية ٤٧.

2 - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٣٣٨، ص ٣٣٩.

3 - البيت في شرح شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤٩٥ ، نسبه الزمخشري لزهير عند تفسيره للآية ٤٧ من سورة النحل ، ونسبه الألوسى لأبي كبير الهذلي عند تفسيره للآية نفسها في روح المعاني ج ٧ ص ٣٩٠ ، ونسبه القرطبي أيضاً لأبي كبير الهذلي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١١٦ ، ونسبه ابن منظور في لسان العرب ج ٢ ص ١٢٩٢ مادة: (خ ، و ، ف) لابن مقبل ، ونسبه في موضع آخر إلى ذي الرمة ج ٣ ص ٢٠٣٢ مادة (س ، ف ، ن) ، ولم أجده في دواوين من نسبه إليهم .

عمر: عليكم بديوانكم. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم. ومعنى البيت: أن رحل ناقته ينقص سنامها المتراكم أو المرتفع كما ينقص السفن عود النبعة.“

● ومن ترجيحه للمعنى بحكم اللغة أيضا تفسيره – نقوله –: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ {٢٢} إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(١) فيقول^(٢): ”وأما قولهم بحمله على الانتظار فأجيب عنه أيضا بأن الذى هو بمعنى الانتظار فى القرآن غير مقرون بإلى؛ كقوله – تعالى –: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] والذى ندعيه أن النظر المقرون بإلى ليس إلا بمعنى الرؤية؛ لأن وروده بمعنى الرؤية ظاهر؛ فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك.“

هذه بعض أمثلة لتوظيف الخطيب الشربيني للدلالة اللغوية المعجمية فى استنباط المعنى المراد من الآية الكريمة. والمطالع لتفسيره يجد الكثير منها.

¹ – سورة القيامة : الآيتين ٢٢، ٢٣.

² – ينظر: السراج المنير ج٨ ص ١٩١.

المبحث الثاني: توظيف الدلالة الصرفية فى التفسير:

عنى الخطيب الشربيني بالأثر المعنوى لمعرفة الصيغ ؛ فالقارئ لتفسيره يلحظ توظيفه للدلالة الصرفية فى استنباط المعانى القرآنية؛ فبين اختلاف الصيغ وينزلها على المعانى القرآنية ، ويبيّن اختلاف المعنى باختلاف الصيغة ومثال ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(١) يقول^(٢): " وآدم اسم أعجمى كسائر الأنبياء إلا صالحاً وشعياً ولوطاً ومحمداً بل قيل إن (آدم) أيضاً عربى ؛ وعلى هذا فاشتقاقه^(٣) من الأذمة بضم الهمزة وسكون الدال بمعنى السمرة ، أو الأذمة بفتح الهمزة والدال بمعنى الأسوة ؛ أى: القدوة ، أو من أديم الأرض ؛ أى: ظاهر وجهها".

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾^(٤) يفسر معنى كلمة "اقترب" أى : قرب . ثم يبيّن الأثر المعنوى لاختيار صيغة هذا الفعل ؛ فيقول^(٥): " وأشار بصيغة الافتعال إلى مزيد القرب ".

● وأيضاً عند تفسيره كلمة "جمع" فى قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾^(٦) يستدل بالدلالة الصرفية على المعنى ؛ فيقول^(٧): " وقرأ ابن

1 - سورة البقرة : جزء من آية ٣١ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٧٩ .

3 - الاشتقاق : هو نزع لفظ من آخر ، بشرط مناسبتها معنى وتركيباً ، ومغايرتها فى الصيغة ينظر التعريفات للجرجانى ص ٤٣ .

4 - سورة الأنبياء: جزء من آية ١ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٢١٥ .

6 - سورة الهمزة: آية ٢ .

7 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٤٢٥ .

عامر وحمزة والكسائي بتشديد الميم على المبالغة والتكثير؛ ولأنه يوافق قوله - تعالى - "وعدده" والباقون بتخفيفها ، وهي محتملة للتكثير وعدمه".

● ويحتكم للدلالة الصرفية في بيان المعنى عند تفسيره لقوله - تعالى-: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا نَبَأُوا أَمَدًا﴾^(١) فعند انتهائه من تفسيرها يقول^(٢): "تنبيه: أحصى فعل ماضٍ أى : أيهم ضبط أمر أوقات لبتهم ، وأما من جعله أفعل تفضيل ؛ فقال فى الكشاف^(٣): ليس بالوجه السديد ؛ وذلك أن بناءه من غير الثلاثى المجرّد ليس بقياس ؛ ونحو: أعدى من الحرب، وأفلس من ابن المذلق - شاذ ؛ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع ؛ فكيف به ؟!".

● كذلك يشير الخطيب الشربيني إلى المعانى البلاغية لأبنية المشتقات كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) إذ يقول^(٥): "فإن قيل: لم جمع جمع قلة^(٦) مع أنّ المقام يستدعى الإتيان بجمع الكثرة (يقصد: لم لم يقل رب العوالم) أجيب: بأنّ فيه تنبيهاً على أنهم وإن كثروا قليلون فى جنب عظمتهم وكبريائهم - تعالى -".

● كما عنى الخطيب بابرز المعانى البلاغية ؛ لصيغ المشتقات كاستعمال القرآن لصيغ المبالغة ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - :

1 - سورة الكهف: آية ١٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ١٤ .

3 - ينظر: الكشاف للزمخشري ج١ ص ٤٧٤ .

4 - سورة الفاتحة: جزء من آية ٢ .

5 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٣٠ .

6 - جمع القلة : هو الذى يطلق على عشرة فما دونها من غير قرينة وعلى ما فوقها بقرينة، ينظر التعريفات للجرجاني ص ١٠٥ .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾^(١) فيقول^(٢): " فإن قيل: لم قال "خَوَّانًا أَثِيمًا" على المبالغة؟ أجيب: بأن الله - تعالى - كان عالمًا من "طعمة"^(٣) بالإفراط في الخيانة وركوب المأثم، ومن كانت تلك خلقه أمره لم يشك في حاله، وقيل: إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر - رضي الله تعالى عنه - أنه أمر بقطع يد سارق؛ فجاءت أمه تبكي وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه ؛ فقال: كذبت ؛ إن الله لا يؤخذ عبده في أول مرة ".

● وأيضاً يبين المعنى البلاغى لصيغة الفعل المضارع "تخرج" عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾^(٤) فيقول^(٥): " أى: لم يكفهم خطورها في أنفسهم وترددها في صدورهم حتى تلفظوا بها وكان صدورهم بها على وجه التكرير كما يشير إليه التعبير بالمضارع ".

● وكذلك يبيّن السر البلاغى للصيغة عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾^(٦) فيقول^(٧): " و في التعبير هنا بالماضى وفي الأول^(٨) بالمضارع بشارة بدخول كثير في هذا الدين ، وأنهم لا يرتدون بعد

- 1 - سورة النساء: جزء من آية ١٠٧.
- 2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥١٩.
- 3 - طعمة بفتح الطاء وكسرهما ، هو رجل من الأنصار نزلت فيه الآية ؛ينظر السراج المنير ج١ ص ٥١٨ .
- 4 - سورة الكهف: جزء من آية ٥.
- 5 - ينظر : السراج المنير ج٤ ص ٧.
- 6 - سورة لقمان: جزء من آية ٢٣.
- 7 - ينظر : السراج المنير ج٥ ص ٢٧٨.
- 8 - يقصد الآية ٢٢ من سورة لقمان ، وهي قوله - تعالى - : "ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ".

إسلامهم - وترغيب في الإسلام لكل من كان خارجاً عنه؛ فالآية من الاحتباك“.

● وقد يتطرق الخطيب الشربيني لشرح القاعدة الصرفية ؛ كما فعل عند تفسيره لمعنى (الحمد) في قوله - تعالى - : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(١) إذ يقول^(٢) :
”وظاهر قول الزمخشري^(٣) : الحمد والمدح أخوان - أنهما مترادفان ، وبه صرح في ”الفائق“^(٤) لكن الأوفق ما عليه الأكثر أنهما غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقاً كبيراً ؛ والاشتقاق ثلاثة أقسام: كبير^(٥) ، وأكبر^(٦) ، وأصغر^(٧) ، وقد يعبر عنه بالصغير ، فالكبير أن يشتركا في أكثر الحروف الأصول ؛ كالفلق ، والفلج ، والفلذ - مع اتحاد في المعنى أو تناسب . والأصغر أن يشتركا في الحروف الأصول المترتبة ؛ كضرب والضرب“.

1 - سورة الفاتحة: جزء من آية ٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٨ .

3 - ينظر: الكشاف للزمخشري ج١ ص ٤٦ .

4 - ينظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين - ط. دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ج١ ص ٢٧٣ .

5 - الاشتقاق الكبير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب ؛ نحو : جذب من الجذب ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٤ .

6 - الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج ؛ نحو: نعق من النهق؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٤ .

7 - الاشتقاق الصغير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف و التركيب ؛ نحو: ضرب من: الضرب ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٤ .

المبحث الثالث: توظيفه القاعدة النحوية فى استنباط المعنى:

” الدارس والقارئ للنص الشرعى لابد له بعد أن يدرك المعنى اللغوى للمفردات الواردة فى النص ، وبعد أن يدرك الصيغة التى وردت عليها الكلمات... لابد له أن يعرف موقع كل كلمة فى هذا النص؛ من حيث الإسناد والعلاقات التركيبية ؛ حتى لا ينسب حدث إلى من لم يقم به؛ فيختلف المعنى المراد للشرح ؛ والذى يتكفل بهذه المعرفة هو علم النحو الذى يحدد الموقع الإعرابى للكلمات من خلال قواعده واحتمالاته“ (1).

وقد عنى الخطيب الشربيني بالصناعة النحوية ؛ فالمطالع لتفسيره يجده قد اهتم بتوظيف القاعدة النحوية فى استنباط المعانى المرادة من الآيات القرآنية؛ فيذكر وجوه الإعراب التى تحتلمها الآية ، وينزل الآية على اختلاف الأعراب ، وقد يرجح واحدًا منها ويدلل على رجحانه، وقد يشرح القاعدة النحوية دون إنزالها على المعانى القرآنية، ولكنه التزم بما اشترطه على نفسه فى مقدمة تفسيره ؛ فلم يقحم نفسه فيما لا يعنى المفسر من ذكر الأعراب التى لا تمت إلى التفسير بسبب . وسأعرض فيما يلى اتجاهه فى توظيفه الدلالة النحوية بالأمثلة:

● يبين الخطيب الشربيني المعنى استنادًا إلى الإعراب ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ سَمَاعُونَ لِّلْكَذِبِ ﴾ (2) إذ يقول (3): ” خبر مبتدأ محذوف ؛ أى: هم سماعون والضمير فى (سماعون) للفريقين ، أو للذين يسارعون ، ويجوز أن يكون مبتدأ (ومن الذين) خبره ؛ أى: ومن اليهود قوم سماعون للكذب الذى افترته أحبارهم سماع قبول“.

1 - النحو والصرف فى خدمة النص القرآنى للدكتور محمد المختار محمد المهدى ، ص ٣٠ بتصرف.

2 - سورة المائدة: جزء من آية ٤٢ .

3 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٤١ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿أَنْهَ لَأِ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(١) يعتمد على الأثر المعنوي للقاعدة النحوية في استنباط المعنى المراد من الآية ؛ فيقول^(٢) : " قال - تعالى - : (إلا أنا) ولم يقل (نحن) لتلا جعلوا ذلك وسيلة إلى ما ادعوه من تعدد الآلهة ؛ ولذلك قال: (فاعبدون) بالإفراد " .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٣) يقول^(٤) : "تنبيه: في انتصاب (سرا وعلانية) وجوه: أحدها: أن يكون على الحال؛ أى: ذوى سر وعلانية ؛ بمعنى : مسرين ومعلنين. والثانى: على الظرف؛ أى: وقت سر وعلانية. وثالثها: على المصدر؛ أى: إنفاق سر وإنفاق علانية " .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾^(٥) يعتمد على القاعدة النحوية في استنباط المعنى المراد ؛ فيقول^(٦) : " تنبيه: فى نصب (أثاثاً) وجهان : أحدهما : أنه منصوب عطفاً على بيوتاً ؛ أى : وجعل لكم من أصوافها أثاثاً . والثانى : أنه منصوب على الحال " .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾^(٧) يبين وجوه القراءات ، ثم يبين أوجه إعرابها بناء على

1 - سورة الأنبياء: جزء من آية ٢٥ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٢٢٦ .

3 - سورة ابراهيم: جزء من آية ٣١ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٢٦٥ .

5 - سورة النحل : آية ٨٠ .

6 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٣٦٦ .

7 - سورة النبأ: جزء من آية ٣٧ .

هذه القراءات فيقول^(١): " وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو "رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن" برفع (رب) و (الرحمن) وابن عامر وعاصم بخفضهما والآخران^(٢) بخفض الأول ورفع الثاني.

أما رفعهما فمن أوجه: أحدها: أن يكون رب خبر مبتدأ مضمرة؛ أي: هو رب ، والرحمن كذلك، أو مبتدأ خبره لا يملكون. ثانيها: أن يجعل رب مبتدأ والرحمن خبره، ولا يملكون خبراً ثانياً أو مستأنفاً. ثالثها: أن يكون رب مبتدأ والرحمن نعته، ولا يملكون خبر رب. رابعها: أن يكون رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثانياً، ولا يملكون خبره، والجملة خبر الأول، وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه ، وهو رأى الأخص، ويجوز أن يكون (لا يملكون) حالاً وتكون لازمة.

وأما جرّهما فعلى البيان والنعت ، أو بجعل (رب السموات) تابعاً للأول، و(الرحمن) تابعاً للثاني، وأما جرّ الأول فعلى التبعية للأول ، ورفع الثاني فعلى الابتداء والخبر الجملة الفعلية وهي (لا يملكون) أي: الخلق .

● ويتعرض الخطيب الشربيني لاختلاف الآراء في الإعراب كما فعل عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾^(٣) يقول^(٤): "وقوله تعالى: "حقاً" مصدر؛ قال البيضاوي^(٥) تبعاً للزمخشري^(٦) وغيره : مؤكّد لمضمون الجملة قبله ؛ أي: حق ذلك حقاً ؛ وردّه أبو حيان^(٧) بأن

1 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٣٩، ٢٤٠.

2 - أي: الكسائي وحمة .

3 - سورة البقرة: آية ١٨٠.

4 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ١٨٥.

5 - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي جـ ٢ ص ٤٤٢ .

6 - ينظر: الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٣٣٤ .

7 - ينظر: البحر المحيط لأبي حيان جـ ٦ ص ١٠١ .

قوله - تعالى - : "على المتقين" متعلق بحقا ، أو صفة له ، وكل منهما يخرج عن التأكيد ؛ أما الأول فلأن المصدر المؤكد لا يعمل ، إنما يعمل المصدر الذى ينحل إلى حرف مصدرى، والفعل أو المصدر الذى هو بدل من اللفظ بالفعل، وأمّا الثانى فلأن "حقاً" مصدر مخصص بالصفة فلا يكون مؤكداً. وقيل: حقاً نعت لمصدر (كُتِبَ) أو أوصى؛ أى: كتباً أو إيصاء حقاً، وقيل حال من مصدر أحدهما معرفاً. وقيل: نصب على المفعولية؛ أى: جعل الوصية حقاً على المتقين ."

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١) يتناول الآراء فى قضية العلم بتأويل المتشابه ويعتمد فى مناقشة الآراء والترجيح بينها على شرح معنى (الواو) ووجوه الإعراب فى الآية الكريمة ؛ فيقول^(٢): " تنبيه: اختلف العلماء فى نظم هذه الآية ؛ فقال قوم: الواو فى قوله: "والراسخون" واو العطف؛ أى: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم ، وهم مع علمهم "يقولون آمنا به" وهذا قول مجاهد والربيع ؛ وعلى هذا يكون قوله "يقولون" حالاً معناه والراسخون فى العلم قائلين: آمنا به. وذهب الأكثرون إلى أن الواو فى "والراسخون" واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله "وما يعلم تأويله إلا الله" ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحداً من خلقه ؛ كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، وعدد الزبانية، ونزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - ونحوها. والخلق متعبدون فى المتشابه بالإيمان به، وفى المحكم بالإيمان به والعمل. وقال عمر ابن عبد

1 - سورة آل عمران: آية ٧.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٣١٠، ٣١١.

العزیز فی هذه: " انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا:
آمنا به . قال فى "الكشاف": والأول أوجه"^(١) . أ. هـ .

ووجهه شيخنا القاضى زكريا^(٢) بقوله: " لأن المتشابه على الثانى
يصير الخطاب به كالخطاب بالمهمات " أ. هـ .

ومع هذا فالوجه هو الثانى ؛ لأنه أشبه بظاهر الآية ، ويدل له وجوه:
أحدها: أنه ذمّ طالب المتشابه بقوله - تعالى - : "فأما الذين فى قلوبهم زيغ"
الآية، وثانيها: أنه مدح الراسخين فى العلم بأنهم يقولون: "آمنا به" وقال فى
أول البقرة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦]
فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم
فى الإيمان به مدح؛ لأن كل من عرف شيئاً على سبيل التفصيل فلا بد أن
يؤمن به، وثالثها: لو كان قوله والراسخون معطوفاً لصار قوله: "يقولون آمنا
به" ابتداء وهو بعيد عن الفصاحة، وكان الأولى أن يقال "وهم يقولون" أو
يقال "ويقولون".

فإن قيل: فى تصحيحه وجهان: الأول: أن "يقولون" خبر مبتدأ ،
والتقدير: هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمناً. والثانى: أن يكون "يقولون"
حالاً من "الراسخون": أجيب: بأنّ الأول مرفوع بأنّ تفسير كلام الله -
تعالى- بما لا يحتاج معه إلى إضمار أولى، والثانى أنّ ذا الحال هو الذى
تقدم ذكره وهم "الراسخون" ؛ فوجب أن يكون قوله: "آمنا به" حالاً من
"الراسخون" لا من الله. وذلك ترك للظاهر.

1 - ينظر: الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٤١٣ .

2 - هو زكريا بن زكريا الأنصارى السنيكى المصرى الشافعى شيخ الإسلام ، قاض
مفسر ، من حفاظ الحديث ، من كتبه: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن تعليق
على تفسير البيضاوى ، وتحفة البارى على صحيح البخارى ، ولب الأصول ، ولد
سنة ٨٢٣ هـ ومات سنة ٩٢٦ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلى ج ٣ ص ٨١، ٨٠ .

● وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيمَا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾^(١) يقول^(٢): "واختلف النحويون في نصب قوله - تعالى - : "فِيمَا" على أوجه؛ الأول: قال في "الكشاف"^(٣): لا يجوز حمله حالاً من الكتاب ؛ لأن قوله - تعالى - : "ولم يجعل له عوجاً" معطوف على قوله - تعالى - : "أنزل" فهو داخل في حيز الصلة وأنه لا يجوز. قال: ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر والتقدير "ولم يجعل له عوجاً" جعله "قيماً" لأنه - تعالى - إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. قال: فإن قلت : فما فائدة الجمع بين نفى العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد ، ورب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السير والتصفح.

الوجه الثاني: أنه حال ثانية والجملة المنفية قبله حال أيضاً كما مرّ، وتعدّد الحال الذي هو حال واحد جائز؛ والتقدير: أنزله غير جاعل له عوجاً قيماً. الوجه الثالث: أنه حال أيضاً، ولكنه بدل من الجملة قبله؛ لأنها حال ، وإبدال المفرد من الجملة إذا كانت بتقدير مفرد - جائز ."

● وأيضاً يبين الاستثناء^(٤) ودلالته على المعنى عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾^(٥) فيقول^(٦): " استثناء متصل؛ أي: إلا ما أدركتم ذكاته وصار فيه حياة مستقرة من ذلك . فهو حلال ؛ وقيل: الاستثناء

1 - سورة الكهف: جزء من آية ٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص٦ .

3 - ينظر: الكشاف للزمخشري ج٢ ص٤٧٢، ٤٧١ .

4 - الإستثناء: هو إخراج الشيء من الشيء لولا الإخراج لوجب دخوله فيه ، وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكما ، ويتناول المنفصل حكماً فقط ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص١٧ .

5 - سورة المائدة: جزء من آية ٣ .

6 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص٩ .

مخصوص بما أكل السبع . وقيل: الاستثناء منقطع؛ أى: ولكن ما ذكيتم من غيرها فحلال أو فكلوه؛ وكأنّ هذا القائل رأى أنها وصلت بهذه الأسباب إلى الموت أو إلى حالة قريبة منه ؛ فلم تفتد ذكيتها عنده شيئاً. وقيل الاستثناء من التحريم لا من المحرّمات؛ أى: حرّم عليكم ما مضى إلا ما ذكيتم فإنه لكم حلال ؛ فيكون الاستثناء منقطعاً أيضاً “.

وهذه بعض أمثلة من مواضع كثيرة اتخذ فيها الخطيب الشربيني وجوه الاعراب وسيلة للتفسير، يتوصل بها إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض، ويحاول أن يوفق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية.

● وقد يذكر المذاهب النحوية عند الإعراب كما فعل عند تفسيره لقوله- تعالى-: ﴿ أَنْ تَبْرُوا ﴾^(١) يقول^(٢): ” أى: مخافة ألا تبروا؛ فهو فى موضع نصب مفعول من أجله. وعند الكوفيين لثلاث تَبْرُوا ؛ كقوله - تعالى-: ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[النساء: ١٧٦] أى: لئلا تضلوا. وقال أبو اسحاق^(٣)^(٤): فى موضع رفع بالابتداء ، والخبر محذوف؛ أى: أن تَبْرُوا وتتقوا خير لكم. وقيل: التقدير: فى أن تَبْرُوا؛ فلما حذف حرف الجرّ نصب . وقيل: هو فى موضع جرّ بالحرف المحذوف “.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾^(٥) ينبه على المذاهب النحوية ؛

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٤ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص٢٢٩ .

3 - هو الزجاج وتقدم التعريف به ص٢٥ .

4 - ينظر: معانى القرآن للزجاج ج١ ص٢٥٧ ، وهذا معنى كلام الزجاج ، ونصه "ويجوز أن يكون موضع "أن" رفعاً فيكون المعنى أولى ؛ أى : البر والتقوى أولى ، ويكون أولى محذوفاً كما جاء حذف أشياء فى القرآن ؛ لأن فى الكلام دليلاً عليها " .

5 - سورة النساء: جزء من آية ١٤ .

فيقول^(١): "خالداً فيها" حال كما مرّ . ولا يجوز أن يكون "خالدين" و"خالداً" صفتين لجنات ونار؛ لأنهما جريا على غير من هما له ، فلا بد من الضمير وهو قولك: خالدين هم فيها، وخالداً هو فيها— هذا على مذهب البصريين ، أما على مذهب الكوفيين فهو جائز عندهم عند أمن اللبس كما هو ، وهو الراجح كما جرى عليه ابن مالك وغيره ."

● وقد تناول الخطيب الشربيني الحروف بأنواعها، وعنى بما كثر استعماله في القرآن الكريم ؛ فبيّن معانيها، وذكر خلاف العلماء فيها؛ ومن ذلك ما ذكره عند الكلام على "الباء" في قوله — تعالى —: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(٢) فقال^(٣): " والباء في "باسم الله" متعلقة بمحذوف تقديره: باسم الله أقرأ ؛ لأنّ الذي يتلوه مقروء ؛ إذ كل فاعل يبدأ في فعله باسم الله يضم ما يجعل التسمية مبدأ له ؛ كما أنّ المسافر إذا حلّ أو ارتحل فقال: بسم الله الرحمن الرحيم — كان المعنى باسم الله أحل باسم الله ارتحل ، وذلك أولى من أن يضم (أبدأ) لعدم ما يطابقه وما يدل عليه ، ومن أن يضم (ابتدأ) لما ذكرنا .

فإن قيل: المصدر لا يعمل محذوفاً ؛ أجيب: بأنه يتوسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما، وتقديره مؤخرًا — كما قال الإمام الرازي — أولى كما في "إياك نعبد وإياك نستعين" لأنه أهمّ وأدلّ على الاختصاص ، وأدخل في التعظيم ، وأوفق للوجود ؛ فإن اسمه — تعالى — مقدّم ذاتاً ؛ لأنه قديم واجب الوجود لذاته فقدم ذكرًا .

فإن قيل: قال الله — تعالى —: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١] فقدّم الفعل؛ أجيب: بأنه في مقام ابتداء القراءة وتعليمها؛ لأنها أول سورة نزلت ، و

1 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٤٩ .

2 - سورة الفاتحة: آية ٢ .

3 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٥ .

كان الأمر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض ، وإن كان ذكر الله – تعالى – أهم في نفسه، وذكرت أجوبة غير ذلك في مقدمتي على البسمة والحمدلة. والباء للاستعانة أو للمصاحبة والملابسة على جهة التبرك؛ والمعنى : متبركاً باسم الله اقرأ، والثاني أولى لما فيه من التحاشي عن جعل اسمه تعالى آلة، والأحسن أن تكون لهما إعمالاً للفظ في معنييه الحقيقيين أو الحقيقي والمجازي عند من يجوّزه ؛ كما مانا الشافعيّ . والبسمة وما بعدها إلى آخر السورة مقول على السنة العباد ؛ ليعلموا كيف يتبرك باسمه ، ويحمد على نعمه ، ويستل من فضله . ويقدر في أول الفاتحة : قولوا كما قال الجلال المحلى ؛ ليكون ما قبل (ياك نعبد) مناسباً له بكونه من مقول العباد .“

● كذلك عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(١) يقول^(٢): ” و”من” مزيدة للاستغراق .“

● وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾^(٣) يقول^(٤): ” أى: الذين يخلدون فيه، والإيتيان بثم إشارة إلى تراخي ذلك عن الإهلاك في الدنيا بالمكث في البرزخ ، أو إلى أن عذابه أدنى من عذاب يوم الدين .“

● وأيضاً عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾^(٥) يقول^(٦): ” وقيل : من زائده. وقيل:

1 - سورة المائدة: آية ٧٣.

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٦٣.

3 - سورة يونس: جزء من آية ٥٢.

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣٧.

5 - سورة الكهف: جزء من آية ٣١.

6 - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٤١.

للابتداء . ومن فى قوله - تعالى - : "من ذهب" للبيان صفة لأساور،
وتكبيرها لتعظيم جنسها عن الإحاطة به. وقيل : للتبعيض ."

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾^(١)
يقول^(٢) : "وفى إذا هذه احتمالان؛ أحدهما: أن تكون شرطية، والثانى أن تكون
غير شرطية؛ فعلى الأول فى جوابها أوجه: أحدها: أنه محذوف ؛ ليذهب
المقدر كل مذهب، أو اكتفاء بما علم فى مثلها من سورتي التكوير والانفطار،
وهو قوله - تعالى - : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ [الانفطار: ٥، سورة التكوير: ١٤]
والثانى: جوابها ما دل عليه "فملاقيه". الثالث: أنه "يا أيها الانسان" على
حذف الفاء، وعلى كونها غير شرطية ؛ فهى مبتدأ، وخبرها (إذا) الثانية
والواو مزيدة؛ تقديره: وقت انشقاق السماء وقت مدّ الأرض؛ أى: يقع
الأمران فى وقت؛ قاله الأخفش. وقيل: إنه منصوب مفعولاً به بإضمار
(اذكر) انشقاقها بالغمام، وهو من علامات القيامة ؛ كقوله - تعالى - : ﴿يَوْمَ
تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان: ٢٥] ."

وهذه بعض أمثلة من نماذج كثيرة اعتنى فيها الخطيب الشربيني
بتوظيف إعراب الحروف ومعانيها فى التفسير؛ كحروف الجر، والعطف،
ونواصب الأسماء، وأدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة ، وغيرها.

1 - سورة الإنشقاق: آية ١ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٢٩٢ .

المبحث الرابع: توظيفه دلالة السياق في استنباط المعنى:

حتى يتم البيان والوضوح للأسلوب القرآني لأبد من معرفة سياق النص، وما لحقه من أسباب النزول "السياق الاجتماعي" وألوان البلاغة التي تبرز أسرار التركيب؛ والخطيب الشريبي كثير العناية بالسياق الاجتماعي (أسباب النزول) وقد تناولته في مبحث خاص به، كما أنه كثير العناية أيضا بالناحية البلاغية للقرآن الكريم؛ فالمطالع لتفسيره يجده مهتمًا بأن يكشف عن النواحي البلاغية للقرآن وأسرار إعجازه في نظمه وأسلوبه، فيكاد ينبه على كافة أساليب البلاغة من بيان وبديع ومعانٍ، ويهتم بإبراز المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتى حظًا وافرًا من المعرفة بدقائق اللغة العربية؛ فالقارئ لتفسيره يجده بارزًا في هذه الناحية؛ ويتضح ذلك من الأمثلة:

● فعند تفسيره للآيات الكريمة يؤكد على إعجاز القرآن الكريم في نظمه ومعناه؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾^(١) فيقول^(٢): " أى: المحكم بعظيم النظم وبديع المعانى ."

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) يقول الخطيب الشريبي^(٤): " الحكيم" الذى يضع الأشياء فى مواضعها ، ولا يضع شيئاً إلا كذلك ، كما أحكم أمره ونهيه وجمع شرعه، وأحكم نظم هذا القرآن جملاً وآيات وفواصل وغايات بعد أن حرر معانيه وتنزيله ؛ فصار معجزاً فى نظمه ومعناه ."

1 - سورة يس: آية ٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٩٢ .

3 - سورة الجاثية: جزء من آية ٣٧ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٤٨٧ .

واهتم الخطيب الشربيني ببيان فنون البلاغة الثلاثة: البيان والبديع والمعاني وذكر الأغراض البلاغية ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ اهتمامه ببيان صور "البيان"^(١) وأثرها فى تأدية المعنى، فيوضح صور التشبيه والاستعارة^(٢) والمجاز^(٣) والكناية^(٤) ودلالاتها على المعنى المراد:

● فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) يبين أن الكلام على المجاز ؛ فيقول^(٦):

” مجاز باعتبار المآل؛ أى: لا تفعلوا ما يؤدي إلى الفساد ، وليس معنى الإفساد هنا الإتيان بالفساد ليصح حمل الكلام على الحقيقة؛ نبه على ذلك السعد التفتازانى “.

- 1 - علم البيان ، هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٠٠ .
- 2 - الإستعارة:هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٣٥ .
- 3 - المجاز:هو العدول عن الحقيقة الموضوعية للمعنى المراد ، بحيث يأتى المتكلم لاسم موضوع لمعنى فيختصره إما بأن يجعله مفردا بعد أن كان مركبا ، أو غير ذلك من وجوه الاختصار ، أو يذكر ما هو متعلق به ، أو كان من سببه لفائدة ؛ ينظر : تحرير التعبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبى الأصبع المصرى ٥٨٥-٦٥٤ هـ تحقيق د/حنفى محمد شرف - ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ص ٣٣٥ .
- 4 - الكناية:هى أن يعبر عن شئ لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح من الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٤٠ .
- 5 - سورة البقرة: جزء من آية ١١ .
- 6 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥١ .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (١) يقول (٢): " وهذا من باب التمثيل ؛ مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق جبل فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه " .

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ (٣) يبين الاستعارة في هذا التعبير القرآني ؛ فيقول (٤): " تنبيهه: استعير الذوق لإدراك أثر الضرر، واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف ، وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له؛ كقول كثير عزة:

عَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابَ الْمَالِ (٥)

فإنه استعار الرداء للمعروف ؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقي عليه ، وأضاف إليه (الغمير) الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظراً إلى المستعار له : ولو نظر إلى المستعار لقال: ضافى الرداء؛ أى: سابغه ومعنى البيت ،إذا ضحك المسئول ضحكة أيقن السائل بذلك التبسّم استرقاق رقاب ماله وأنه يعطى بلا خوف .وقد ينظر إلى المستعار له كقوله:

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو رويدك أخوا عمرو بن بكر

1 - سورة لقمان: جزء من آية ٢٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٢٧٨ .

3 - سورة النحل: جزء من آية ١١٢ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٣٨٢ .

5 - البيت من الكامل ، وهو لكثير عزة في ديوانه ،شرح عدنان زكى درويش ، ط. دار صادر - بيروت ،الأولى ١٩٩٤ ص٢٦٨ .

لِيَ الشَّطْرُ الَّذِي مَكَتَ يَمِينِي وَدُونِكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ^(١)
استعار الرداء لل سيف ، ثم قال: فاعتجر؛ نظراً إلى المستعار، ولو نظر
إلى المستعار منه لقال - تعالى - فى الآية: وكساهم لباس الجوع والخوف ،
ولقال كثير: ضافى الرداء إذا تبسم ضاحكا . وهذا نهاية ما يقال فى
الاستعارة “.

● كما يبين الخطيب الشربيني "علم المعانى"^(٢) عند تفسيره الآيات
القرآنية ويوضح أسرارها البلاغية وأثرها فى المعنى المراد فى الآية ؛ كما
فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ
فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾^(٣) فيقول^(٤): " استفهام تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون
به والحال أن الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى هو عندهم، وتنبه على
أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع ، وإنما طلبوا منه ما
يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله - تعالى - فى زعمهم “.

● وأيضاً يشير إلى القصر فى قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَكَلِمَةَ الْفَخْرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ
بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٥) فعند انتهائه من تفسير هذه الآية
يقول^(٦): "فإن قيل : (إنما) تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من محرّم لم ؛
يذكر أجيب: بأن المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلّه الكفار لا

1 - البيتان من الوافر، وهما بلا نسبة فى لسان العرب (ر، د، ي) جـ ١٤ ص ٣١٧، وقال
رويداً يا أبا سعد بن بكر "وفى شرح شواهد الكشاف جـ ٤ ص ٤٩٣ .

2 - علم المعانى : هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى الذى يطابق مقتضى الحال؛
ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٠١ .

3 - سورة المائدة: جزء من آية ٤٣ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٤٤، ٤٥ .

5 - سورة البقرة: آية ١٧٣ .

6 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ١٨٠ .

مطلقاً وقصر ما ذكره على حال الاختيار؛ كأنه قيل: إنما حرم عليكم هذه الأشياء ما لم تضطروا إليها“.

كما عنى الخطيب الشربيني ببيان المحسنات البديعية فى النظم القرآنى بمختلف صورها المعروفة فى "علم البديع"^(١) من : جناس،^(٢) وسجع،^(٣) وطباق،^(٤) ومقابلة،^(٥) وغيرها.

● فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَاتِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾^(٦) يبين الصورة البلاغية ؛ فيقول^(٧) : "ومعنى فأرسل إلى هارون: أرسل إليه جبريل واجعله نبياً، وأزرنى به ، واشدد به عضدى، وهذا الكلام مختصر، وقد بسطه فى غير هذا الموضوع^(٨) وقد أحسن فى الاختصار؛ إذ قال: "فأرسل إلى هارون" فجاء بما يتضمن معنى

¹ - علم البديع : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة ؛ أى : الخلو عن التعقيد المعنوى ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٠٠ .

² -الجناس : هو بيان المعانى بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة ؛ ينظر: تحرير التعبير ص ١٠٢ .

³ -السجع :هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد فى الآخر؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٥٦ .

⁴ - المطابقة: هى أن يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ، ثم إذا شرطهما بشرط وجب أن تشترط ضديهما بصد ذلك الشرط ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٧٩ .

⁵ -المقابلة :هى توخى المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغى ، فإذا أتى بأشياء فى صدر الكلام أتى بأضدادها فى عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثانى بالثانى لا يخرم من ذلك شيئاً فى المخالف والموافق ؛ ينظر: تحرير التعبير ١٧٩ .

⁶ - سورة الشعراء: آية ١٣ .

⁷ - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٩ .

⁸ -لعله يقصد قوله - تعالى - " واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أختى، اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى" سورة طه الآيات ٢٩ - ٣٢ .

الاستنباء؛ ومثله فى "تقصير الطويلة والحسن" (١) قوله - تعالى - : ﴿فَقُلْنَا
أَذْهَبْنَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٦]
اقتصر على ذكر طرفى القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير، ودل
ذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا
بآيات الله ؛ فأراد الله إلزام الحجة عليهم ؛ فبعث إليهم رسولين ؛ فكذبوهما ؛
فأهلكهم ."

● وأيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (٢) يبين الصورة البلاغية فى الآية ويعرفها بأنها طباق
بديعى؛ فيقول (٣): " يبسط الرزق" أى: يوسعه فى كل وقت أراد به بالأموال
والأولاد وغيرهما، "لمن يشاء" امتحانا "ويقدر" أى: يضيقه على من يشاء
ابتلاء ؛ بدليل مقابله ببسط ؛ وهذا هو الطباق البديعى، فالرزق فى الدنيا لا
تدل سعته على رضا الله - تعالى - ولا ضيقه على سخطه ؛ فربما وسع
على العاصى وضيق على المطيع، وربما عكس ، وربما وسع عليهما وضيق
عليهما، وكم من موسر شقى ، وكم من معسر تقى ."

● وأيضاً عند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا
تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤) يقول (٥): " تنبيه: التقابل يأتى على ثلاث طرق ؛ إحداها: أن

١ - لعله يقصد الإيجاز ؛ فقد اختصرت القصة كلها فى هذه الآية ؛ لأنه ذكر أصول
الأسباب المستلزمة جميع المسببات التى هى جملة القصة ؛ ينظر : تحرير التخبير لأبى
الأصبع المصرى ، باب : الإيجاز ص ٤٧٠ .
٢ - سورة سبأ: جزء من آية ٣٩ .
٣ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٤٠ .
٤ - سورة غافر : آية ٥٨ .
٥ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٣٢١ .

يجاور المناسب ما يناسبه ؛ كهذه الآية. والثانية: أن يتأخر المتقابلان ؛ كقوله- تعالى -: "مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع" [هود: ٢٤]. الثالثة: أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الآخر كقوله -تعالى-: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ {19} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾ [غافر: ١٩، ٢٠] كل ذلك تفنن في البلاغة .“

● ويذكر الخطيب الشربيني المصطلحات البلاغية لما يشير إليه من فنون البلاغة؛ كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾^(١) إذ يشير إلى أسلوب الحكيم^(٢) في الآية الكريمة ؛ فيقول^(٣): "أى: هم أولى به ؛ سأل عن المنفق فأجيب: ببيان المصرف؛ لأنه أهم ؛ فإن اعتداد النفقة باعتباره .“

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾^(٤) يقول^(٥): " وقرأ ابن عامر بالتاء على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو أدل على الغضب،، .

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٦) يبين ما فيه من الاحتباك ؛

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢١٥ .

2 - أسلوب الحكيم: هو ذكر الأهم تعريضا للمتكلم على تركه الأهم ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٣٩ .

3 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٢١ .

4 - سورة المائدة: جزء من آية ٥٠ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٤٩ .

6 - سورة الاسراء: جزء من آية ٢ .

فيقول^(١): "بالحمل على العدل في التوحيد والأحكام ، وأسرينا بموسى — عليه السلام — ويقومه من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى، فأقاموا سائرين إليها أربعين سنة ولم يصلوا ، ومات كل من خرج إلا المتقين الموفين بالعهد ؛ فقد بان بين الإسرائيليين كما بان الفضل بين الكتابيين، فذكرُ الإسراء أولاً دليل على حذف مثله أولاً؛ فالآية من الاحتباك"^(٢).

● وكذلك عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ {٨} فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٣﴾ يشير إلى الاحتباك ؛ فيقول^(٤): "أى: نار نازلة سافلة جداً، فهو بحيث لا يزال يهوى فيها نازلاً ؛ فهو فى عيشة ساخطة ؛ فالآية من الاحتباك ؛ ذكر العيشة أولاً ؛ دليلاً على حذفها ثانياً ، وذكر الأم ثانياً ؛ دليلاً على حذفها أولاً".

● وقليلاً ما يتطرق الخطيب الشربيني إلى شرح المصطلحات البلاغية فعند تفسيره — لقوله تعالى —: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٥) يوضح وجه الالتفات^(٦) فى الآية الكريمة ، ثم يبين أقسام الالتفات ؛ فيقول^(٧): " فإن قيل: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ أجيب: بأن عادة العرب التنفن فى الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر؛ تحسناً للكلام وتنشيطاً للسامع ؛

1 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٤٠٥ .

2 - الاحتباك: هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله: علفتها تيناً وماءً بارداً ؛ أى: علفتها تيناً وسقيتها ماءً بارداً؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٥ .

3 - سورة القارعة: الآيتين: ٨، ٩ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤١٤ .

5 - سورة الفاتحة : آية ٥ .

6 - الالتفات : هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٩ .

7 - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٣٢ .

فيكون أكثر إصغاء للكلام ؛ فتعدل من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس فيهما ؛ فهذه أقسام أربعة ذكرها البيضاوي ؛ والتحقيق كما قاله بعض المتأخرين: أنها ستة ؛ لأنّ الملتفت إليه اثنان وكل منهما إما غيبة أو خطاب أو تكلم ؛ من ذلك قوله - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ ﴾ [يونس: ٢٢] الأصل بكم ؛ فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة. وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَاسْقِنَاهُ ﴾ [فاطر: ٩] الأصل فساقه؛ فهو التفات من الغيبة إلى التكلم .“

● ويدرس الخطيب الشربيني الآية من حيث مخالفة سياقها للجمع والإفراد ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ {٢١} وَلِلَّهِ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ (١) يقول (٢): ” فإن قيل: لم جمع الضمير في ” منكم وخفتكم ” مع إفراده في ” تمنها وعبدت ” أجب: بأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله، كما مرت الإشارة إليه؛ بدليل قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص: ٢٠] وأما الامتنان فمنه وحده ، وكذلك التعبيد .“

● كما عني الخطيب الشربيني بالمعاني البلاغية لبعض الحروف ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ (٣) يقول (٤): ” يا ” حرف وضع لنداء البعيد ، وقد ينادى به القريب ؛ تنزيلا له منزلة البعيد؛ إما لعظمته ؛ كقول الداعي: يارب ، و يا الله - وهو أقرب إليه

1 - سورة الشعراء: ٢١، ٢٢.

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ١٣.

3 - سورة البقرة: جزء من آية ٢١.

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٦٠.

من حبل الوريد - أو لغفلته وقلة فهمه، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه.

● وأيضاً عند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) يقول^(٢): "فإن قيل: لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله - تعالى - : ﴿أَوْلَيْكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَيْكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الاعراف: ١٧٩] ؟ أجيب: بأن الجملتين هنا مختلفتان باختلاف المسندين فيهما ؛ إذ "على هدى من ربهم" و "المفلحون" وإن تناسبتا تعلقاً مختلفتان مفهوماً ووجوداً ومقصوداً ؛ لأن الهدى فى الدنيا ، والفلاح فى العقبى ، وإثبات كل منهما مقصود فى نفسه بخلاف "كالأنعام" و "الغافلون" فإنهما وإن اختلفا مفهوماً قد اتحدا مقصوداً ووجوداً ؛ إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة فى الغفلة فى الدنيا؛ فناسب العطف فى الأول دون الثانى".

● ويهتم الخطيب الشربيني بالجمع بين الآية ونظيرتها وإيراز السر البلاغى فى اختلاف السياق بينهما ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾^(٣) يقول^(٤): "وقدم هنا لفظ الجلالة فى قوله لغير الله به وأخرت فى البقرة^(٥)؛ لأنها هناك فاصلة أو تشبه الفاصلة ، بخلافها هنا؛ لأن بعدها معطوفات".

● كما يوضح المعانى البلاغية لصيغ الأفعال ؛ فعند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ

1 - سورة البقرة: آية ٥ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٤، ٤٥ .

3 - سورة المائدة: جزء من آية ٣ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٩ .

5 - يقصد قوله تعالى : " وما أهل به لغير الله " البقرة من الآية ١٧٣ .

فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾ يقول (١): " تنبيه: قال - تعالى - "يولج" بصيغة المستقبل، وقال في الشمس والقمر "وسخر" بصيغة الماضي ؛ لأن إيلاج الليل في النهار أمر يتجدد كل يوم ، وتسخير الشمس والقمر أمر مستمر؛ كما قال- تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [يس:٣٩] ."

● وأيضا عنى الخطيب الشربيني ببيان السر البلاغى فى استعمال لفظ دون لفظ فى السياق القرآنى ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) يقول (٤): " فإن قيل: لم عبر فى هذه الآية بـ "لا يعلمون" وفى التى قبلها بـ "لا يشعرون" ؛ أجيب: بأنّ التعبير بـ "لا يعلمون" أكثر مطابقة لذكر السفه؛ لأن السفه جهل ؛ فطابقه العلم، ولأنّ أمر الإيمان أخروى يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبر فى الآية التى اشتملت عليه بلا يعلمون، وأمر البغى والفساد دنيوى فهو كالمحسوس لا يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبر فى الآية التى اشتملت عليه بـ "لا يشعرون" ."

● وأيضا يزيل الاشكال فى مخالفة مقتضى النظم عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَكَوَيْعَجَلُ اللَّهِ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لِقَضِي إِيَّاهُمْ أَجْلُهُمْ ﴾ (٥) فيقول (٦): " فإن قيل: قابل التعجيل فى الآية بالاستعجال، وكان مقتضى النظم أن يقابل التعجيل بالتعجيل والاستعجال بالاستعجال - أجيب: بأن تقدير الكلام: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه

1 - سورة لقمان: جزء من آية ٢٩ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٢٨٢ .

3 - سورة البقرة: جزء من آية ١٣ .

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥٢ .

5 - سورة يونس: جزء من آية ١١ .

6 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ١٣ .

استعجالاً كاستعجالهم بالخير، فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه. وقال في "الكشاف"^(١): أصل هذا الكلام: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير، إلا أنه وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم بالخير؛ إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم، حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم".

وهذه بعض أمثلة ذكر الخطيب الشربيني غيرها الكثير؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ عنايته الفائقة بالناحية البلاغية، وحرصه الشديد على إبراز كافة فنون البلاغة في القرآن الكريم، فيذكر فروعها وأنواعها، كما يذكر الكثير من المصطلحات البلاغية، وغالبا يبين الأغراض البلاغية لما يذكره من فنون بما يوضح أثرها في قوة المعنى المراد، فلا يكاد يترك موضعاً إلا ويشير إلى الأسرار البلاغية فيه بما يثبت إعجاز القرآن وإحكامه في نظمه، فنجدته يذكر السر في مجيء الكلام في صورة الاستفهام بأنواعه والسر في طرح القضايا في صورة الخبر، وأغراض القصر، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر؛ مثل: الدعاء، والتهكم، والتعجب، والأغراض التي خرج إليها أسلوب النهي والنداء، كما ذكر أنواع الإطناب^(٢)؛ كالتكرار، وذكر الخاص بعد العام، والتفصيل بعد الإجمال والاعتراض^(٣)، كما عني بملاءمة الكلمة لسياقها من حيث هيئتها والمعاني البلاغية لأبنية المشتقات^(٤).

^١ - ينظر: الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢٢٧ .

^٢ - الإطناب: هو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، وأن يخبر المطلوب بمعنى المعشوق بكلام طويل؛ لأن كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة؛ فإن كثرة الكلام توجب كثرة النظر؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٦ .

^٣ - الجملة المعترضة: هي التي تتوسط بين أجزاء الجملة لتقرير معنى يتعلق بها أو بأحد أجزائها؛ ينظر التعريفات للجرجاني ص ٦٩ .

^٤ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٣، ج ١ ص ٦٦، ج ١ ص ٣٣، ج ١ ص ١٩٩، ج ١ ص ٤٤٨، ج ١ ص ٢٣١، ج ٢ ص ٢٢، ج ٣ ص ٢٠٨، ج ٣ =

وهكذا يقف الخطيب الشربيني عند مفردات النص القرآني يتأمل
كلماتها ويبيّن وقعها وملاءمتها للسياق من حيث مادتها وهينتها، وهدفه من
هذا كله إظهار بلاغة القرآن الكريم وإحكام نظمه ؛ فكل كلمة تناسب الغرض
الذي سبقت له والمقام .

ص ٢٠٩، ج ٤ ص ١٣، ج ٤ ص ٤١١، ج ٤ ص ٢٣٧، ج ٤ ص ٦، ج ٤ ص
٧، ج ٤ ص ٤٥٦، ج ٥ ص ٢٨، ج ٦ ص ٢٥٣، ج ٦ ص ٧١، ج ٧ ص ١٧،
ج ٧ ص ٢٥٢، ج ٨ ص ٤٥٩.

المبحث الخامس: توظيفه الدلالة الصوتية فى استنباط المعنى:

من الظواهر الصوتية التى اهتم بها الخطيب الشربيني مراعاة الفاصلة القرآنية والتناسب بين رؤوس الآى:

● فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾^(١) يقول^(٢): "تقديم "رزقناهم" على "ينفقون" للاهتمام به وللمحافظة على رؤوس الآى".

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) يقول^(٤): "فإن قيل لم قدم "الرووف" على "الرحيم" مع أنه أبلغ؟ أجيب: بأنه قدّم محافظة على الفواصل".

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوَعِّتْ أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾^(٥) يقول^(٦): "فإن قيل: لو قيل: أم لم تعظ كان أخصر، والمعنى واحد؟ أجيب: بأن ذلك لتوخي القوافى".

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾^(٧) يقول^(٨): "أما من نون سلاسل فوجه بأوجه؛ منها أنه قصد بذلك التناسب؛ لأن ما قبله وما بعده منون منصوب".

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٣.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٣.

3 - سورة البقرة: جزء من آية ١٤٣.

4 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٥٩.

5 - سورة الشعراء: جزء من آية ١٣٦.

6 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٤٠.

7 - سورة الانسان: آية ٤.

8 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٢٠١.

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (١) يقول (٢) : " وتركت الكاف ؛ لأنه رأس آية ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] أى : الله " .

ولم أجده يهتم كغيره من المفسرين ببيان إحياء الكلمة وأثرها المعنوى وما تبعته فى النفس من ناحية دلالتها الصوتية؛ كالتعبير بالزلزلة فى قوله - تعالى - : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (٣) أو الوسوسة فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ {٤} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ (٤) .

1 - سورة الضحى: آية ٣ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٣٦٢ .

3 - سورة الزلزلة: آية ١ .

4 - سورة الناس: الآيتان ٥،٤ .

المبحث السادس: كثرة استشهاده بالشعر

استشهد أكثر علماء التفسير بالشعر في تفاسيرهم مع تفاوتهم في ذلك بين القلة والكثرة، وقد اختلفت آراء العلماء في مسألة الاستشهاد بالشعر وخاصة في التفسير وسأشير بإيجاز إلى هذا الخلاف:

” فالمانعون من الاستشهاد بالشعر احتجوا بأمور أهمها أن الاستشهاد بالشعر معناه أن يكون الشعر أصلاً للقرآن والله عز وجل قد ذم الشعراء فقال تعالى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ {٢٢٤} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ {٢٢٥} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾.

كما نقرأ الرسول ﷺ من الشعر فقال ﷺ: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً فيريه خير له من أن يمتلئ شعراً) (٢) ” وبما نقل الفضل بن زياد عن الإمام أحمد أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ما يعجبني“ (٣).

ورد العلماء على هؤلاء المنكرين قولهم بأنهم لا يجعلون الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال:

1 - سورة الشعراء : ٢٢٤ : ٢٢٦ .

2 - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: الأدب ، باب : ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدده عن ذكر الله والعلم والقرآن ؛ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٦ ص ٤٤١ ح ٦١٥٤ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب: الشعر ج٤ ص ٧٤ ح ٢٢٥٧ .

3 - الإتيان في علوم القرآن للشيخ الإمام العلامة أبي الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن أبي بكر السيوطي - ط . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ج١ ص ٢٢٥ بتصرف.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١) وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٢) .“

” وما ذكروه من الحديث مردود بأن الرسول ﷺ كان يسمع الكثير من شعراء المسلمين ويستزيدهم، بل ويأمرهم بالرد على المشركين . وأما ما نقل عن الإمام أحمد فيحتمل المنع ويحتمل الكراهة، وموجّه لمن صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها“^(٣).

وأكثر علماء التفسير أجازوا الاستشهاد بالشعر و استندوا إلى كثرة احتجاج الصحابة والتابعين على غريب القرآن ومشكله بالشعر:

قال ابن عباس: الشعر ديوان العرب ؛ فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه. وقال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب.

وقال أبو عبيد الله في فضائله عن ابن عباس أنه كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد يعني كان يستشهد به على التفسير.

وقال السيوطي: ” قلت قد روينا عن ابن عباس كثيراً من ذلك وأوعب ما روينا منه مسائل نافع بن الأزرق، وقد أخرج بعضها ابن الأثير في كتاب "الوقف" والطبراني في معجمه الكبير، وقد رأيت أن أسوقها هنا بتمامها لتستفاد. ثم ذكر السيوطي سنده كاملاً إلى أن قال: بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة ابن عويمر: قم بنا إلى هذا يجترئ على تفسير القرآن بما لا

1 - سورة الزخرف: آية ٣.

2 - سورة الشعراء: آية ١٩٥.

3 - الإتيان في علوم القرآن: ج١ ص ٢٢٥، ودلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني - ط . السعادة بالقاهرة ، ص ٢٥ بتصرف.

علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فنفسر لنا، وتأتينا بمصادفة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين، فقال ابن عباس: سلا عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرنى عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾^(١) قال: العزون: حلق الرفاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

"فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مَنْبَرِهِ عَزِينًا"^(٢)

قال: أخبرنى عن قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣) قال: الوسيلة الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنتره وهو يقول:

"إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي"^(٤)

قال: أخبرنى عن قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٥) قال: الشريعة: الدين، والمنهاج: الطريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

"لَقَدْ نَطَقَ الْمَأْمُونُ بِالصِّدْقِ وَالْهُدَى وَيَبِينُ لَلْأَمَامِ دِينًا وَمَنْهَجًا"^(٦)

1 - سورة المعارج: آية ٣٧.

2 - البيت من الوافر وهو للمهلهل بن ربيعة فى تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى، ٢٨٢-٣٧٠ هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون - ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ج٥ ص ١٠١، ولم أجده فى ديوان المهلهل.

3 - سورة المائدة: جزء من آية ٣٥.

4 - البيت من الكامل وهو لعنتره بن شداد فى ديوانه - ط. دار صادر بيروت، الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م ص ٣٣.

5 - سورة المائدة: جزء من آية ٤٨.

6 - البيت من الطويل، وهو لأبى سفيان الحارث بن عبد المطلب فى الإتيان فى علوم القرآن، النوع السادس والثلاثون فى معرفة غريبه ج١ ص ٢٥٦.

قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ إِذَا أُتْمِرَ وَيَنْعِهِ ﴾^(١) قال: نُضِجَهُ وَبَلَغَهُ .
قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:
"إِذَا مَا مَشَتْ وَسَطَ النِّسَاءِ تَأَوَّدَتْ كَمَا اهْتَرَّ عُصْنٌ نَاعِمٌ النَّبْتِ يَانِعٌ"^(٢)

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾^(٣) قال: فى
اعتدال واستقامة ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت لبيد بن
ربيعة وهو يقول:
"يَا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدًا إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدٍ"^(٤).

وظل السيوطى يسوق أمثلة كثيرة من أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس
وإجابته عنها مستشهداً بالشعر حتى بلغت ستاً وعشرين صفحة من كتابه
الإتقان.

"وقد سار الكثير من المفسرين على نهج ابن عباس وغيره من الصحابة
والتابعين فى استشهادهم بالشعر؛ فلم تخل كتب أعلام المفسرين من عرض
مباحث العلوم العربية والاستشهاد عليها بالشعر، ومنهم مَنْ قضى زمناً
طويلاً فى الاشتغال بالعلوم العربية؛ ولهم فيها مؤلفات قيمة فى مختلف
فروعها؛ كالزمخشري وأبى حيان وغيرهم، وقد امتازت تفاسيرهم بكثرة
استشهادهم بالشعر"^(٥).

1 - سورة الأنعام: جزء من آية ٩٩.

2 - البيت فى الإتقان فى علوم القرآن بلا نسبة "النوع السادس والثلاثون" ج-١ ص ٢٥٦.

3 - سورة البلد : آية ٤ .

4 - البيت من المنسرح للبيد ؛ ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر - بيروت
، حرف الدال ص ٥٠ .

5 - كأساس البلاغة والمفصل والكشاف للزمخشري ، والبحر المحيط لأبى حيان.

فوجد ابن جرير الطبرى يرجع إلى شواهد من الشعر القديم بشكل واسع متبعاً في هذا ما أثاره ابن عباس في ذلك ، وكذلك الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وأبو حيان في البحر المحيط، فقد امتازت تفاسيرهم بكثرة استشهادهم بالشعر .

والقارىء لتفسير السراج المنير الذى بين أيدينا يجد أنه من المفسرين الذين يرون الاستشهاد بالشعر على معانى القرآن الكريم؛ فنجده يكثر من الاستشهاد به والاستناد إليه في تدعيم آرائه، وتصحيح ما اختاره من آراء غيره ، وهذا جلى في تفسيره، وقد أخذ استشاده بالشعر عدة اتجاهات أهمها ما يأتى:

١- إعراب ألفاظ القرآن الكريم.

٢- بيان ما اشتملت عليه الآيات القرآنية من الخصائص البلاغية.

٣- بيان المعانى اللغوية لمفردات القرآن.

٤- توجيه القراءات.

٥- بيان المعانى التى استخلصها من آيات القرآن.

و سأعرض فيما يلى هذه الاتجاهات بالأمثلة :

١- إعراب ألفاظ القرآن الكريم:

يتعرض الخطيب الشربيني للإعراب عند تفسيره للآيات القرآنية ، وكثيراً ما يستشهد عليه بالشعر ؛ ومن نماذج ذلك:

● قوله فى إعراب ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾^(١) : ”والضمير للحفرة ، أو

النار، أو الشفا؛ وأنه لتأنيث ما أضيف إليه ؛ كقول الشاعر:

¹ - سورة آل عمران: جزء من آية ١٠٣ .

² - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٣٧١ .

"كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِّ" (١).

● ومن نماذج ذلك أيضا قوله فى إعراب قوله - تعالى - :
﴿كَافَّةً﴾ (٢)(٣): " حال من السلم ؛ لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب ؛ كما قال
القاتل:

"أَبَا حُرَّاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ
السَّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ تَكْفِيكَ أَنْفَاسُهَا جَزَعٌ" (٤)

● ويقول فى تفسير ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (٥) (٦): "أى ما ائتمنتم عليه
من الدنيا وغيره ، مجزوم بالعطف على الأول ؛ أى: ولا تخونوا ، أو
منصوب بأن مضمرة بعد الواو على جواب النهى ؛ أى: لا تجمعوا بين
الخيانتين ؛ كقوله:

- 1 - عجز بيت ، و صدره : " وَتَشْرُقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ " وهو من الطويل ، قاله
الأعشى؛ ينظر: ديوان الأعشى ، دار صادر - بيروت ، حرف الميم ص ١٨٣ .
- 2 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٠٨ .
- 3 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢١٥ .
- 4 - البيتان من البسيط ، قالهما العباس بن مرداس السلمى ، وجدت الأول فى شرح
شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصارى ٧٠٨ - ٧٦١ هـ ،
ط.المكتبة العصرية- بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٢١٣ ، وشرح شواهد
الكشاف ج٤ ص ٤٣٨ ، والثانى فى تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد
مرتضى الحسينى الزبيدى ، مطبعة حكومة الكويت ، ج٥ ص ٣٩٤ .
- 5 - سورة الأنفال: جزء من آية ٢٧ .
- 6 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٢٨ .

"لَا تَنَّةَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ" (١).

● ويقول عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ (٢)(٣): "اللام متعلقة بیدعو؛ أي: لأجل غفران ذنوبكم؛ كقوله:

"دَعَاؤُ لِمَا نَالْنِي مِسْوَرًا فَلَبَّيْ فَلَبَّيْ يَدِي مِسْوَرٌ" (٤)

● "ويقول عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ (٥)(٦) "يجوز: والذي يطعمني ويسقني أن يكون مبتدأ وخبره محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه، وكذا الذي بعده، ويجوز أن تكون أوصافاً (للذي خلقني) ودخول الواو جائز؛ كقوله:

"إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكُتَيْبَةِ فِي الْمُنْزِدَحِمِ" (٧).

وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم.

1 - صدر بيت، وعجزه "عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ" وهو من الكامل، قاله أبو الأسود الدؤلي، في شرح شذور الذهب ص ٢٦٢، ومعنى اللبيب لابن هشام ج ٢ ص ٤١٦.

2 - سورة إبراهيم: جزء من آية ١٠.

3 - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٢٥١.

4 - البيت من المتقارب، وهو لرجل من بني أسد؛ ينظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣هـ، ط. مكتبة الخانجي - القاهرة، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الثانية، ج ٢ ص ٩٢، وشرح شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤٠٧.

5 - سورة الشعراء: آية ٧٩.

6 - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٢٨.

7 - البيت من المتقارب، وهو بلا نسبة في خزنة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٤٥١.

وهكذا سار الخطيب الشربيني على هذا النهج في تفسيره يستدل على إعراب النظم القرآني بالشعر القديم ، وتلك بعض أمثلة يوجد غيرها الكثير في تفسيره. (١)

٢- بيان ما اشتملت عليه الآيات من الخصائص البلاغية:

يرجع الخطيب الشربيني إلى شواهد من الشعر لبيان النكات البلاغية التي تشتمل عليها التعبيرات القرآنية ؛ ومن أمثلة ذلك:

● يقول الخطيب الشربيني عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (٢) : (٣) "فإن قيل: كيف أضاف الجناح إلى الذل، والذل لا جناح له؟ أجيب: بوجهين: الأول: أنه أضيف الجناح إلى الذل؛ كما يقول حاتم الجود ، فكما أن المراد هناك حاتم الجود؛ فكذا هنا المراد: اخفض لهما جناحك الذليل . الثاني: أن مدار الاستعارة على الخيلان ؛ فهنا تخيل الذل جناحاً خفيفاً؛ كما جعل لبيد للشمال يداً، وللقرة زمماً فى قوله:

"وغداه ريح قد وزعت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها" (٤)

فأثبت للشمال يداً، وللقرة زمماً فى يد الشمال ؛ فكذا هنا. ومن ظريف ما حكى أن أبا تمام لما نظم قوله:

"لا تسقنى ماء الملام فإبنى صبباً قد استعذبت ماء بكائى" (١)

١ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٦، ٥٧، ٤٣٦، ج ٢ ص ١٠، ٥ ،، ٢٤٢، ٢٠٤، ٦١، ٢٦٢، ٤٤٦، ج ٣ ص ٢٧٣، ٣٩٤، ج ٥ ص ٢٨، ٦٧، ٩٥، ١٠٩، ١٥٥، ١٨٥، ٢٧٠، ج ٣٩، ٢٧٣، ج ٨ ص ١٠، ٦٨، ٤٤٤ .
٢ - سورة الإسراء : جزء من آية ٢٤ .
٣ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٤٢٥، ٤٢٦ .
٤ - البيت من الكامل ، وهو للبيد فى ديوانه ، حرف الميم ص ١٧٦ .

جاءه رجل بقصعة وقال له: أعطني شيئاً من ماء الملام ؛ فقال له: حتى تأتيني بريشة من جناح الذل؛ يريد أن هذا مجاز استعاره لذلك . وقال بعضهم:

"راشوا جناحي ثم بئوه بالندي فلم أستطع من حبهم أن أطيرا"^(٢)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقِضَ ﴾^(٣) يقول^(٤): " أي يسقط ، وهذا من مجاز كلام العرب ؛ لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه : قرب ودنا من السقوط ؛ كما تقول العرب : دارى تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها؛ فاستعير الإرادة للمشاركة ؛ كما استعير لها الهم والعزم فى قوله:

"يريد الرّمح صدرَ أبى برّاءٍ ويعدّلُ عن دماءِ بنى عقيلٍ"^(٥)

وقول للآخر:

"إنّ دهرًا يلفّ شَملىّ بجملىّ لزمانٍ يهَمُّ بالإحسان"^(٦)

1 - البيت من الكامل ، لأبى تمام فى مدح محمد بن حسان الضبى ، فى شرح ديوان أبى تمام لإيليا الحاوى - ط . دار الكتاب اللبنانى - بيروت ، الأولى ١٩٨١ م ، ص ١٧ .

2 - البيت من الطويل ، ذكره أبو حيان فى البحر المحيط بلا نسبة ج٦ ص ٢٦ ، وقال: "أراشوا - من أرضهم" .

3 - سورة الكهف: جزء من آية ٧٧ .

4 - ينظر : السراج المنير ج٤ ص ٧٢ .

5 - البيت من الوافر، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (ر ، و ، د) ج٣ ص ١٨٩ .

6 - البيت من الخفيف ، وهو لحسان بن ثابت - رضى الله عنه - فى أساس البلاغة للزمخشري ، مادة (ل ، ف ، ف) ص ٤١٢ .

ففى البيت الأول دليل على استعارة الإرادة للمشاركة ، وفى الثانى دليل على استعارة الهم لها .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^(١) يقول^(٢)

"بإدخال المؤمنين الجنة وغيرهم النار، وأدخلت "إن" على كل واحد من جزءى الجملة لزيادة التأكيد ؛ ونحوه قول جرير :

"إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَّبَلَهُ سَرِبَالِ مَلِكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ"^(٣)

● وفى قوله: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾^(٤) يقول^(٥): " ويجوز أن يكون الجمع لله - تعالى - وللملائكة ، أو للتعظيم على عادة مخاطبات الأكابر سيما الملوك ؛ كقوله:

ألا فارحمونى يا إله محمد^(٦)

وقوله:

فإِنْ شِئْتَ حَرَمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ^(٧)

- 1 - سورة الحج: جزء من آية ١٧ .
- 2 - ينظر : السراج المنير ج٤ ص ٢٨٥ .
- 3 - البيت من البسيط ، وهولجرير فى خزنة الأدب ج١٠ ص ٣٦٤ - ٣٦٨ ، وشرح شواهد الكشاف ج٤ ص ٥٣٢ .
- 4 - سورة المؤمنون: جزء من آية ٩٩ .
- 5 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٥٨ .
- 6 - صدر بيت ، وعجزه (فإن لم أكن أهلاً فأنت له أهل) ذكره الزمخشري فى تفسيره سورة المؤمنون (قال رب ارجعون) ، ينظر: شرح شواهد الكشاف ج٤ ص ٤٩٦ .
- 7 - صدر بيت ، وعجزه "وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا برداً" والبيت من الطويل للعرجى فى تهذيب اللغة ج٤ ص ١٤٠ ، والنفاخ: الماء العذب ، والبرد: النوم ، ينظر: شرح شواهد الكشاف ج٤ ص ٣٦٩ .

أو القصد تكرير الفعل للتأكيد ؛ لأنه في معنى " أرجعني" كما قيل في: ففأ،
واطرقاً فإنهما بمعنى: قف قف ، واطرق اطرق ."

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾^(١)
يقول^(٢): " تنبيه: علم مما تقرر أن كشف الساق كناية عن الشدة؛ قال الراجز:

"عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمِنْ طِرَادِي الطَّيْرِ عَن أَرْزَاقِهَا
فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَن سَاقِهَا حَمَاءَ تَبْرِي اللَّحْمِ عَن عِرْقَاهَا"^(٣)

وقول الطائي:

أخو الحرب إن عَضَّتْ به الحربُ عَضَّتْهَا وَإِنْ شَمَّرَتْ عَن سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَ^(٤)

وقال آخر:

"قَدْ شَمَّرَتْ عَن سَاقِهَا فَشَدُّوا وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجَدُّوا"^(٥)

وقال أبو عبيدة: إذا اشتد الأمر أو الحرب ؛ قيل: كشف الأمر عن ساقه،
والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج إلى الجد شمر عن ساقه؛ فاستعير
الساق والكشف عنها في موضع الشدة ."

1 - سورة ن: جزء من آية ٤٢ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص٦٥ .

3 - البيتان من الرجز، للعجاج في تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٨ ص ٣١٠، و
في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي بلا نسبة ج٨ ص ٢٣٨ .

4 - البيت من الطويل ، لزيد الخيل بن مهلهل الطائي في الحماسة البصرية ج١
ص، ٢٥٣، وشرح شواهد الكشف ج٤ ص ٣٢٢ .

5 - البيت من الرجز، بلا نسبة في تفسير البحر المحيط ج٨ ص ٣١٠، وفي الجامع
لأحكام القرآن، وقال: (قد كشفت عن ساقها فشدوا) ج٨ ص ٢٣٨ .

وهذه بعض نماذج من المواضع الكثيرة التي استشهد فيها الخطيب الشربيني بالشعر على معاني القرآن الكريم البلاغية، وعلى هذا النمط سار في عشرات من آيات القرآن الكريم^(١).

٣- بيان المعاني اللغوية لمفردات القرآن:

كثيرا ما يرجع الخطيب الشربيني إلى شواهد الشعر القديم عند تفسيره لمعاني المفردات ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ تَمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾^(٢) يقول ما نصه^(٣): " وقيل استوى بمعنى : استولى ؛ كما قيل:

"قَدِ اسْتَوَىٰ بِبَشْرٍ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ" ^(٤)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾^(٥) يقول^(٦): " قال ابن عباس : مقتدرا مجازيا؛ قال الشاعر:

"وَذِي ضِعْنٍ (أى: رب صاحب حقد) كَفَفْتُ الضُّعْنَ عَنْهُ

وَكُنْتُ عَلَىٰ إِسَاعَتِهِ (أى: إيساعى لذى الضغن) مُّقْتَدِرًا"^(٧).

١ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٤٠، ٢٤٤، ٣١٥، ٤٠٢، ٣٤٣، ج٣ ص ٣٨٢، ج٤ ص ٣٦٢، ٤٧٥، ج٥ ص ٢٢٣، ج٦ ص ٤٦٠ .

٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٩.

٣ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٧٦.

٤ - البيت من الرجز ، ينسب لبعيث ؛ في كتاب الأزمنة و الأمكنة للشيخ أبى على المرزوقى الأصفهانى - ط . دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، باب عظم شأن القرآن ج١ ص ٤٤ .

٥ - سورة النساء: جزء من آية ٨٥.

٦ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥٠١.

٧ - البيت من الوافر ، لأبى قيس بن رفاعه، فى تاج العروس ج٩ ص ٥١ .

● ويقول في معنى "سنة" في قوله - تعالى - : ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ﴾^(١)(٢) : "وهي ما يتقدم النوم من الفتور، الذي يسمى النعاس؛ قال ابن الرقاع العاملي:

"وَسَنَانُ أَفْصَدِهِ (أى: أصابه) النُّعَاسُ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ"^(٣)

● وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾^(٤) يقول الخطيب الشربيني^(٥): "أى: يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربه. والرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً؛ قال الشاعر:

"فلا كل ما ترجو من الخير كائنٌ ولا كل ما ترجو من الشرِّ واقعٌ"^(٦)

● كما قال عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾^(٧)(٨): "أى: خلقناها لأجلهم، فملكناهم إياها يتصرفون فيها تصرف الملاك، أو منهم لها ضابطون ماهرون؛ ومنه قولهم:

1 - سورة البقرة: جزء من آية ٢٥٥.

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٦٤، ٢٦٥.

3 - البيت من الكامل وهو لعدى بن الرقاع في لسان العرب مادة "ن، ع، س"، ج٦ ص ٢٣٣ - ط. دار صادر، وشرح شواهد الكشاف وقال: (فرنقت في عينيه سنة) ج٤ ص ٥١٧.

4 - سورة الكهف: جزء من آية ١١٠.

5 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٩٢، ٩٣.

6 - البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي - ط. دار المعرفة - بيروت - لبنان، ج٦ ص ٧٧٠.

7 - سورة يس: جزء من آية ٧١.

8 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ١٣٩.

” أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نَفَرَا^(١)
والذئب أخشاه إن مررتُ بهِ وحدي وأخشى الرياحَ والمطرا “
والشاهد في قوله: ولا أملك رأس البعير؛ أي: لا أضبطه؛ والمعنى: لم
تخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرّون على ضبطها؛ بل خلقناها
مذلّة“^(٢).

● وعند تفسيره لمعنى "الفطور" في قوله - تعالى - : ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ
فُطُورٍ ﴾^(٣) يقول الخطيب الشربيني^(٤): ” والفطور جمع فطر: وهو الشق؛
يقال: فطره فانفطر، منه فطر ناب البعير كما يقال: شقّ ومعناه: شقّ اللحم
وطلع، قال المفسرون : الفطور: الصدوع والشقوق؛ قال القائل:
”صَدَعَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَأَتْ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ“^(٥)“

وهذه بعض نماذج من مواضع كثيرة يستشهد فيها الخطيب الشربيني

بالشعر على تفسير معاني المفردات اللغوية في الآيات القرآنية^(٦)

1 - البيتان من المنسرح، وهما للربيع بن ضبع الفزاري، وجدت الأول في خزانة
الأدب ج ٧ ص ٣٨٤، وفي لسان العرب مادة "ض م ن"، ج ١٣ ص ٢٥٩، والثاني
بحثت عنه فلم أجده.

2 - ينظر: السراج المنير ج ٦ ص ١٣٣.

3 - سورة الملك: جزء من آية ٣.

4 - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٢٩.

5 - البيت من الواقف، وهو لعبيد الله بن مسعود في لسان العرب ج ١ ص ٨٠ (ذ، ر، ع)
وتاج العروس ج ١ ص ٢٣٣.

6 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٥، ٧٣، ٩١، ١١١، ١٧٨، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٣،
٢٤٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٤٣، ٤٦١، ج ٢ ص ٢٧٧، ٢٢٩، ج ٣
ص ١٥٥، ١٥٣، ج ٤ ص ٩، ١٨، ١٤٠، ٢٣٠، ٣١٠، ٤٧٦، ج ٥
ص ٨٠، ٨٠، ٥٨، ٤٦، ٤٢، ج ٤٩، ٣٣، ٥٣، ٢٠٦، ج ٨ ص ٢٩.

٤- توجيه القراءات:

ومن النماذج التي استدل فيها بالشعر على القراءات:

● عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾^(١) يقول^(٢): " وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب الراء على الحال من القاعدين أو الاستثناء، والباقون بالرفع صفة للقاعدين ؛ لأنه لم يقصد به قوماً بأعيانهم ، بل أراد به الجنس؛ كما في قوله:

"وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبُئِي" (٣) ."

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾^(٤) يقول^(٥): "وقرأ أبو عمرو بسكون الراء، وروى عن الدورى^(٦) اختلاس الضم وكسر الهمزة من "أنها" ابن كثير وأبو عمرو على الابتداء ، وقالوا: تمّ الكلام عند قوله - تعالى - : "ومايشعركم" والباقون بالفتح ؛ فهي بمعنى لعل ؛ وهو شائع في كلام العرب: اتت السوق أنك تشتري لنا شيئاً بمعنى لعلك، ومنه قول عدى بن زيد:

1 - سورة النساء: جزء من آية ٩٥ .

2 - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥٠٩ .

3 - صدر بيت من الكامل ، وعجزه " فمضيت ثمّ قلت لا يعنيني " وهو لرجل من سلول في خزانة الأدب ج١ ص ٣٥٧ ، ومغنى اللبيب ج١ ص ١٠٢ ، ولسان العرب ج١٢ ص ٨١ (ث ، م ، م).

4 - سورة الانعام: جزء من آية ١٠٩ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ١٤٨ .

6 - هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبانى بن عدى بن صهبان، ويقال صهيب، أبو عمر الدورى، الأزدي، البغدادي، النحوى، الدورى الضريير، إمام القراءة وشيخ الناس فى زمانه ، ثقة، ثبت كبير ضابط، أول من جمع القراءات ، توفى فى ٢٤٦ هـ ؛ ينظر : طبقات القراء لابن الجزرى ج١ ص ٢٥٥ .

"أعاذلُ ما يدريكُ أن منيتي إلى ساعةٍ في اليومِ أو في ضحى الغدِ" (١)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّقٍ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) يقول (٣): " وقرأ قنبل بإثبات الياء بعد القاف وقفا ووصلا، واختلف العربون في ذلك على وجهين: أجودهما : أن إثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب ؛ وأنشدوا عليه قول قيس بن زهير:
"ألم يأتيك والأبواء تنمى بما لآقت لبون بنى زياد" (٤)

وقول الآخر:

"هجوْتُ زِيَانَ ثُمَّ جئتُ معْتذِرًا عَنْ هَجْوِ زِيَانَ لَمْ تهجو ولم تدع" (٥)

وقول الآخر:

"إن العجوز غضب فطلقتى ولا ترضاهما ولا تلتقى" (٦)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ (٧) يقول (٨): " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة برفع اللام من يجعل ؛ وفيه وجهان: أحدهما: مستأنف. والثاني: أنه معطوف على جواب الشرط ؛

1 - البيت من الطويل ، وهو للمعلوط السعدى فى تاج العروس (ف ، د ، د) جـ ٨ ص ٤٨١ ، ولسان العرب "ف ، د ، د" جـ ٣ ص ٣٣٠ و"ه ، ج ، م" جـ ١٢ ص ٦٠٢ .

2 - سورة يوسف: جزء من آية ٩٠ .

3 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ١٩٤ .

4 - البيت من الوافر، وهو لقيس بن زهير فى خزانة الأدب جـ ٩ ص ٥٢٤ .

5 - البيت من البسيط ، وهى لزبان ابن العلاء فى تاج العروس جـ ٣ ص ٩ .

6 - لم أجده .

7 - سورة الفرقان: جزء من آية ١٠ .

8 - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٤٤٤ .

الشرط ؛ لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جوابه الجزم والرفع^(١)؛ كقوله:

”وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حريمٌ“^(٢)،

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾^(٣) يقول^(٤): ”وقرأ حفص "فأطلع" بنصب العين ؛ وفيه ثلاثة أوجه أحدهما: أنه جواب الأمر في قوله "ابن لى" فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه على قاعدة البصريين كقوله:

”يا ناقُ سيرى عنقاً فسيحا إلى سليمانَ فستريحا“^(٥)

وهذا موافق لمذهب البصريين .“

وهكذا يفعل الخطيب الشربيني في مواضع كثيرة ؛ إذ يستشهد بالشعر

على توجيه القراءات^(١).

¹ -الصحيح عند علماء النحو أنه إذا وقع بعد جزاء الشرط فعل مضارع مقرون بالفاء أو الواو يجوز فيه ثلاثة أوجه : الجزم بالعطف على فعل الشرط ، والنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية أو واو المعية ، والرفع على الاستئناف ؛ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري المولود في سنة ٦٩٨ هـ والمتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، ط. دار التراث ، القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م العشرون، باب:عوامل الجزم ،العطف على الجواب =بالفاء أو الواو ، جـ ٤ ص ٣٩ ، أما القاعدة التى استدل بها فتطبيق إذا كان الشرط ماضياً والجواب مضارعاً ؛ ينظر: المصدر نفسه ، فصل جواز رفع الجواب جـ ٤ ص ٣٥ .

² -البيت من البسيط ، لزهير بن أبى سلمى يمدح به هرم بن سنان فى ديوانه ، حرف الميم ص ٩١ - ط. دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

³ - سورة غافر : جزء من آية ٣٧ .

⁴ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٣١١ .

⁵ -البيت من الرجز ، لأبى النجم العجلي فى شرح شذور الذهب ص ٣٥٠ واللسان (ن) ، ف،خ) ج٣ ص ٦٣ .

٥- بيان المعانى التى استخلصها من الآيات:

استند الخطيب الشربيني أيضا إلى الشعر فى المعانى التى يستخلصها من آيات القرآن الكريم ؛ ومثال ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(٢) يقول^(٣): " أى: فرما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بصد ذلك ، وليكن نظركم ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير؛ فلعل أن يرزقكم الله - تعالى - منهم ولذا صالحًا أو يعطفكم الله عليهن . وقد بينت الآية إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونبهت على معنيين:

أحدهما: أن الانسان لا يعلم وجوه الصلاح.

والثانى: أن الانسان لا يكاد يجد محبوبا ليس فيه ما يكره ؛ فليصبر على ما يكره لما يحب؛ وأنشدوا فى هذا المعنى:

"وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَائِبٌ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْهَا وَلَمْ يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ"^(٤)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾^(٥) يقول^(١): " أى: لا يعامل معاملة المحب "الفرحين"

1 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٦ ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، ج ٤ ص ١٥٤ ، ١٨١ ، ج ٨ ص ١١٢ .

2 - سورة النساء: جزء من آية ١٩ .

3 - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٥٣ .

4 - البيتان من الطويل ذكر الاول منهما فى أساس البلاغة ص ٣٢٩ مادة (غ ، م ، ض) والثانى لم أجده .

5 - سورة القصص: جزء من آية ٧٦ .

أى البطريين الأثريين الراسخين فى الفرح بما يعنى الذين لا يشكرون الله
- تعالى - بما أعطاهم ؛ فإن فرحهم يدل على سقوط الهمم ؛ كما قال -
تعالى: ﴿ وَكَلَّا تَفَرَّحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ {الحديد: ٢٣} وقال القائل فى ذلك:
"وَلَسْتُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنَى" (٢)

وقال آخر:

"أَشَدُّ الغَمِّ عِنْدِي فِي سرورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا" (٣)

فلا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن، فأما من قلبه إلى الآخرة
ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب - لم تحدثه نفسه بالفرح - .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَأُخْرِجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ ﴾ (٤) يقول (٥): " أى : من ذلك الحب ؛ فهو حب حقيقة تعلمون ذلك
علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، لا تقدرتون تدعون أن ذلك خيال
سحرى بوجه من الوجوه. وفى هذه الآية وأمثالها حث عظيم على تدبر
القرآن واستخراج ما فيه من المعانى الدالة على جلال الله - تعالى -
وكماله، وقد أنشد هنا الأستاذ القشيري فى تفسيره - وعيب على من أهمل
ذلك - :

"يا مَنْ تَصَدَّرَ فِي دَسْتِ الإِمَامَةِ فِي مَسَائِلِ الفَقْهِ إِمْلَاءً وَتَدْرِيسًا
غَفَلْتَ عَنْ حُجَجِ التَّوْحِيدِ تَحْكُمَهَا شَيْدَتٌ فِرْعَا وَمَا مَهَدَتْ تَأْسِيسًا" (١)

1 - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ١٧١ .

2 - صدر بيت وعجزه: ولا جازعٌ من صرْفِهِ المَتَقَلِّبُ: وهو لذى الرمة فى شرح
شواهد الكشاف ج٤ ص ٣٣٩ وهو من الطويل ، ولم أجده فى ديوان ذى الرمة .

3 - البيت من الوافر ، وهو للمتنبى فى ديوانه حرف اللام ج٣ ص ٢٢٤ .

4 - سورة يس: جزء من آية ٣٣ .

5 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ١٠٩ .

تأسير_____سأ^(١)“

● وعند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٢) يقول^(٣): ” فلما شاهدنا حدوث هذه الأشياء الكثيرة فى تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة؛ علمنا أن الفاعل لذلك هو الله - تعالى - فصح بهذا البرهان العقلى القاطع صحة قوله - تعالى - : ”الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر“ قال الشاعر:

”فلا السعد يقضى به المشترى ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السماء وقاضى القضاة تعالى وجل“^(٤)

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَابِحِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٥) يقول^(٦): ” وهو إخراج جميع الحيوانات التى أكلتها الأرض وأفسدتها؛ يخرجها- سبحانه - فى الوقت الذى يريد على ما كان كل منها عليه عند الموت كما أخرج تلك الأرزاق، لا فرق بين هذا وذاك غير أنكم لا تتأملون ؛ فبا فوز من شكر، ويا هلاك من كفر، فعودوا أنفسكم بالخيرات لعلها تنقاد ؛ كما قيل:

1 - البيتان للقشيري ؛ ينظر: تفسير لطائف الإشارات، للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن محمد القشيري، ٣٧٦-٤٣٥ هـ ، تحقيق د/إبراهيم بسيونى ، ط. الهيئة العامة للكتاب الثانية ١٩٨١ م ج٣ ص٢١٦، والبيتان من البسيط .

2 - سورة الزمر: جزء من آية ٥٢.

3 - ينظر: السراج المنير ج٦ ص٢٦٩.

4 - البيتان ذكرهما الرازى فى التفسير الكبير بلا نسبة ج٢٦ ص٢٥١ .

5 - سورة الملك: جزء من آية ١٥.

6 - ينظر: السراج المنير ج٨ ص٣٦.

"هِيَ النَّفْسُ مَا عَوَّدَتْهَا تَتَّعَوِّدُ" (١) .

^١ -لم أجده وهو من الطويل .

سمات عامة لمنهجه في التفسير

من العلامات و الملامح البارزة لتفسير الخطيب الشربيني الآتى :

الدعاء عند انتهائه من تفسير بعض الآيات:

● فعند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾^(١) يقول^(٢): " جعلنا الله - تعالى - وأحبابنا من أهل ولايته بمحمد ﷺ و آله وصحابته "

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾^(٣) يقول^(٤): " اللهم بجاه محمد ﷺ أن تجعلنا ووالدينا و أحبابنا من أهله " .

● وأيضاً عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٥) يقول^(٦): " يقول مصنف هذا الكتاب: قد أفنيت نفسى فى خدمة العلم، ومطالعة الكتب، ولا رجاء لى فى شىء إلا أنى فى غاية الذلة والقصور، والكريم إذا قدر عفا، فأسألك يا أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين وساتر عيوب المعيوبين أن تفيض سجال رحمتك علىّ و على والدىّ وأولادى وإخوانى وأحبابى، وأن تخصصنى و إياهم بالفضل و التجاوز و الجود و الكرم " .

1 - سورة الأنبياء: جزء من آية ٩٠ .

2 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٧ .

3 - سورة المؤمنون: جزء من آية ١١ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٢٨ .

5 - سورة هود: آية ٤ .

6 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٦٦ .

الدعاء عند انتهائه من تفسير السورة:

- فعند انتهائه من تفسير سورة الروم يقول^(١): ”وها أنا أسأل الله – تعالى – القريب المجيب أن يغفر ذنوب من كتب هذا ، وهو محمد الشريبي الخطيب، و يفعل ذلك بوالديه وأولاده ومشايخه وكل محب له وحبیب“ .
- وأيضاً عند انتهائه من تفسير سورة الشعراء يقول^(٢): ” اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها “ .

عنايته بالمواعظ:

كثيراً ما يتعرض الخطيب الشريبي للمواعظ و الرقائق، و الترغيب والترهيب ، ولعل ورعه وتقواه وزهده هو الدافع الذي جعله يعنى بهذه الناحية:

- فعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾^(٣) يقول^(٤): ”قال محمد بن عمر الرازي في تفسيره^(٥): و الذي جربته من أول عمري إلى آخره أنّ الإنسان كلما عوّل في أمر من الأمور على غير الله – تعالى – صار ذلك سبباً للبلاء و المحنة و الشدة و الرزية، و إذا عوّل على الله – تعالى – ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه ، فهذه التجربة قد استمرت من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت إلى السابع و الخمسين ، فعند ذلك استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله – تعالى – و إحسانه“.

1 - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٢٥٧، ص ٢٥٨.

2 - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٦٣، ص ٦٤.

3 - سورة يوسف: جزء من آية ٤٢.

4 - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ١٦١.

5 - ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ج ١٨ ص ١١٦.

● وعند انتهائه من تفسير سورة النحل يقول^(١):

” قال الرازي^(٢): ”فى آخر هذه السورة : يقول مصنف الكتاب: الحق عزيز، والطريق بعيد ، والمركب ضعيف ، و القرب بُعد ، و الوصل هجر، و الحقائق مصنونة ، و المعالى فى غيب الغيب مكنونة ، و الأسرار فيما وراء أقفال الغرة مخزونة ، و بيد الخلق القيل و القال ، و الكمال ليس إلا لله – تعالى – ذى الإكرام و الإجلال“ .

● وعند تفسيره لقوله – تعالى – : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى صُرٍّ مَسَّةٍ ﴾^(٣) يقول^(٤): ” و أما المؤمن إذا ابتلى ببليّة أو محنة، وجب عليه رعاية أمور:

أولها: أن يكون راضياً بقضاء الله – تعالى – غير معترض بالقلب و اللسان عليه ، وإنما وجب عليه ذلك ؛ لأنه – تعالى – مالك على الإطلاق ، وملك بالاستحقاق ، فله أن يفعل فى ملكه ما شاء ، و لأنه – تعالى – مالك على الإطلاق، وهو منزّه عن فعل العبث ؛ فكل ما فعله فهو حكمة و صواب، فيجب عليه الصبر و ترك القلق ، فإن أبقى عليه تلك المحنة فهو عدل ، وإن أزالها عنه فهو فضل.

وثانيها: أنه فى ذلك الوقت إن اشتغل بذكر الله – تعالى – والثناء عليه بدلاً من الدعاء، كان أفضل لقوله ﷺ حكاية عن الله – تعالى – : (من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) ^(٥) و لأن

1 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣٩٣ .

2 - ينظر: مفاتيح الغيب للرازي جـ ٢٠ ص ١١٥ .

3 - سورة يونس: جزء من آية ١٢ .

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ١٤ .

5 - أخرجه الترمذى فى سننه جـ ٥ ص ٢٩ - كتاب: فضائل القرآن ، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبى ﷺ ح ٢٩٢٦ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب =

الاشتغال بالذكر اشتغال بالحق ، والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس،
و لا شك أن الأول أفضل.

وثالثها: أنه – تعالى – إذا أزال عنه تلك البلية وجب عليه أن يبالح في
الشكر، وأن لا يخلو عن ذلك الذكر في السراء و الضراء، و أحوال الشدة و
الرخاء، فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول البلاء، و حينئذ يكون المؤمن
على الضد من الكافر؛ لأن الكافر منهمك في الشهوات، و الإعراض عن
العبادات.“

عنايته بأقوال الصوفية:

الخطيب الشربيني لا يفسر الآيات تفسيراً إشارياً يمثل الفلسفة الصوفية،
إلا أنه يستطرد أثناء التفسير إلى مواضع و حكم الصوفية:

● ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾^(١) يقول^(٢): ” تنبيه: اختلف الناس كيف صار الإقبال
على الطاعات سبباً لزال ضيق القلب والحزن فقال العارفون المحققون: إذا
اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات ينتور باطنه و يشرق عليه، وينفسح
وينشرح صدره ؛ فعند ذلك يعرف قدر الدنيا و حقارتها ؛ فلا يلتفت إليها “.

● و أيضاً عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ ﴾^(٣) يقول^(٤): ” لأن قيامهم بعد نومهم ينقلبون نيفاً و ثلاثمائة سنة مثل من

=وأخرجه الدارمي في – كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل كلام الله على سائر الكلام
جـ ٢ ص ٣١٣ ح ٣٣٥٦ وقال محققه: إسناده ضعيف .

1 - سورة الحجر: آية ٩٨.

2 - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣١٢.

3 - سورة الكهف: جزء من آية ٢١.

4 - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٢٠.

مات ثم بعث ؛ قال بعض العارفين: علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت“.

● وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾^(١) يقول^(٢): أي: اسكتوا ، وميلوا بكلياتكم ، واستمعوا ؛ حفظاً للأدب على بساط الخدمة وفيه تأدب مع العلم في تعلمه. قال القشيري^(٣): فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار“

الإحالة علي ماسبق:

● فعند انتهائه من تفسير الآية ١٦٠ من سورة الأعراف يقول^(٤): ” وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة“.

● وعند تفسيره لسورة النحل يحيل تفسير الآية ١١٥ على تفسيرها في سورة البقرة ؛ فيقول^(٥): ” وقد تقدم تفسير قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٦) في سورة البقرة فلا إفادة في تفسير ذلك“.

1 - سورة الأحقاف: الآية ٢٩.

2 - ينظر: السراج المنير ج٧ ص٢٧.

3 - هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري ، أبو القاسم ، زين الإسلام ، عالم بالفقه والتفسير والحديث والأصول وعلم التصوف ، من كتبه: التيسير في التفسير وهو تفسير كبير ، ولطائف الإشارات وهو تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم ، توفي بنيسابور وما زال قبره قائماً بها يزوره الناس للتبرك ؛ معجم المفسرين لعادل نويهض ج١ ص٢٩٩ ، ٣٠٠ .

4 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص٢٧٢.

5 - ينظر: السراج المنير ج٣ ص٣٨٤ .

6 - سورة النحل : آية ١١٥.

● وأيضاً عند تفسيره لسورة الكهف يحيل تفسير (الحمد) في أولها على ما ذكره في سورة الفاتحة ؛ فيقول^(١): ﴿الحمد لله﴾^(٢) تقدم الكلام عليه مستقصى في أول الفاتحة“.

¹ - ينظر: السراج المنير ج ٤ ص ٥.

² - سورة الكهف: جزء من آية ١.

نتائج البحث

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فقد انتهيت بفضل الله وحمده من البحث الذى تناولت فيه منهج الخطيب الشربيني فى تفسيره السراج المنير، وأشكر الله ﷻ أن كان بحثى فى التفسير، أشرف العلوم، إذ كنت أحاول أن أفهم على بعض من أسرار الكثرة التى يعجز المرء أن يلم بجزء منها لو أمضى عمره يستخرجها.

وقد برزت لى من خلال دراستى لموضوع البحث عدة نتائج وهى:

- ١- نبوغ الخطيب الشربيني العلمى وتفوقه فى الإفتاء والتدريس.
- ٢- جمع الخطيب الشربيني بين العلم والعمل فعرف بالورع والزهد وكثرة العبادة.
- ٣- سعة إطلاعه على العلوم الشرعية ويتضح ذلك من عرضه للسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وعرضه لأقوال المفسرين والفقهاء.
- ٤- درايته الواسعة بعلوم اللغة العربية ويتجلى ذلك فى تعدد المعانى اللغوية التى يذكرها موضعاً بها مفردات القرآن، ووجوه الإعراب الدقيقة، التى يحمل عليها المعانى القرآنية ويوجه بها القراءات المتواترة، وعنايته الفائقة ببيان الأسرار البلاغية ودقته فى تلخيص هذه المعانى.
- ٥- تفسيره يجمع بين المأثور والرأى، وطريقته فى التفسير هى الغالبة على مؤلفات من سبقوه من المفسرين، وقد حاول الاستفادة من جل التفاسير فأتى تفسيره مفيداً ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل،

- سهل الأسلوب، واضح المعانى.
- ٦- ميله لمذهبه الشافعيّ.
- ٧- يبدأ تفسير كل سورة ببيان سر إطلاق اسمها العلم عليها واذا كان للسورة أسماء متعددة فقد يتعرض لبيان سبب إطلاقها على السورة كذلك.
- ٨- يتناول تأويل البسمة في كل سورة تفسيرًا يتناسب و روح السورة ومقصدها وموضوعها.
- ٩- عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة وعرضه لآراء الفرق المختلفة من المعتزلة والمشبهة والقدرية وغيرهم ودقة مناقشاته لآرائهم وانتصاره لمذهب أهل السنة والجماعة.
- ١٠- تحريه الصحة فيما ينقل من أسباب النزول.
- ١١- تحريه الصحة فيما يستدل به من الأحاديث النبوية فيقتصر على الصحيح والحسن، وينبه على غيرهما.
- ١٢- اقتصاره على القراءات السبع المشهورة وعنايته الفائقة بكيفية الأداء الصوتي لها وتوجيهها إلى المعانى القرآنية.
- ١٣- تحريه الصحة فيما ينقل من آراء واعتداله في نقده آراء العلماء مستندًا في نقده إلى أدلة صحيحة.
- ١٤- دقته البالغة في استخلاص المناسبات بين السور والآيات.
- ١٥- قلة اهتمامه بالتفسير العلمى للآيات القرآنية.
- ١٦- كثرة ما نقله من الاسرائيليات التي لم يتناولها بتضعيف أو تصحيح، خاصة في القصص الذي غلب على تفسيره.
- ١٧- دفاعه عن عصمة الأنبياء وإبطال الروايات التي تخل بها.
- ١٨- تأثره الواضح بطريقة الفخر الرازي الكبير مفاتيح الغيب فنقل عنه الكثير في مختلف مباحث التفسير.

- ١٩- يلتقى مع المهامىّ والبقاعى فى عنايتهما بـ:
- المناسبات والصلات بين الآيات.
 - تفسير البسمة تفسيراً مختلفاً فى كل سورة عن الأخرى.
 - إبراز حكمة تسمية السور بما سميت به.
- ويلتقى مع القاضى زكريا فى تتبعه بالأحاديث الموضوعية التى ذكرها القاضى البيضاوى تبعاً للزمخشري فى نهاية كل سورة فى فضائل السور.
- ٢٠- عنايته الفائقة بالشعر العربى فنجده يكثر من الإستشهاد به على المعانى القرآنية.
- ٢١- كثرة مصادر الخطيب الشربيني فى تفسيره تبيّن لنا مدى الجهد الذى بذله فى جمع هذا التفسير وإخراجه، فالمطالع له يشعر أنه فى سياحة ممتعة مفيدة بين مختلف مباحث التفسير، ويجد نفسه مطلعاً على مختلف العلوم الشرعية وبين ألوان التفسير بالمأثور والرأى، والتحليلى والموضوعى.
- ٢٢- بالنتيجة والدراسة لتفسيره اتضح أنه ليس مجرد ناقل وملخص بل هو ناقد مدقق، وكان هذا واضحاً فى موقفه من الأقوال والآراء التى أخذها عن مصادره المختلفة، حيث ظهرت براعته فى عرض الآراء ودقة تلخيصها ونقدها، فلم يغتر بالاعتزاليات التى أوردها الزمخشري فى تفسيره بل فندها وردّ عليها كما تتبع الأحاديث التى ذكرها البيضاوى تبعاً للزمخشري فى نهاية كل سورة فى فضلها وبيّن أنها موضوعة باتفاق أهل العلم.
- ٢٣- يهتم بالمنهج الموضوعى الذى يجمع بين الآيات التى تتعلق بموضوع واحد وبيان ما بينها من اتفاق واختلاف.
- ٢٤- يهتم ببيان المشكل وإزالة ما يتوهم من خلاف ظاهر.
- ٢٦- يختتم بعض الآيات القرآنية بالدعاء.

٢٧- اختتم التفسير جميعه بقوله: وهذا آخر ما يسره الله تعالى من السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير فدونك تفسيراً كأنه سبيكة عسجد، أو در منضد، ثم أكد باختصار على منهجه الذى عرضه فى بداية التفسير ثم أطال الدعاء ثم اختتم قائلاً: قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وكان الفراغ من تأليفه يوم الإثنين المبارك، ثالث عشر صفر الخير، من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، على يد مؤلفه فقير رحمة ربه القريب محمد بن أحمد الشريبي الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبه، وستر فى الدارين عيوبه والمسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين، والمرسلين والصحابة أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين" (١)

٢٨ لم يف بما اشترطه على نفسه فى اقتصاره على الصحيح والحسن من الأحاديث والآثار؛ إذ استدل بأحاديث ضعيفة ولم ينبه عليها وأخرى لم أعثر عليها فى كتب الحديث التى نسبها إليها ولا فيما وقفت عليه من كتب الحديث وكذا التفاسير.

٢٩ لم يكن دقيقاً فيما نسبه من بعض الأقوال لغيره من العلماء؛ فبالاضطلاع على هذه الأقوال فى مصادرها الأصلية وجدت بعضها مختلفا عما ذكره الخطيب الشريبي، والقليل لم أعثر عليه فى كتب من نسبه إليها ولعله نقله عن غيرهم من العلماء الذين نسبوهم إليهم.

١ - السراج المنير: ج ٨ ص ٤٧٩: ص ٤٨١ بتصرف.

وعلى الجملة.... فقد جاء تفسيره سهل العبارة، واضح المعانى، مفيداً، بعيداً عن خلط التفسير بما لا يتصل به، غير مسرف فيما يتناوله من النواحي العلمية، وآراه مرجعاً مهماً يعتمد عليه كل طالب علم.

وبعرضى لهذه النتائج أكون قد أتممت بفضل الله رسالتى، ولعلى بتوفيق من الله عز وجل أكون قد قاربت الصواب فيما قمت به من بحثه، وقد حاولت بذل طاقتى منها وما وسعنى الجهد راجية من الله عز وجل التوفيق، فإن أصبت فذلك ما أرجوه، وإن تكن الأخرى فما هو إلا جهد باحثة متطلعة إلى الكمال، والكمال لله وحده.

والحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله؛ وصلى الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ومن سار على نهجهم من العلماء العاملين الذين قضوا حياتهم المباركة فى تفسير القرآن.

الفهارس

-٣٤٧-

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها فى السورة	رقم الصفحة
	❖ سورة الفاتحة		
١	﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	١	24
٢	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	32
٣	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	32
	❖ سورة البقرة		
١	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢	38
٢	﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ... ﴾	٥	43
٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ... ﴾	٦	49
٤	﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	١٢	81
٥	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا... ﴾	١٤	87
٦	﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾	٣٧	142
٧	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ... ﴾	٣٩	102
٨	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا... ﴾	٤٨	102
٩	﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾	٥٩	124
١٠	﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ... ﴾	٦٠	134
١١	﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ... ﴾	٩٤	176
١٢	﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا... ﴾	١٠٦	178
١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا... ﴾	١٦٨	181
١٤	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ... ﴾	١٧٣	186
١٥	﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ... ﴾	١٨٠	220
١٦	﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا... ﴾	١٨٤	٢١٥
١٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ... ﴾	٢١٥	٥١
١٨	﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٢٧	٥١
١٩	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾	٢٢٨	٢٨٦
20			٢٥٩

	٢٣٤	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا...﴾	١
٤٤		❖ <u>سورة آل عمران</u>	٢
٢٣٤	٢	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٣
٨٤	٦	﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾	٤
٤٥	٧	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ...﴾	
٤٤	٤٩	﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ...﴾	١
		❖ <u>سورة النساء</u>	٢
٢٣٥	٢٨	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾	٣
٥٠	٣٣	﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ...﴾	٤
٢٣٦	٤١	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ...﴾	٥
٢٩١	٤٢	﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾	
	٤٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾	١
٥٠		❖ <u>سورة المائدة</u>	٢
	٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ...﴾	٣
٢٦٢	٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾	٤
١١٩	٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾	
	٧٣	﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾	١
٢٢٧		❖ <u>سورة الأنعام</u>	
٥٤	١٤٥	﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾	١
		❖ <u>سورة الأعراف</u>	٢
٤٧	٢٣	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا...﴾	
	٥٤	﴿إِن رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾	١
١٤٩		❖ <u>سورة الأنفال</u>	٢
٢٢٩	٤١	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ...﴾	
١٢٠	٦٠	﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	١
		❖ <u>سورة يونس</u>	
٤٣	٩٨	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا...﴾	١
		❖ <u>سورة هود</u>	٢
٤٧	١	﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ...﴾	٣

١٧١	٤	﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	
٣٣٢	١٠٢	﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ... ﴾	١
		❖ سورة إبراهيم	
٥٢	١٤	﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾	١
١٨٤		❖ سورة الحجر	٢
٣٣٣	٢٦	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ... ﴾	٣
٢٣٧	٤٠	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾	
	٩٨	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾	١
١٢٧		❖ سورة النحل	٢
٢٨٠	٤٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ... ﴾	٣
٢٦٥	٨٠	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ... ﴾	٤
	١١٥	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ... ﴾	
١٨٩	١٢٦	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ... ﴾	١
		❖ سورة الكهف	
٢٩٧	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ... ﴾	١
١٢٢	١٢	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنُعَلِّمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى... ﴾	٢
	٤٧	﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً... ﴾	٣
١٧٥		❖ سورة مريم	
	٦٤	﴿ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا... ﴾	١
١٥٢		❖ سورة طه	
٧٣	٣٢	﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾	١
	١١٦	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا... ﴾	٢
١٥٤		❖ سورة الأنبياء	
٢٦٧	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي... ﴾	١
		❖ سورة الحج	٢
٢٩٧	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ... ﴾	
٣٠١	٧٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا... ﴾	١
٣٠١		❖ سورة المؤمنون	٢
٣١٤	٩٩	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾	

٣٠٩	١٠٢	﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	١
٣٠٨		❖ <u>سورة الشعراء</u>	٢
٣٠٨	١٣	﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْسُطُ لِسَانِي فَأرْسِلْ... ﴾	٣
٣٠٨	٢١	﴿ ففَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَتَكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي... ﴾	٤
	٢٢	﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ... ﴾	٥
٢٠١	٧٩	﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾	٦
	١٩٥	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾	٧
١٩٩	٢٢٤	﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾	٨
	٢٢٥	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾	٩
١٢١	٢٢٦	﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾	١٠
١٢١		❖ <u>سورة القصص</u>	١
	٥٦	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ... ﴾	٢
١٥٦		❖ <u>سورة العنكبوت</u>	٣
١٥٤	٨	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ... ﴾	١
١٥٤		❖ <u>سورة لقمان</u>	٢
	٢	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾	٣
٢٢٨	٣	﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾	١
		❖ <u>سورة السجدة</u>	٢
١٥٢	٥	﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ... ﴾	٣
	١١	﴿ قُلْ يَتُوبَإِكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى... ﴾	٤
١٥٢	١٢	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكَسُوا رُؤُوسِهِمْ... ﴾	١
		❖ <u>سورة الأحزاب</u>	٢
٢٩٣	٤٨	﴿ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ... ﴾	١
١٥٦		❖ <u>سورة سبأ</u>	٢
	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي... ﴾	٣
٤٩		❖ <u>سورة فاطر</u>	٤
١٩١	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ... ﴾	١
		❖ <u>سورة يس</u>	٢
٢٩٨	٢	﴿ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾	٣

	٨٣	﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	١
٣٠٩		❖ <u>سورة الزمر</u>	٢
	٤٢	﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ... ﴾	
٣٣٣	٥٣	﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ... ﴾	١
٢٦٤		❖ <u>سورة غافر</u>	
	٥٨	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	١
١٥٤		❖ <u>سورة الزخرف</u>	٢
٢٦٤	٣	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾	٣
		❖ <u>سورة الأحقاف</u>	٤
١٥٧	٢٩	﴿ فلما حضروه قالوا أنصتوا ﴾	
	٣٣	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... ﴾	١
١٢٤		❖ <u>سورة محمد</u>	٢
١٢٣	١	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾	
١٧١	٢	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا... ﴾	١
		❖ <u>سورة النجم</u>	
١٠٣	١	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾	١
٢٠١		❖ <u>سورة الرحمن</u>	٢
	٢	﴿ عِلْمَ الْقُرْآنِ ﴾	٣
١٥٣	١٤	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾	
	٧٨	﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	١
٥٠		❖ <u>سورة الواقعة</u>	٢
	١	﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾	
١٥٣	٨٢	﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾	١
٥٢		❖ <u>سورة الحديد</u>	
	١	﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ... ﴾	١
٣١٠		❖ <u>سورة المجادلة</u>	
	٣	﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾	١
٢٢٨		❖ <u>سورة الحشر</u>	٢
٢٢٨	١	﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ... ﴾	

٢٢٨	٧	﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ... ﴾	١
٢٣٩		❖ <u>سورة المعارج</u>	
	٣٧	﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾	١
٢٠٠		❖ <u>سورة المزمل</u>	٢
٢٧٨	٢	﴿ قَمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٣
٢٥١	٣	﴿ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾	٤
	٤	﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾	
٣٠٦	١٠	﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾	١
		❖ <u>سورة القيامة</u>	٢
١٧٧	٣	﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ ﴾	٣
	٢٢	﴿ وَجُودَهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةً ﴾	
١٨٤	٢٣	﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	١
		❖ <u>سورة الإنسان</u>	
٢٩٢	٤	﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾	١
٢٦٦		❖ <u>سورة النبأ</u>	
٥٥	٢٨	﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾	١
		❖ <u>سورة التكوثر</u>	
٤٣	٢٤	﴿ وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾	١
		❖ <u>سورة الانشقاق</u>	٢
٣١١	١	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾	٣
	٧	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾	
٣٠٧	٨	﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾	١
		❖ <u>سورة الطارق</u>	
٢٤٢	١٢	﴿ وَاللَّارِضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾	١
		❖ <u>سورة البلد</u>	
٣٠٧	٤	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾	١
		❖ <u>سورة الضحى</u>	
٨٦	٣	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾	١
		❖ <u>سورة التين</u>	

١٥٣	١	﴿ وَالزَّيْتُونَ ﴾	١
٣٠٠		❖ <u>سورة الزلزلة</u>	
٣٠٠	١	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾	١
		❖ <u>سورة العاديات</u>	
٢٧٩	٦	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾	١
		❖ <u>سورة القارعة</u>	٢
٥٦	١	﴿ الْقَارِعَةُ ﴾	٣
	٨	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾	
١٥٥	٩	﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾	١
١٥٥		❖ <u>سورة الهمزة</u>	
١٩٦	٢	﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾	١
		❖ <u>سورة الكوثر</u>	
٣٠٧	١	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾	١
٣٠٧		❖ <u>سورة النصر</u>	٢
	١	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾	
	٣	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾	١
		❖ <u>سورة الفلق</u>	
	١	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾	١
		❖ <u>سورة الناس</u>	٢
	٤	﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾	
	٥	﴿ الَّذِي يُوسَسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾	
		❖	

فهرس الأحاديث والآثار

م	صدر الحديث - الأثر	الصفحة
١	أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ليلة...	١٨٩
٢	أبى وأبوك في النار...	٥٩
٣	احتبس جبريل ﷺ عن النبي ﷺ حين سأله قومه...	١٩٠
٤	إذا زنت أمة أحدكم فتنين زناها فليجلدها الحد...	٦٤
٥	إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليكم ما قلت...	١٩٥
٦	إذا قال العبد: الله، قال الله: دخل حصني...	١٣٥
٧	إذا قضى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً...	٧٧
٨	إذا كتبواكم فعليكم بالنبل...	٥٥
٩	اسعوا فإن الله - تعالى - كتب عليكم السعي...	٦٥
١٠	أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل...	٢٦١
١١	أما بنو هاشم وبنو عبد المطلب فشيء واحد...	٢١١
١٢	أمنى جبريل عند البيت ؛ مرتين فصلى بي الظهر...	٦٨
١٣	إن الله - تعالى - يقبل الصدقة ويرببها...	٦٠
١٤	إن الله أعطى كل ذي حق حقه...	٢٣٢
١٥	إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض...	١٣٦
١٦	أن النبي ﷺ طب؛ أي: سحر...	١٩٦
١٧	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة...	٥٨
١٨	إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي...	١٤٣
١٩	أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا...	١٩١
٢٠	إنكم سترون ربكم عياتنا كما ترون القمر...	٢٥١
٢١	إنما كان يكفك أن تضرب بيدك الأرض ...	٦٧
٢٢	إني لأستغفر الله تعالى في اليوم والليل سبعين مرة...	١١٧
٢٣	أهدى للنبي ﷺ طبق من تين ؛ فأكل منه...	٢٤٢

١٣٥	أوتيت خواتيم البقرة من كنز تحت العرش...	٢٤
٢١٩	أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس...	٢٥
٥٩	بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه...	٢٦
٧٠	تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً...	٢٧
٩١	جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ونور القمر كذلك...	٢٨
٦٩	الحج عرفة ؛ فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج...	٢٩
٢١٠	خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً...	٣٠
٦٤	خذوا عنى مناسككم...	٣١
٢٠٩	دعي الصلاة أيام أقرائك...	٣٢
٦٠	الربا وإن كثر قل...	٣٣
٧٥	رفع عن أمتي الخطأ والنسيان...	٣٤
١٣٦	السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن...	٣٥
٢٠٢	غزونا مع رسول الله ﷺ...	٣٦
٦٦	فضلنا على الناس بثلاث ...	٣٧
٥٤	في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض...	٣٨
١١٦	قال سليمان لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة...	٣٩
٢١٢	قضى رسول الله ﷺ في دية الخطأ...	٤٠
٥٧	قيل لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا...	٤١
١٩٦	كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ فدنت إليه اليهود...	٤٢
١٩٣	كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين...	٤٣
١٣٦	كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان...	٤٤
١٩٤	كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله ﷺ...	٤٥
٢١٣	كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ...	٤٦
٢٣٤	لا تحدثوا حلفاً في الإسلام ليس في المائدة منسوخ...	٤٧

٦٢	لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا العممة على بنت أخيها...	٤٨
٣٠٨	لأن يمتلئ جوف أحدكم قَيْحًا فيريه...	٤٩
٥٩	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء...	٥٠
٥٣	لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة...	٥١
٢٠٣	ليت شعري ما فعل أبو أبي...	٥٢
٢١٨	ليس من البرّ الصيام في السفر...	٥٣
٥٥	ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه...	٥٤
١٩٣	ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها...	٥٥
١٤١	ما أنزل على القرآن إلا آية وحرّفًا حرّفًا...	٥٦
٢٣٢	ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء...	٥٧
٥٣	ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة...	٥٨
٢٣٧	المائدة آخر القرآن نزولاً...	٥٩
١٥٨	المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزى بربه...	٦٠
١٤٣	معنى "الم" أنا الله أعلم ، ومعنى "الر" أنا الله أرى...	٦١
١٢٥	من سن سنة سيئة...	٦٢
٣٣١	من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته...	٦٣
١٣٧	من قال سبحان الله العظيم وبحمده...	٦٤
١٩	من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ...	٦٥
١٤٢	من قرأ "طس" كان له من الأجر عشر حسنات...	٦٦
١٣٨	من قرأ "قل هو الله أحد"...	٦٧
١٣٩	من قرأ "قل هو الله أحد" بعد صلاة الصبح...	٦٨
١٣٩	من قرأ "قل هو الله أحد" عشر مرات بنى الله له قصرًا...	٦٩
١٣٩	من قرأ "قل هو الله أحد" في مرضه...	٧٠
١٤٠	من قرأ آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً...	٧١
١٣٥	من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه...	٧٢

١٤١	من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين... ٧٣
١٤١	من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات... ٧٤
٣٧	من قرأ سورة الواقعة كل ليلة... ٧٥
٥٦	من نوقش الحساب هلك... ٧٦
٨٠	الميت يعذب في قبره بما نوح عليه... ٧٧
٢٤٣	نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة... ٧٨
٢٦٢	هذان حرام على ذكور أمتي حلّ لإناثها... ٧٩
٢٤٣	هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي... ٨٠
١٣٣	هي شفاء لكل داء... ٨١
٥٥	وأعدوا لهم ما استطعتم ألا إن القوة الرمي ثلاثاً... ٨٢
١٣٧	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن... ٨٣
٦٤	والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله... ٨٤
١٨٩	يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر... ٨٥
١٤٣	يا داود إن لكل كتاب سرّاً... ٨٦
٦٢	يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة... ٨٧
٥٨	يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم... ٨٨

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	م
٣٨	ابن الأثير	١
٢٢٣	ابن الأنبارى	٢
٢٤٤	ابن القيم	٣
٢٤٤	ابن المبارك	٤
١٨٨	ابن تيمية	٥
٣٦	ابن جريج	٦
٢٤٤	ابن حزم	٧
١٨٨	ابن دقيق العيد	٨
١٤٦	ابن عادل	٩
٢٤	ابن عباس	١٠
٢٤	ابن عمر	١١
٢٣	ابن كثير	١٢
٢٦	ابن ماجه	١٣
٢٤	ابن مسعود	١٤
١٦٩	أبو الأسود الدؤلى	١٥
٢٥	أبو البقاء	١٦
٢٠٦	أبو الحسن البصرى	١٧
٢٣٨	أبو العالية	١٨
١٦٢	أبو العباس أحمد بن عماد المهدى	١٩
٢٠٦	أبو بكر الرازى	٢٠
٢٠٦	أبو بكر بن العربى	٢١
٢٢٣	أبو جعفر النحاس	٢٢
١٥٠	أبو جعفر بن الزبير	٢٣

٢٢	أبو حيان	٢٤
٢٢٣	أبو داود السجستاني	٢٥
١٦٢	أبو علي الفارسي	٢٦
١٧٤	أبو عمرو	٢٧
٢٤	أبو هريرة	٢٨
٢١٣	أبو حنيفة	٢٩
٢٦	أحمد بن حنبل	٣٠
٢٥	الأخفش	٣١
٢٠٧	الأكوسي	٣٢
١٨١	ورث	٣٤
٢١٥	الأوزاعي	٣٥
٢٥	البخاري	٣٦
١٨٤	البرقي	٣٧
٢٣	البيهقي	٣٨
٢٢٠	البقاعي	٣٩
٢٢	البيضاوي	٤٠
٢٢	البيهقي	٤١
٢٧	الترمذي	٤٢
٢٦	جابر	٤٣
٢٤	الجلال المحلى	٤٥
٢٢	حفص	٤٦
١٧٣	خلف	٤٧
١٧٦	الدوري	٤٨
٣٢٣	الرازي	٤٩
٢٢	الزجاج	٥٠

٢٥	الزمخشري	٥١
٢٢	الزهرى	٥٢
٣٥	السدى	٥٣
٢٤	سعيد بن جبير	٥٤
٨٣	سفيان الثوري	٥٦
٢١٦	سيبويه	٥٧
٢٥	السيوطى	٥٨
٩٢	شعبة	٥٩
١٧١	الطبرانى	٦٠
٢٧	الطبرى	٦١
٢٣	عائشة	٦٢
٢٣	عزالدين بن عبد السلام	٦٣
١٤٩	العسقلانى	٦٤
٢٧	عطاء بن أبى رباح	٦٥
٨٣	عكرمة	٦٦
٨٣	على بن أبى طالب	٦٧
٢٣	على بن أحمد المهامى	٦٨
١٢٨	على بن عبد الكافى السبكى	٦٩
١٦٧	الفرّاء	٧٠
٢٥	قالون	٧١
١٨١	قتادة	٧٢
٢٤	القرطبى	٧٣
٢٠٧	القشيري	٧٤
٣٣٣	قنبل	٧٥
١٧٦	الكسائى	٧٨

٢٠٩	مالك	٧٩
٢٤	مجاهد	٨٠
٤١	محمد الشنقيطي	٨١
٢٦	مسلم	٨٢
٢٢٣	مكي	٨٣
١٧٣	نافع	٨٤
٢٦	النسائي	٨٥
٢٢	النسفي	٨٦
١٥٠	النيسابوري	٨٧
٢٢٣	هبة الله بن سلامة	٨٨
١٧٣	الواحدى	٨٩
١٠٠	وهب ابن منبه	٩٠

فهرس الأبيات الشعرية

م	الشعر	صفحة
1	أبَا أَبَا خَرَّ أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ	٣١٣
٢	أخوال الحرب إن عَضَّتْ به الحربُ عَضُّها وإن شَمَرَتْ عن ساقها الحربُ شَمَرٌ	٣١٨
٣	إذا ما مَشَتْ وَسَطَ النَّسَاءِ تَأَوَّدَتْ كما اهْتَزَّتْ غُصْنٌ نَاعِمِ النَّبْتِ يانِعٌ	٣١١
٤	أشدُّ الغَمِّ عندى فى سرورٍ تيقنَ عنه صاحبه انتقالا	٣٢٦
٥	أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نَفَرَا	٣٢١
٦	إلى الملكِ القَرَمِ وابنِ الهَمَامِ وليتَ الكتيبةَ فى المُرَدَحِمِ	٣١٤
٧	إنَّ الخليفةَ إنَّ اللهَ سَرَبِلَهُ سربالَ ملكٍ به تُرَجَى الخواتيمُ	٣١٧
٨	إنَّ الرجالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيْلَةٌ إنَّ يأخذوكَ تَكْحَلِي وتَخْضِي	٣١٠
٩	إنَّ العجوزَ غضبَ فطلقتى ولا ترضاهَا ولا تلقِ	٣٢٣
١٠	إنَّ دهرًا يَلْفُ شَمْلِي بجملٍ لزمانٍ بهمَّ بالإحسانِ	٣١٦
١١	تخوفَ الرحلَ منها تامكا قردًا كما تخوفَ عودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ	٢٧٧
١٢	تَسَقِنِي ماءَ الملامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ استعذبتُ ماءَ بكائِي	٣١٥
١٣	تَمَنَى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ ليلِهِ تَمَنَى داودَ الزَّبُورِ على رَسَلِ	٣٩
١٤	دَعَوْتُ لِمَا نالني مسورًا قَلْبِي قَلْبِي يَدِي مسورِ	٣١٤
١٥	راشوا جناحي ثُمَّ بَلَّوه بالندى فلمَ اسْتَطِعَ مِنْ حُبِّهمُ أَنْ أُطِيرَا	٣١٦
١٦	السلم تأخذ ما رضيت به والحرب تكفيك أنفاسها جزع	٣١٣
١٧	صَدَعَتْ القلبَ ثُمَّ نَرَأَتْ فِيهِ هواكِ فليَمِ فالنَّامُ الفطورُ	٣٢١
١٨	عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِها وَمِنْ طَرَادِي الطيرِ عَنَ أرزاقِها	٣١٨
١٩	غَفَلْتُ عَنَ حُجَجِ التوحيدِ تَحْكُمُها شَيْدَتُ فرعًا وما مهدتُ تأسيسًا	٣٢٧
٢٠	غَمْرُ الرداءِ إذا تبسَّمَ ضاحكا غلقتُ لِضِحْكتهِ رِقَابِ المالِ	٢٩٥
٢١	فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مَنْبَرِهِ عَزِينَا	٣١٠
٢٢	فَصَدَّقْتَهَا وَكَدَّبْتَهَا وَالمرءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ	١٧٧
٢٣	فلا السعد يقضى به المشتري ولا النحس يقضى علينا زحل	٣٢٧
٢٤	فلا كلَّ ما ترجو من الخيرِ كائنٌ ولا كلَّ ما ترجو من الشرِّ واقعٌ	٣٢٠
٢٥	فَمَنْ يَلْقَى فى بعضِ القُرَيَّاتِ رَحْلَهُ فَأَمُّ القُرَى مُلْقَى رِحالِي ومُنْتَابِي	٣٤
٢٦	فى سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عن ساقِها حمراءُ تَبْرِي اللحمَ عن عرقِها	٣١٨

٢٧	قَدْ اسْتَوَى بِشْرٍ عَلَى الْعِرَاقِ	مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ	٣١٩
٢٨	قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَتَشَدُّوا	وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجَدُّوا	٣١٨
٢٩	لَقَدْ نَطَقَ الْمَأْمُونُ بِالصِّدْقِ وَالْهُدَى	وَبَيَّنَ لِلآلَامِ دِينًا وَمَنْهَجًا	٣١٠
٣٠	لِي الشُّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي	وَدُونِكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِي	٢٩٦
٣١	هَجَوْتُ زَبَانَ ثَمَّ جِئْتُ مَعْتَدِرًا	عَنْ هَجْوِ زَبَانٍ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعْ	٣٢٣
٣٢	وَالذَّنْبُ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَّرْتَ بِهِ	وَحَدَى وَأَخْشَى الرِّيَّاحَ وَالْمَطْرَا	٣٢١
٣٣	وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ	يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ	٣٢٤
٣٤	وَلَكِنَّهُ حَكَمَ رَبِّ السَّمَاءِ	وَقَاضَى الْقَضَاةَ تَعَالَى وَجَلَّ	٣٢٧
٣٥	وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ	وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَائِبٌ	٣٢٦
٣٦	وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ	يَجِدْهَا وَلَمْ يَسَلِّمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبٌ	٣٢٦
٣٧	يَا عَيْنُ هَلَّا بَكَيتِ أُرَيْدُ إِذْ	قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبِدِ	٣١١
٣٨	يَا مَنْ تَصَدَّرَ فِي دَسْتِ الْإِمَامَةِ	فِي مَسَائِلِ الْفَقْهِ إِمْلَاءً تَدْرِيسًا	٣٢٧
٣٩	يَا نَاقَ سِيرِي عَنَقًا فَسِيحَا	إِلَى سَلِيمَانَ فَنَسْتَرِيحَا	٣٢٥
٤٠	يُرْجَى الْمَرْءُ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ	وَتَعْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْخُطُوبُ	٣٣
٤١	يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ	وَيَعْدُلُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ	٣١٦
٤٢	يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو	رَوَيْدُكَ أَخَا عَمْرٍو بْنِ بَكْرِ	٢٩٥

فهرس أنصاف الأبيات الشعرية

الصفحة	الشعر	م
٣١٣	كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ	١
٣١٣ لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ"	٢
٣٢٨ هِيَ النَّفْسُ مَا عَوَدَتْهَا تَتَّعُودُ"	٣
٣٢٦ وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي	٤
٣٢٢ وَلَقَدْ أَمْرٌ عَلَى اللَّئِيمِ يَسْبِي	٥
٣٧ اذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ	٦
١٨٣ أَقْلَى اللُّومِ عَاذِلٌ وَالْعَتَابِينَ	٧
٣١٧ أَلَا فَارْحَمُونِي يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ	٨
٣٧ رَسَمِ دَارٍ وَقَفْتُ فِي ظِلِّهِ	٩
٣١٧ فَإِنْ شِئْتَ حَرَمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ	١٠
٣٣ لِعَمْرِكَ مَأْمَأَ بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ	١١

فهرس المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير للدكتور محمد بكر إسماعيل، ط. دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع.
- 3- اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومى- ط. مكتبة الراشد الرياض- الرابعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- 5- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ط. دار التراث.
- 6- أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبدا لله المعروف بابن العربى ٤٦٨-٥٤٣ هـ راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبدا لقادر عطا ، طبعة دار الفكر.
- 7- أساس البلاغة للزمخشرى ط دار صادر ،بيروت ،١٣٤٤هـ -١٩٧٩م.
- 8- أسباب النزول للإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى (٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م) ، تعليق وتخريج الدكتور مصطفى ديب البغا ، ط. دار ابن كثير، دمشق - بيروت ،الثالثة ، ١٤١٧هـ -١٩٩٧ م.
- 9- أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ، ط. دار الشعب ١٩٧٠ م.
- 10- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المخنار الحكبى الشنقيطى المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، ط. دار الفكر بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ ت ١٩٩٥ م.
- 11- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المخنار الحكبى الشنقيطى المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، ط. دار الفكر بيروت 12- لبنان ١٤١٥ هـ ت ١٩٩٥ م.
- 13- الاتقان فى علوم القرآن للشيخ الامام العلامة أبى الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن أبى بكر السيوطى ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- 14- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق: على البجاوي ط. دار الجيل بيروت ١٩٩٢ م.
- 15- الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي أستاذ علوم القرآن والحديث بالأزهر ، المتوفى سنة ١٩٧٧م ، ط.مكتبة وهبة القاهرة ، الطبعة الرابعة سنة ١٤١١هـ-سنة ١٩٩٠م .
- 16- الأعلام لخير الدين الزركلي، ط. دار العلم للملايين بيروت - لبنان ، الرابعة ١٩٧٩.
- 17- الأغاني للأصفهاني لعلى بن الحسين محمد القرشي ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ ، ط. دار الشعب تحقيق: إبراهيم.
- 18- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، قرظه : د. عبد الحى الفرماوى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٣ هـ - ١٩٩٤ م
- 19- البداية والنهاية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ، ط. دار النقوى - القاهرة.
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار الجيل بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨.
- 20- التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.
- 21- التعريفات للرجاني على بن محمد بن على ٧٤٠ - ٨١٦ هـ ، حققه وقدم له ووضع فهرسه إبراهيم الإبيارى، ط دار الريان للتراث.
- 22- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، ط.مكتبة وهبة، القاهرة، السادسة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

- ٢٣- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، ط. دار الفكر بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م.
- ٢٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط. دار الحديث القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٢٥- الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لعلی باشا مبارك ط دار الكتب والوثائق القومية، الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- ٢٦- الدخيل في التفسير للدكتور عبد الوهاب فايد ، ط.المطبعة الأميرية مصر.
- ٢٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام الشيخ الخطيب الشربيني، خرج أحاديثه وعلق عليه أحمد عزّو الدمشقي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٢٨- السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى المعروفة بسيرة ابن هشام ط. المكتبة القيمة، القاهرة.
- ٢٩- السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور سورة الإخلاق ج٦ ص٧٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤ هـ - ١٤٢٤ م الثانية.
- ٣٠- الضعفاء الكبير للحافظ أبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقبلى المكى ، حققه ووثقه: د. عبد المعطى أمين قلجى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م الأولى.
- ٣١- الفائق في غريب الحديث للزمخشري، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٣٢- القاموس المحيط للفيروز آبادى، ط.دار إحياء التراث العربى، الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

- ٣٣- القرآن العظيم للحافظ ابن كثير المتوفى ٧٧٤هـ ط دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابى الحلبي.
- ٣٤- الكامل للإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ، تحقيق أحمد الدالي مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
- ٣٥- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العباسي المتوفى ٢٣٥ هـ ضبطه وصححه ورقمه محمد عبد السلام شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م الثانية.
- ٣٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخورزمي ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ، وبآخره "تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات " للعالم المدقق محب الدين أفندي ، ط. دار الفكر ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م الأولى.
- ٣٧- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١ طبعة دار المعرفة. بيروت - لبنان .
- ٣٨- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل - ط. دار صادر بيروت، لبنان ، الأولى.
- ٣٩- المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .
- ٤٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفى سنة ٥٤١ هـ ، ط. دار ابن حزم بيروت - لبنان ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٤٥- المستدرک علی الصحیحین للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمنأوى في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء ،

- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م الثانية.
- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ، شرحه وصنع
فهارسه أحمد محمد شاكر ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٢٢٦ هـ -
٢٠٠٥ م.
- ٤٦— المصباح المنير لأحمد بن محمد على المقرئ الفيومي المتوفى
سنة ٧٧٠ هـ المطبعة الأميرية مصر ، الطبعة الثانية ١٩٠٩ م وط. دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٤٧— المصنف للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ومعه
كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي رواية الإمام عبد الرزاق
الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط. المكتب الإسلامي - لبنان
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م الثانية.
- ٤٨— المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ ت
٣٦٠ هـ ، تحقيق : صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ، ط. دار الحديث
القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٤٩— المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ -
٣٦٠ هـ ، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، الثانية.
- ٥٠— المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، إعداد الدكتور إميل بديع
يعقوب، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.
- ٥١— المنتخب في القرآن الكريم، لجنة القرآن والسنة ، ط. المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية
- ٥٢— المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية للملا علي بن سلطان محمد
القاري وبهامشها شرح شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري على
المقدمة الجزرية لأبي الخير محمد الجزري ، ط. شركة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م.

- ٥٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهني - ط . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض ، الثالثة ١٤١٨ هـ .
- ٥٤- النحو والصرف في خدمة النص القرآني، أبحاث وقضايا لغوية، أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالأزهر، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م.
- ٥٥- النشر في القراءات العشر للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، خرج آياته : الشيخ زكريا عميران ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، الأولى.
- ٥٦- اليزيدي القارئ النحوي، دراسة نحوية قرآنية للدكتور محمد أحمد علي سحلول، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ- ١٩٨٩ م مطبعة الحسين الإسلامية.
- ٥٧- إنباه الرواه على أنباء النحاة للقفطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٦ م .
- ٥٨- إيضاح المكنون عن أسامي الكتب والفنون لاسماعيل باشا البغدادي طبعة دار الفكر ١٩٨٢، مصورة عن طبعة استانبول ١٩٤٧ م.
- ٥٩- بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلي، ط. دار المعرفة - بيروت لبنان ، الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٦٠- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت.
- ٦١- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، العصر العثماني، ترجمة عمر صابر عبد الجليل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ م.

٦٢- تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣ هـ ، ط. دار العربي بيروت - لبنان .

٦٣- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري ٥٨٥ - ٦٥٤ هـ تحقيق د/حنفي محمد شرف - ط . المجلس الأعلى للثنون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٦٤- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن المتوفى ٧٢٥ هـ، وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى ٥١٦ هـ ، ط. دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٦٥- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن المتوفى ٧٢٥ هـ وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي المتوفى ٥١٦ هـ ، ط. دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٦٦- تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبد الرزاق للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ١٢٦ - ٢١١ هـ ، تحقيق :عبد المعطي أمين قلجى ، ط. دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

٦٧- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحفظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ط عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٦٨- تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ لابن حجر العسقلاني، ط. دار المعرفة بيروت الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٦٩- تهذيب التهذيب للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن خليل بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ - ط. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكنى ١٣٢٥ هـ.

٧٠- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، ٢٨٢-٣٧٠ هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون - ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

٧١- جمع الجوامع - الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائده للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى ٩١١ هـ -، تخريج وتعليق وضبط: خالد عبد القادر شبل، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٢- حاشية محى الدين شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى الحنفى المتوفى سنة ٩٥١ هـ على تفسير القاضى البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبدالقادر شاهين ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٧٣- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ، ط. مكتبة الخانجى، القاهرة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الثانية.

٧٤- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ط. دار السعادة بالقاهرة. ٧٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبى بكر بن الحسين البيهقى ٣٨٤ - ٤٥٨ هـ، تحقيق: عبد العاطى قلجى، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٧٦- ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان، ط. مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.

- ٧٧- ديوان الأعشى ، دار صادر - بيروت.
- ٨٧- ديوان جميل ، شعر الحب العذرى ، جمع وتحقيق وشرح د.حسين نصار - ط. مكتبة مصر.
- ٧٩- ديوان زهير بن أبي سلمى - ط. دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٨٠- ديوان عنتر بن شداد - ط. دار صادر بيروت ، الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- ٨١- ديوان كثير عزة ، شرح عدنان زكى درويش ، ط. دار صادر - بيروت، الأولى ١٩٩٤ م.
- ٨٢- ديوان ليبيد بن ربيعة ، دار صادر - بيروت.
- ٨٣- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ، طبعة دار الكتب بيروت - لبنان الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٨٤- زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : احمد شمس الدين ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م الأولى.
- ٨٥- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى للإمام أبى القاسم على بن عثمان بن الحسن القاصح العذرى البغدادي وهو شرح حرز الأمانى ووجه التهانى لأبى محمد بن أبى القاسم بن أحمد الرعينى الأندلسى الشاطبى، ط. دار الفكر- بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٨٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها فى الأمة ، تخريج: محمدناصر الدين الألبانى ، ط. المكتب الإسلامى - بيروت - دمشق الرابعة ١٣٩٨ هـ.

- ٨٧- سنن ابن ماجه للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ٢٠٧ - ٢٧٥ هـ تحقيق : محمد مصطفى عبد الباقي ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٨٨- سنن أبى داوود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ٨٩- سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ط. دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٩٠- سنن الدارقطنى للإمام الحافظ على بن عمر الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ علق عليه وخرج أحاديثه مجدى بن منصور بن سيد الشورى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م الثانية .
- ٩١- سنن النسائى بشرح الإمامين السيوطى والسندى ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م الأولى .
- ٩٢- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى شمس الدين ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، طز مؤسسة الرسالة - بيروت السابعة .
- ٩٣- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى ١٠٨٩ هـ طبعة المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٧٩ م .
- ٩٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلى الهمدانى المصرى المولود فى سنة ٦٩٨ هـ والمتوفى سنة ٧٦٩ هـ ط. دار التراث ، القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م العشرون .
- ٩٥- شرح المفصل للعلامة يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى ١٤٣ هـ . ط عالم الكتب بيروت .
- ٩٦- شرح ديوان أبى تمام لإيليا الحاوى - ط. دار الكتاب اللبنانى - بيروت ، الأولى ١٩٨١ .

- ٩٧- شرح ثذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصارى
٧٠٨ - ٧٦١ هـ ط المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت الأولى ١٤١٩ هـ -
١٩٩٠م.
- ٩٨- شرح طيبة النشر فى القراءات العشر للإمام شهاب الدين أبى بكر أحمد
بن محمد بن محمد ابن الجزرى الدمشقى المتوفى نحو سنة ٨٣٥ هـ ،
ضبطه وعلق عليه : الشيخ أنس مهرة ن ط.دار الكتب العلمية بيروت -
لبنان ١٤١٨ هـ -١٩٩٧ م الأولى.
- ٩٩- صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى
٢٠٦ - ٢٦١ هـ حققه ورقمه ووضع فهرسه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط.
دار الحديث - القاهرة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م الأولى.
- ١٠٠- طبقات المفسرين للداوودى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت
١٩٨٠م.
- ١٠١- عمل اليوم والليلة لأبى بكر بن السنى، ٣٦٤ هـ ، تحقيق : عبد القادر
أحمد عطا ، ط. مكتبة الكلية الأزهرية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م.
- ١٠٢- غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد
الجزرى المتوفى ٨٣٣ هـ عنى بنشره برجستراسر طبعة دار الكتب العلمية
بيروت الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- ١٠٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني شيخ
الإسلام قاضى القضاة أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد
المولود ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ وثق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه
ووضع فهرسه : طه عبد الرؤوف سعد ، ط . دار الغد العربى - القاهرة
١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م الأولى.
- ١٠٤- قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس لأبى اسحق الثعلبى -
ط.عيسى الحلبي ص ٢٨١ .

- ١٠٥- كتاب الأزمنة و الأمكنة للشيخ أبي على المرزوقى الأصفهانى - ط
دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة.
- ١٠٦- كتاب الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع للخطيب الشربينى ط.هيئة
الكتاب، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٠٧- كتاب الحماسة البصرية للعلامة صدر الدين على بن أبى الفرج بن
الحسن البصرى المتوفى ٦٥٦ هـ ،تحقيق د/عادل جمال سليمان ط. وزارة
الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة. .
- ١٠٨- كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد كاتب الواقدى ومشمتمل على
السيرة النبوية ، عنى بتصحيحه وطبعه ادوارد سخوب ، طبع مصوراً عن
كتاب طبع فى مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ١٢٢١ هـ من منشورات
مؤسسة النصر - طهران.
- ١٠٩- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للشيخ العلامة محمد بن على بن
على بن محمد النهانوى ، الحنفى ، المتوفى سنة ١١٥٨ هـ ، وضع
حواشيه: أحمد حسن يسبح ، ط. دار الكتب العلمية - بيروت ، الأولى
١٤١٨هـ ١٩٩٨ م.
- ١١٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة
الناس للمفسر، المحدث ، الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى،
المتوفى ١١٦٢ هـ ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه : أحمد
القلاش، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت ، لبنان، الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
- ١١١- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن
عبدالله القسطنطينى الرومى الحنفى الشهير بالملا كاتب الحلبي والمعروف
بحاجي خليفة ١٠١٧هـ - ١٠٦٧ م ، ط. دار الفكر ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م.
- ١١٢- لسان العرب للعلامة ابن منظور، ط.دار صادر بيروت -
لبنان، الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .

- ١١٣- لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان و د/عبد الصبور شاهين، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١١٤- لطائف الإشارات للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن محمد القشيري ٣٧٦-٤٣٥ هـ ، تحقيق د/إبراهيم بسيوني ، ط الهيئة العامة للكتاب الثانية ١٩٨١ م.
- ١١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ط دار المعرفة بيروت لبنان .
- ١١٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧ هـ ، تحرير :الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر - ط . مكتبة القدسي - القاهرة.
- ١١٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد ، الطبعة الثانية ١٢٩٩ هـ.
- ١١٨- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، عنى بترتيبه محمود خاطر، ط. دار الحديث - القاهرة .
- ١١٩- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، مكتبة المتنبي القاهرة.
- ١٢٠- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ١٤٤ - ٢٠٧ هـ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ط . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1422هـ - ٢٠٠١م ، الثالثة.
- ١٢١- معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ للدكتور عيسى شحاتة عيسى ط. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ٩٩٨ م .
- ١٢٢- معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري المتوفى سنة ٣١١ هـ شرح وتحقيق : د. عبد الجليل شلبي خرّج أحاديثه :

- الأستاذ على جمال الدين محمد ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٦ هـ - م ٢٠٠٥ .
- ١٢٣- معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، ط . دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق - القاهرة ، الأولى ١٤٢٢ هـ - م ٢٠٠٢ .
- ١٢٤- معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس سركيس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.
- ١٢٥- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر لعادل نويهض ط مؤسسة نويهض الثقافية، الثالثة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ .
- ١٢٦- مفاتيح الغيب للرازي طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٢٧- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، ط . دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- ١٢٨- منهاج السنة النبوية لابن تيمية العباس تقي الدين أحمد بن عبدا لحليم، تحقيق د. محمد رشاد سلم ط. مكتبة بن تيمية - القاهرة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م الثانية.
- ١٢٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ، تحقيق : على محمد الجاوي ، ط. عيسى الحلبي وشركاه.
- ١٣٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٢٥ هـ - ١٩٩٥ م الأولى.
- ١٣١- هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة دار الفكر .

رقم الصفحة	الموضوع
٣	إهداء...
٤	شكر وتقدير...
٥	تقديم للرسالة...
٦	أولاً: التعريف بالموضوع وبيان أهميته ...
٦	ثانياً: أسباب اختياره ...
٧	ثالثاً: خطة البحث ومنهجه ...
١٢	التمهيد...
١٢	١- التعريف بمفردات العنوان : التفسير ، المنهج ...
١٦	٢- التعريف بالمفسر ، ومنهجه وبيان مدى التزامه المنهج الذى شرطه على نفسه فى تفسيره " السراج المنير فى معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير" ...
٣٥	٣- تأثره بمن سبقه من المفسرين ...
٤٥	الفصل الأول: منهجه فى التفسير ويتكون من عشرة مباحث:
٤٦	المبحث الأول: ذكره للمأثور:
٤٦	المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن ...
٥٨	المطلب الثانى: تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة ويتكون من فرعين:
٥٨	الفرع الأول: اتجاهاته فى الاستشهاد بالسنة...
٧٨	الفرع الثانى: درجة الحديث الذى يستشهد به...

٨٨	المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين...
٩٤	المطلب الرابع: الدخيل في تفسيره...
١٢٥	المبحث الثاني: الأسلوب الموضوعي في تفسيره...
١٣٣	المبحث الثالث: منهجه في تفسير البسمة...
١٣٦	المبحث الرابع: منهجه في أسماء السور
١٤٢	وفضائلها...
١٥٠	المبحث الخامس: تفسيره للحروف المقطعة...
١٥٥	المبحث السادس: عنايته بالمناسبات بين السور والآيات...
١٦٩	المبحث السابع: عنايته بالقراءات...
١٩٣	المبحث الثامن: اتجاهاته في أسباب النزول...
٢١٣	المبحث التاسع: منهجه الفقهي
٢٢٨	وموقفه من النسخ...
٢٤٧	المبحث العاشر: موقفه من التفسير العلمي...
٢٥١	الفصل الثاني: الجانب العقائدي في تفسيره...
٢٧٧	الفصل الثالث: توظيفه علوم اللغة في التفسير ويشتمل على ستة مباحث:
٢٧٩	المبحث الأول: الدلالة المعجمية في استنباط المعنى...
٢٨٦	المبحث الثاني: الدلالة الصرفية...
٢٩٠	المبحث الثالث: الدلالة النحوية...
	المبحث الرابع: توظيفه دلالة السياق في استنباط المعنى...
٣٠٠	

	المبحث الخامس: توظيفه الدلالة الصوتية في استنباط المعنى...
٣١٣	
	المبحث السادس: كثرة استشهاده بالشعر...
٣١٥	
	الخاتمة...
٣٣٦	
	نتائج البحث...
٣٤٢	
	الفهارس...
٣٤٧	
	١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة...
٣٤٨	
	٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة...
٣٥٥	
	٣- فهرس الأعلام...
٣٥٩	
	٤- فهرس الأشعار...
٣٦٤	
	٥- فهرس المراجع والمصادر...
٣٦٧	
	٦- فهرس الموضوعات...
٣٨١	